# جريمة في القصر الملكي

اسم الرواية: **جريمة في القصر الملكي**

اسم المؤلف: **زينب محمد طه**

تدقيق لغوي: **شيماء عز الدين**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣١٠**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٩١**

**جميع الحقوق محفوظة للناشر©**

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

زينب محمد طه

# جريمة في القصر الملكي

إبهار
للنشر و التوزيع

# إهـداء

**إلى أمي الجميلة،**

أدام الله عليكِ الصحة والعافية يا نور القلب!

**إلى مريم وملك،**

أنتما سر سعادتي في هذه الدنيا.

**إلى الجميلة هدى فضل وإلى محمد مسعد،**

لولا تشجيعكما لي ونصائحكما الغالية لم يكن لهذا العمل أن يرى النور! جزاكما الله عني خير الجزاء.

**إلى الجميلة بسمة الخولي،**

أرسلت إليكِ هذه الرواية ولم أتوقع أبدًا أن تقرأيها ولكنكِ فعلتِ بل وأبديتي إعجابكِ بها وهو ما كان شيء عظيم بالنسبة لي. في الواقع، أنا مدينة لكِ لأنكِ من جعلني أكتشف أنني أحب الكتابة! لم أفوِّت قصة لكِ أبدًا على الراديو، فلقد كنتِ مصدر إلهامي دائمًا. دمتِ جميلة ومبدعة وأدام الله عليكِ النجاح والتوفيق.

# ١

في تلك الليلة بالذات كان الهواء باردًا للغاية على الرغم من أنه فصل الصيف.
كانت مملكة الشمال تشهد طقسًا غريبًا لم تشهده من قبل.
غاب القمر في السماء وتكدست السحب منذرةً بهطولٍ غزيرٍ للأمطار.
وقفت مساعدة الطاهية تنظر إلى النافذة في غرفة الخدم بالقصر الملكي وهي تشعر بالقلق والخوف، ولكنها لم تعلم السبب في هذا الشعور الغريب.
إنه وقت النوم ولكنها لا ترغب فيه، فهي تشعر بأن هناك ما يمزق قلبها ويعتصره.
وضعت يدها ناحية قلبها وبوجهٍ ممتعضٍ نظرت ناحية النافذة فرأته أمامها.
اتسعت عيناها دهشةً لما رأته في السماء في تلك الليلة فهي لم تشهد مثله من قبل.
إنها تعلم جيدًا أن ما تراه في السماء لا يبشر بالخير أبدًا.
زاد شعورها بالقلق والخوف وتسارعت دقات قلبها فكانت تشعر بها أكثر من ذي قبل. تذكرت الأساطير التي لطالما سمعت عنها في القرية، وتذكرت ما كانت جدتها تقوله لها دائمًا وهي طفلة فابتلعت ريقها ثم نظرت حولها إلى الخدم النائمين بسلام على فراشهم لا يكترثون لشيء.

نفضت تلك الأفكار السخيفة عن عقلها وقررت الذهاب إلى فراشها لتنام، ولكنها لم تفعل. سمعت أصوات هامسة قادمة من خارج الغرفة فانقبض قلبها مرةً أخرى وشعرت بالخوف. تقدمت بخطواتٍ هادئةٍ ناحية الباب واقتربت منه للغاية ثم ألصقت أذنها به لتسمع بوضوحٍ أكثر.

كان هناك صوتًا غامضًا قادمًا من بعيدٍ يهمس باسمها. كاد قلبها أن يقفز خارج صدرها الذي كان يعلو ويهبط الآن من شدة الخوف. تراجعت بضعة خطوات للخلف وهي تفكر في إيقاظ كبير الخدم، ولكنها كانت تخشى العواقب؛ فهو رجل صارم لا يحبذ أن يوقظه أحدهم من نومه. ماذا ستقول له إن أيقظته الآن؟ لقد كانت تفكر في هذا السؤال مليًا حتى توقفت عن التفكير فجأة بسبب ما سمعته.

أصوات غريبة قادمة من خارج الغرفة تشبه أصوات الرعد كثيرًا! فكرت لوهلة في أفضل شيء يمكنها فعله في تلك اللحظة.

قررت أخيرًا أنها ستواجه خوفها وستفتح الباب.

تقدمت بخطواتٍ متثاقلة ناحية الباب ثم أدارت مقبضه ببطءٍ جعلها تخاف أكثر من ذي قبل. بمجرد أن فتحت الباب انتشر الضوء الأحمر بداخل الغرفة فأجفلت وأغلقت عيناها بسرعة ثم فتحتهما ببطءٍ لتنظر إلى ما بخارج الغرفة.

خرجت من الغرفة بهدوءٍ وتقدمت من الدرج تستمع إلى الأصوات الهامسة باسمها. صعدت الدرج وكأنها مسحورة مسلوبة الإرادة والعقل ثم توقفت في الممر التي ازدانت جدرانه بلوحات الملوك والأمراء الذين عاشوا في القصر الملكي منذ بنائه. تأكدت الآن أن الصوت قادمًا من المكتبة التي تقع على يسارها في منتصف الممر. اتجهت إليها وهي تتنفس بسرعةٍ من فرط الخوف ثم فتحت الباب بيدٍ مرتعشةٍ. آخر ما رأته الفتاة كان ضوءً أزرقًا اخترق قلبها وجعلها تسقط على الأرض أمام باب المكتبة لتخرج منها الدماء على الفور.

لقد كانت لحظات معدودة فقط قبل أن تلفظ المسكينة آخر أنفاسها.

كانت عيناها تنظر نظرة خاوية أمامها وهي مستلقية على الأرض أمام المكتبة غارقة في بركة من دمائها. لم تصرخ ولم يشعر بها أحد.

كان هناك رجلًا يرتدي عباءة سوداء اللون تغطي جسده بالكامل من مقدمة رأسه حتى أخمص قدميه يقف أمام المكتبة ينظر إلى الجثة الملقاة على الأرض ببرود. لقد كان يكره الفضول كثيرًا، وكان يؤمن أنه خطيئة لا بد من معاقبة مرتكبها!

رفع يده اليمنى في الهواء فخرج منها شعاعًا أزرقًا تسبب في فتح ثقب أسود في الهواء دار الشعاع حوله.

خرجت حزم ضوئية أخرى من يده توجهت إلى الفتاة الملقاة على الأرض ثم كبلت جسدها بأكمله وبإشارةٍ منه بدأت ترتفع الفتاة في الهواء حتى توقفت أمام الثقب الأسود.

لم يكن الغريب في دفع الرجل ذو العباءة السوداء بجسد الفتاة داخل الثقب الأسود، بل صعود بركة الدم بدورها خلفها.

أصبح الممر الآن نظيفًا كما كان قبل موت الفتاة، وبهذا لن يشك أحدًا في أن جريمة قتل قد حدثت لتوها.

* * * *

## ٢

أتذكر ذلك اليوم جيدًا عندما ذهبت إلى القصر الملكي لأعد الحساء للأسرة الحاكمة. بمجرد أن سمح لي حراس البوابة بالعبور إلى المدينة الملكية شعرت أن حياتي ستتغير للأبد.

أعيش في مملكة الشمال وهي ثاني أكبر الممالك بعد مملكة بيورين.

تنقسم مملكة الشمال إلى جزأين؛ الأول هو المدينة الملكية الكبيرة ذات المساحة الواسعة والتي تضم منازل النبلاء وحاشية الملك وأقربائهم، وتضم أيضًا القصر الملكي. يحيط سورًا عاليًا بالمدينة الملكية له بابًا ضخمًا عالٍ يقع بين برجي حراسة يقف على كل واحد منهما حرّاس لا يسمحون بدخول أحد من القرويين.

أمّا الجزء الثاني فهو القرية التي أعيش فيها وهي تتكون من أكواخ مصنوعة من الأخشاب وبها عامة الشعب أو "الفقراء" كما يطلق علينا ساكنو المدينة الملكية.

تفوح منها الروائح الكريهة، حتى إن الفرد يمكن أن يشم رائحتها من على بعد كيلو مترًا! محرَّم علينا بالطبع دخول المدينة الملكية إلا إن كان من سيذهب إليها يريد العمل في القصر الملكي أو في منازل النبلاء، أو يريد العمل في محلات البيع، أو يريد التقدم لتدريبات الفروسية لينضم للجيش الملكي الذي يحرس حدود المملكة.

لم يكن الحال هكذا في مملكة الشمال فقط، بل كان الوضع كذلك في جميع الممالك الأخرى.

يتفق الجميع على أن أهل القرية لا يبغضون في حياتهم أكثر من النبلاء وأهل المدينة الملكية، ولهذا كان الانفصال عنهم للصالح العام. للقرية نظامها الغذائي والمائي وعادات وتقاليد مختلفة عن تلك التي في المدينة الملكية.

كانت أفضل مصادر الغذاء والمياه لصالح النبلاء وحاشية الملك، أما نحن فلم يكن لنا نصيبًا في ذلك ولهذا السبب كانت الأمراض منتشرة بيننا بشكل مبالغ فيه.

استيقظت في صباح ذلك اليوم مبكرًا عن موعد استيقاظي المعتاد كي أرتدي ملابسي وأذهب مع شقيقي أنس إلى المدينة الملكية كي أعدّ الحساء الملكي لكبير الخدم الذي سيتذوقه بعدي ثم سيقدمه إلى الملك والذي سيتذوقه بدوره ومن ثمَّ أستطيع البدء في العمل إن أعجبه بالطبع.

حاول شقيقي إقناعي بالعدول عن قرار العمل في القصر الملكي ولكنني تجاهلته.

في اللحظة التي وقعت عيناي فيها على القصر الملكي خفق قلبي بشدة.

يا للسماء! ما هذا الجمال؟ تحيط بالقصر الملكي حديقة كبيرة تزيّنها الأزهار الجميلة، بالإضافة إلى نافورة كبيرة بها تماثيل قبيحة شمال القصر، وهناك مقابر العائلة الملكية على يمينه.

يضم القصر الملكي نحو أربعون غرفة كبيرة من ضمنها واحدة كبيرة جدًا تضم أكبر مكتبة في مملكة الشمال بأسرها.

وهناك مطبخ يسمى بالمطبخ الملكي يعمل فيه الطاهي ومساعد له في الطهي والتنظيف وهي وظيفتي؛ لقد كان الملك يحب أن يطهو له شخصًا واحدًا يثق فيه، بينما هناك مطبخًا أكبر من المطبخ الملكي وهو المطبخ العام يعمل به عدة طهاة ومساعدين فقط في أوقات الحفلات والأعياد والمناسبات المختلفة.

يقف حارس أمام كل غرفة يسكنها أحد العائلة الحاكمة للحراسة، ويوجد طاقم كبير من الخدم يحرصون على نظافة القصر كل يوم.

* * * *

جلس كبير الخدم أمامي وقال بتعالٍ لم يستطع إخفائه:

- حسنًا يا آنسة لومينا، لقد أعجبه الحساء وهذا ليس بالأمر الجلل كما تعلمين.

ولهذا السبب ستعملين هنا في المطبخ الملكي مؤقتًا حتى تثبتين جدارتكِ، وبعدها يمكننا تعيينكِ كطاهية رسمية للأسرة الحاكمة.

ابتسمت ثم انحنيت له احترامًا، فقال لي ببرود:

- أقدر مدى تبجيلكِ لي ولكن لا تفعلي هذا ثانيةً، وخصوصًا أمام الملك؛ فهو لا يحب أن ينحني أحدًا سوى إليه!

لم أعلِّق على كلامه، فأضاف هو:

- ستذهبين الآن مع نور، وهي الطاهية في المطبخ الملكي، إلى غرفة الخدم كي ترتدي الملابس المخصصة للطاهيات.

ومن خلفي سمعت صوت تلك المدعوة بنور وهي تقول لي بنبرةٍ آمرةٍ:

- هلمِ بسرعة لا وقت لدينا.

مشينا في ممر ازدانت جدرانه باللوحات الغريبة والمخيفة بعض الشيء.

وعلى يميني كانت غرفة موارب بابها سمح لي برؤية ضعيفة لما بداخلها.

إنها مكتبة القصر بالطبع، ولهذا السبب ابتسمت رغمًا عني لأنني عرفت أين سأقضي أوقات فراغي من الآن فصاعدًا.

في نهاية الممر كان هناك عدد قليل من الدرجات المؤدية إلى غرفة الخدم.

ارتديت ملابس الطاهيات المصنوعة من القطن المريح، وهذا أمر أثار إعجابي لأننا في القرية لا نرتدي ملابس مريحة كهذه.

ساعدت نور في طهي طعام الغداء، وعندما انتهينا منه توجهت معها إلى غرفة الطعام ندفع بالعربة أمامنا.

دقائق قليلة مضت ثم ارتفع صوت الحارس معلنًا عن قدوم الملك والملكة وابنتهما شيرين. اتخذ الجميع أماكنهم حول المائدة بالفعل فاختلست نظرة إلى الملك الذي كان جالسًا يتفحصني بعينٍ ثاقبة جعلتني أتوتر كثيرًا.

سمعت الحارس وهو يفتح الباب معلنًا عن قدوم الأمير مراد الذي دخل مبتسمًا وألقى التحية على أفراد أسرته ثم جلس بجانب شقيقته الجميلة. رفع نظره إليَّ فجأة وكنت أنظر إليه من البداية فارتبكت واهتز الطبق في يدي.

لا أدري لماذا أنا متوترة هكذا.

بدأ الجميع بتناول الطعام في صمتٍ غريبٍ يشوبه توترًا ثقيلًا جعلني أستغرب هذا الجو الكئيب.

وبين الحين والآخر كنت أختلس النظر إلى الأمير مراد الذي كان ينظر إليَّ بدوره.

في الواقع، هو لم يفعل شيئًا سوى النظر إلي طوال الوقت.

لماذا ينظر إلي هكذا؟ شعرت بحرارة الغرفة ترتفع من حولي وبدأت قطرات العرق تحتشد فوق جبيني حتى شعرت أن الجميع يراقبني، ولهذا السبب سقطت قطعة

القماش من يدي والتي من المفترض أن أسلمها إلى الملك بعد انتهاءه من تناول الطعام.

لم ترحمني نظراته إلي عندما انحنيت لالتقاطها.

لن يقبلوا بي. هذا مؤكد.

لا يزال الأمير ينظر إلي ولكن شبح ابتسامة قد ارتسم على ثغره، فشعرت بالإحراج كثيرًا. وأخيرًا انتهت الأسرة الحاكمة من تناول وجبة الغداء فنهضوا جميعًا.

في اليوم التالي أثناء تناول الأسرة الحاكمة للطعام كان الأمير ينظر إلي كالأمس ولكنني تجنبت النظر إليه. إنه أمرًا سخيفًا في الواقع.

لماذا يصر على النظر إليَّ هكذا؟ بعد انتهائه من تناول طعامه اقترب مني وقال:

- أريد فنجانًا من القهوة من فضلكِ. سأكون منتظرًا في المكتبة.

قالها وغادر من غرفة الطعام وأنا أحاول أن أبدو طبيعية.

انتهيت من إعداد فنجان القهوة ووضعته فوق الصينية ثم توجهت إلى المكتبة التي كان بابها مغلقًا.

طرقت الباب وعندما سمح لي الأمير بالدخول فتحته وأنا أقول بصوتٍ مهزوزٍ قليلًا:

- فنجان القهوة يا سمو الأمير.

رفع عينيه من فوق الكتاب الذي كان يقرأه ونظر إليَّ للحظات وهو يبتسم قبل أن يقول:

- ضعيه هنا فوق المكتب رجاءً.

تقدمت من المكتب الذي كان أمامه ووضعت فنجان القهوة كما أمرني ولا تزال عينيه مثبتة عليَّ مما جعل يدي ترتعش قليلًا.

سألته:

- هل تريد شيئًا آخرًا يا سمو الأمير؟

ابتسم لي وسأل:

- ما اسمكِ؟

ارتبكت قليلًا ثم أجبته:

- لومينا يا سمو الأمير.

مساعدة الطاهية في المطبخ الملكي.

ساد الصمت بيننا للحظات.

قال أخيرًا:

- حسنًا.

بإمكانكِ الذهاب، فأنا لا أريد منكِ شيئًا آخرًا.

انحنيت قليلًا ثم مشيت بخطواتٍ واسعة إلى الباب الذي بمجرد أن أغلقته وقفت ألتقط أنفاسي بسرعة حتى هدأت.

انتهى اليوم فتوجهت إلى غرفة الخدم فوجدت نور والسيد كنان، وهو كبير الخدم، وسبعة من الخدم الآخرين الذين لم أعرف أسماءهم أو طبيعة أعمالهم يتسامرون ويضحكون.

نام معظمهم أخيرًا فوق أسِرَّتهم عدا كنان الذي كان ينظر لي مما جعلني أجفل قليلًا.

سألته بضيق:

- لماذا تنظر إلي هكذا؟

- تصبحين على خير.

قالها ثم استلقى على فراشه وغط في النوم ليتركني غارقة في أفكاري.

تنص قوانين العمل في القصر الملكي أنه على جميع العاملين به أن يعملوا فيه بالنهار ويبيتون فيه ليلًا، ومن حقنا جميعًا العودة إلى القرية مساء يوم الخميس لزيارة عائلاتنا على أن نعود صباح اليوم التالي في العاشرة والنصف صباحًا قبل موعد وجبة الإفطار.

كان القانون يطبق علينا جميعًا عدا السيد كنان الذي كان يعيش في القصر ولا يتركه أبدًا. لا بد أنه وحيدًا لا أهل له.

استيقظت من نومي فجأة بسبب شعوري بالبرد على الرغم من أننا في فصل الصيف! اعتدلت في جلستي ونظرت إلى الخدم النائمين حولي فإذ بي أسمع أصوات هامسة وكأن هناك العشرات من الأشخاص يتحدثون خارج الغرفة! لا يزال الجميع نائمًا.

من الذي يتحدث إذن؟ نهضت من فوق فراشي ثم أشعلت شمعة وضعتها قبل نومي بجانب فراشي ثم توجهت إلى خارج غرفة الخدم وصعدت السلالم القليلة المؤدية إلى الممر ومشيت بحذرٍ وأنا أسمع الأصوات الهامسة تعلو كلما اقتربت من المكتبة.

رأيت بابها مواربًا ويبدو أن هناك من أشعل شمعة موضوعة فوق الأرض تلقي بظلالها في أرجاء الغرفة فسمحت لي برؤية ضعيفة جدًا لما في الداخل.

يبدو أن هناك شخصًا يرتدي عباءة سوداء يضع غطاءها فوق رأسه فلم أرَ ملامحه جيدًا.

ما الذي يفعله هذا الشخص في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟ ولماذا يخفي ملامحه جيدًا هكذا؟ وقفت أراقبه وأنا أتنفس بحذرٍ شديدٍ.

يبدو أنه يقرأ شيئًا ما.

لا أستطيع التحديد لأنه واقفًا وظهره مقابلًا لي حاجبًا عني رؤية ما أمامه.

ما الذي تنوي فعله بالضبط؟

أغلق الرجل فجأة كتابًا كان موضوعًا فوق المكتب ثم توجه إلى المكتبة الضخمة وأخرج من عباءته عصا صغيرة الحجم في نهايتها هلال أبيض اللون.

الذي أثار رعبي وهلعي في تلك اللحظة هو ما خرج من طرف الهلال.

ضوءٌ أزرقٌ خرج واتجه إلى المكتبة أمامه فحدث أغرب شيء رأيته في حياتي.

اختفى الجزء الذي سقط عليه الضوء الأزرق من المكتبة فاتسعت فجوة سوداء فيها يدور حولها الضوء الأزرق.

تمكنت من رؤية ما بداخل الفجوة؛ ممرًا منيرًا بلونٍ أحمرٍ مخيفٍ وكأنه آتيًا من مملكة الجحيم! كادت أن تفلت من فمي صرخة لولا أنني كتمتها بيدي بسرعة قبل فوات

الأوان. دخل الرجل ذو العباءة السوداء في تلك الفجوة ثم اختفى الضوء الأزرق بمجرد عبوره وعادت المكتبة مرة أخرى وكأن شيئًا لم يحدث.

أخذت شهيقًا عميقًا بعدما تأكدت أن المكتبة خاوية لا يوجد فيها أحد.

دخلتها بالطبع لأتفحص الكتاب الذي كان يقرأ فيه ذلك الشخص الغريب منذ لحظات.

كتابًا متوسط الحجم له غلاف أسود كُتب عليه كلمتين فقط كان لهما تأثير كبير على قلبي الذي لم يهدأ أبدًا منذ أن وقعت عيناي عليهما.

السحر الأسود! نعم.

عنوان الكتاب الذي كان يقرأ منه الشخص الغريب هو السحر الأسود.

من الذي يمارس السحر الأسود في القصر الملكي؟ من الذي يجرؤ على ممارسة هذا النوع من السحر البغيض وفي القصر الذي حرم ملوكه على جميع سكان مملكة الشمال ممارسته من الأساس؟

فتحت الكتاب المريب فرأيت رسومات لوحوش مخيفة وكائنات أخرى لم أعرف لها اسمًا وقتها.

لماذا أصبح الجو أكثر كآبةً وبرودةً هكذا؟ ما هذه اللغة الغريبة التي كُتب بها هذا الكتاب؟ شكل الحروف نفسه كان كفيلًا بأن يثير الرعب والفزع في نفسي.

تعالت أصوات الهمس مرة أخرى فأدركت أن ذلك الشخص لا بد وأنه سيأتي من الممر الأحمر داخل المكتبة، ولذلك أغلقت الكتاب بسرعة وخرجت من الغرفة ولم أنسَ أن أوارب الباب كما كان كي لا يشك بي ذلك الشخص الغريب.

أمسكت بالشمعة ثم نزلت على الدرج إلى غرفة الخدم حيث الجميع لا يزالون يغطون في النوم كما تركتهم. أطفأت الشمعة واتجهت إلى فراشي. سمعت صوت باب المكتبة يُغلق، ثم خطوات آتية ناحية الغرفة التي أنا فيها! يا إلهي! لقد عرف أنني

كنت أراقبه. سيأتي إليَّ ليقتلني. رفعت الغطاء الذي كان يغطي جسدي إلى قمة رأسي فأصبح كالكفن!

كنت أتنفس أسفل الغطاء بصعوبة وأنا أترقب قدوم ذلك الشخص الغريب لقتلي.

توقف صوت خطواته فجأة وكأنه توقف عن الحركة. هل هو واقف بانتظاري كي أرفع الغطاء لينقض عليَّ؟ ما الذي يفعله بجانب فراشي بالضبط؟ وببطءٍ شديدٍ بدأت في إزاحة الغطاء عني وأنا على استعدادٍ لمقابلة ذلك الغريب.

رفعت الغطاء فجأة فلم أرَ أحدًا في الغرفة بأسرها سوى الخدم النائمين! ما معنى هذا؟ لقد كان واقفًا بجانب فراشي منذ لحظات. إنني متأكدة من هذا.

أين اختفى بحق الإله؟ إلا إذا كان واحدًا ممن يمكثون معي بالغرفة!

نهضت من فراشي بحذرٍ فرأيت ضوءً ضعيفًا جدًا لونه أحمر يأتي من خارج الغرفة التي كان بابها لا يزال مفتوحًا، وهناك ظل يقف خارجها! لماذا ذلك الظل لا يبدو لكائن بشري؟ لماذا هو طويل بشكلٍ مبالغٍ فيه؟ لماذا هناك قرنان طويلان فوق رأسه؟ هل هو أحد الكائنات التي رأيتها في كتاب السحر الأسود؟ لم أستطع أن أحرك أي عضلة من عضلات جسدي.

نظرت إلى جميع الأسِرَّة من حولي فكانت الصدمة عندما رأيتهم جميعًا نائمين ويغطون في النوم! نظرت ثانيةً ناحية باب الغرفة فلم أرَ الظل المخيف هناك.

أين ذهب؟ انتظرت قليلًا لعله يظهر ثانيةً ولكنه لم يظهر أبدًا.

ما هذا القصر الملعون بحق الإله؟ جلست فوق فراشي ثانيةً ثم تمددت فوقه وحاولت أن أنام ولكنني لم أفلح في هذا.

استطعت أن أنام أخيرًا عندما رأيت أول شعاع لضوء الشمس ينقشع خارج النافذة الزجاجية.

وقتها فقط تمكنت من النوم بسلام.

* * * *

# ٣

إنه اليوم الثالث لي في القصر.

أيقظتني نور وهي تصيح في وجهي لأنني متأخرة عن بقية الخدم.

انتهينا من إعداد طعام الإفطار واتجهنا إلى القاعة الملكية ووضعنا الطعام فوق المائدة الطويلة. كان الأمير يتناول طعامه دون أن ينظر إليَّ.

انتهوا جميعًا من تناول طعامهم، ولكن قبل أن ينهض الأمير من مقعده نظر إليَّ وابتسم ثم خرج من الغرفة. لا أفهم بالضبط ما الذي يفعله ذلك الشاب. إنني حائرة. انتهيت من الأعمال المفروضة عليَّ واتجهت إلى النافورة التي بها تماثيل قبيحة كي أنعم بوقت فراغي في سلام.

لا أظن أن أحدًا يأتي إلى هنا كثيرًا.

فتحت الكتاب الذي اشتريته من كوخ الكتب بالقرية واستكملت قراءته.

لماذا أشعر أن هناك من يراقبني؟ لا بد أن ليلة البارحة لا زالت تؤثر بي.

استمعت إلى خطوات تقترب مني فنظرت خلفي فرأيت الأمير أمامي. لن أنكر أنني فزعت لرؤيته فجأة بهذا الشكل، ولكنني وقفت واعتدلت في وقفتي ثم انحيت له وقلت:

- سمو الأمير.

أمسك بالكتاب الذي بيدي وقال وعلى ثغره شبح ابتسامة:

- حرب الممالك؟ أين تعلمتِ القراءة؟
- في القرية بالطبع يا سمو الأمير.
- وهل جميع الفقراء يقرؤون مثلكِ؟

لم أستطع إخفاء غضبي من كلمة "فقراء"، فقلت له بتجهم:

- ليس جميعهم يا سيدي.

فقط القليل منهم.

قال وهو يبتسم ابتسامة أصابتني بالغيظ:

- وهل يقرؤون الروايات مثلكِ؟

أجبته بتجهم:

- لا أعرف.

- ربما.

كان واقفًا أمامي وعينيه مثبتتين على عيني ولا زال يبتسم. سألني:

- ومن أين تشترون هذه الروايات؟

- هناك كوخ يبيع الكتب في القرية يا سيدي.

- حقًا؟ لم أكن أعرف هذه المعلومة من قبل.

قلت بحدة:

- هذا لأنكم تخشون اتساخ أحذيتكم بقدومكم إلى القرية يا سمو الأمير!

ابتسم ابتسامة واسعة، ثم قال:

- طاب يومكِ يا آنسة لومينا.

قلت له بتكلفٍ:

- طاب يومك يا سمو الأمير.

انحنيت له فغادر المكان وتركني بسلام لاستكمال القراءة.

عندما تذكرت ما قلته، شعرت بالامتنان لأنه لم يغضب أو يطردني من القصر.

في الواقع، لقد انتظرت أمر طردي من القصر طوال اليوم ولكنه لم يحدث أبدًا.

لماذا إذن تحمل فظاظتي؟ لماذا لم يغضب أو يعاقبني؟

بعد انتهاءنا من العمل جلس كل واحد منا فوق فراشه وكأننا بانتظار شيء ما، ثم وقف السيد كنان وهو يمسك بكتابٍ في يده وقال:

- أين توقفنا بالأمس؟

نظرت إليهم متسائلة، فعندما رآني السيد كنان قال لي:

- إننا نفعل هذا كل يوم.

نحضر كتابًا من المكتبة ثم يقرأ واحدًا مننا بضعة أوراق منه كل يوم.

أشرق وجهي كثيرًا بعد سماع هذا الكلام.

أخيرًا شيئًا مفيدًا سأفعله في القصر.

إننا نستحق هذا على الأقل.

استمعت إلى السيد كنان وهو يقرأ من الكتاب الذي كان بيده.

لكم استمتعت كثيرًا بصوته الرخيم الهادىء وهو يتحدث! في الواقع، أنا لم أرده أن يتوقف أبدًا. غلبني النوم أثناء قراءته مما تسبب في انفجارهم في الضحك، ولهذا استيقظت على أصواتهم العالية، وشعرت بالإحراج كثيرًا، ولكنني شاركتهم الضحك حتى أدمعت عيناي.

* * * *

إنه اليوم الرابع لي في القصر.

مر اليوم بسلام ولم يحدث فيه أي جديد. في المساء اجتمعنا كلنا في غرفة الخدم بانتظار من سيقع عليه الدور للقراءة.

لقد أنهوا الكتاب ليلة الأمس لذلك أحضر السيد كنان كتابًا جديدًا من المكتبة، ولدهشتي، صمم الجميع على أن أنول شرف القراءة اليوم.

ابتسمت بخجلٍ وأمسكت بالكتاب الجديد فتحسست ملمسه الممتاز بانبهار وقربته من أنفي أشم رائحته الجميلة فانتعشت روحي وكأنني وردة ذابلة شربت من مياه الأمطار لتوها! قرأت لمدة نصف ساعة وهم يصغون إليَّ باهتمام وبإعجاب جعلاني أتوتر قليلًا.

توقفت فجأة عن القراءة عندما لاحظت أنهم ينظرون بين الحين والآخر إلى باب الغرفة، فنظرت ناحيته لأتراجع من المفاجأة إلى الخلف. كان الأمير مراد يقف وهو ينظر إليَّ! قال وهو يبتسم:

- رجاءً لا تتوقفي. أحب سماعكِ وأنتِ تقرأين!

لم أتحدث أو أعلق بأي شيء.

نهض السيد كنان وقال:

- ألن تجلس يا سمو الأمير؟

- لا تشغل بالك.

لقد أثار صوت الآنسة لومينا اهتمامي ففكرت في المرور لرؤيتكم.

فلتكملي يا آنستي رجاءً وأنا سأصغي إليكِ من مكاني هنا.

كيف لهم ألا يخشون أن يذهب الأمير ويخبر والده أنهم يسرقون الكتب من المكتبة؟

استكملت القراءة بصوتٍ مرتعشٍ قليلٍ لمدة عشرة دقائق والكل يستمع إليَّ باهتمام ثم توقفت عندما لم أستطع الاستمرار أكثر من هذا.

تقدم الأمير نحوي وهو يقول:

- جميل ما تفعلونه هنا.

إنه يذكرني برابطة محبي القراءة.

كنا نحضرها مرة واحدة في الأسبوع وكنا نفعل تمامًا ما تفعلونه هنا.

قلت له بجفاء:

- هنيئًا لك يا سمو الأمير، فكما ترى، لا يُسمح لنا بحضور رابطة محبي القراءة لأننا فقراء!

سمعت همهمات من حولي، حتى أن نور كانت تنظر إليَّ بتوعدٍ.

قال الأمير لي:

- أرى أنكِ ساخطة من قوانين مجتمعنا يا آنسة.

قلت بثقة:

- لست ساخطة بل متعجبة.
- متعجبة؟ من ماذا بالضبط؟
- متعجبة من إعطاء أنفسكم الحق بحضور رابطة محبي القراءة والتمتع بالبحر الأزرق وبكل ما هو جميل ومتحضر في المدينة الملكية، وتتركوننا نحن الفقراء في القرية كي نتعفن!

شهقت نور، ودفن السيد كنان وجهه بين يديه، وتعالت الصيحات من بقية الخدم، ولكن الأمير أوقفهم بحركة من يده وبدا أن كلامي أثار غيظه قليلًا، لذا قال لي:

- احذري يا آنسة، فالثوار لا يجدون ترحيبًا هنا في القصر.

قالها وغادر الغرفة.

لم أستطع الهرب من تعليقاتهم السخيفة وتوبيخاتهم الساذجة بالطبع. نهض السيد كنان وسألني بعصبية:

- ما الذي تحاولين فعله بالضبط؟ هل تريدين أن يسخر مني الجميع لأنني من وافقت على عملكِ في المقام الأول أم تريدين أن تُطردي من القصر؟ فقط أخبريني لأنكِ في كلتا الحالتين لن تستمري معنا بهذا الشكل.
- ما الذي تتحدث عنه؟ أنا لا أريد أن أُطرد من القصر بالطبع. إنني بحاجةٍ إلى العمل هنا، ولكنني فقط لم أحتمل غروره، وخصوصًا عندما نعتنا بالفقراء هذا الصباح.

تدخلت نور وسألتني بغيظ:

- حقًا؟

تجاهلتها وقلت للسيد كنان:

- كما أنني أخشى أن يذهب إلى والده ويخبره أننا نسرق الكتب من المكتبة.

- أيتها الفتاة الغبية! إن من يسمح لنا باستعارة الكتب من المكتبة هو الأمير مراد نفسه!

ساد الصمت بين الجميع وأنا أفكر في مدى سخافتي وتسرعي في الحكم على الأمور. إذن هو من يسمح لهم باستعارة الكتب، وهو أيضًا من سمح لي بإهانته أكثر من مرة ولم يغضب حتى أو يطردني من القصر. ما سر هذا الشاب؟ لماذا يفعل هذا معنا؟ لماذا يفعل هذا معي؟

أردف السيد كنان:

- إنه الشخص الوحيد في القصر الذي يحسن معاملتي ويستمع إليَّ باهتمام ويكترث لأمور الخدم، ولكنني أشك في استمرار هذا بسبب ما قلته منذ قليل.

أصبحت الآن الشخص المكروه بين الخدم. لم أنوِ حدوث هذا ولكنه حدث لسوء الحظ! ما الذي سأفعله الآن؟

* * * *

إنه اليوم الخامس لي في القصر ولم يطردني أحد حتى الآن.

هل سيسمح لي السيد كنان بأن أكمل العمل هنا؟ لا أظن ذلك.

وصلت السيدة ليلى من عائلة إلياس، وهي والدة الملكة، إلى القصر الملكي في صباح هذا اليوم، ولهذا السبب كنا مشغولين كثيرًا بتحضير أصناف الطعام المختلفة كي نقدمه إليها. اجتمعت الأسرة الحاكمة حول المائدة فلاحظت وجود شابًا وسيمًا للغاية يجلس بجانب الأميرة شيرين.

إنه ابن نائب الملك واسمه آدم وتجمعه علاقة صداقة قوية مع الأميرة شيرين.

هذا ما عرفته فيما بعد. بدا لي أن الأمير مراد لا يحبذ وجود ابن نائب الملك، ولكنني لم أعلم السبب وقتها.

يبدو أن الملك لا يطيق احتمال تناوله الطعام مع السيدة ليلى في غرفة واحدة! يا لها من عائلة غريبة! هذا لا يطيق ذلك، وذلك لا يطيق هذا!

قال الملك موجهًا كلامه إلى السيدة ليلى:

- لقد اشتقنا إليكِ يا سيدتي! نتمنى أن تمكثين معنا وقتًا طويلًا هذه المرة، وألَّا تكون مدة إقامتكِ قصيرة كالمعتاد!

ساد جو من التوتر الثقيل بين الجميع، حتى أن الملكة كانت تنظر إلى زوجها شزرًا، وكأنها تريد أن تخبره أن يكف عن التملق والتظاهر بالترحيب، وهو من يريد أن تذهب والدتها إلى الجحيم! اختلست نظرة إلى الأمير فرأيته ينظر إليَّ وهو يبتسم.

أبعدت عيني عنه بسرعة وحاولت أن أتماسك وألا أبتسم بدوري! نهض الأمير مراد وطلب مني للمرة الثانية أن أحضر له فنجان القهوة في المكتبة. حسنًا، سأستغل الفرصة في الاعتذار منه فربما يسامحني السيد كنان ويبقيني في القصر!

وضعت فنجان القهوة على المكتب أمامه وعينه لا تزال مثبتة على وجهي. قبل أن أستدر وأذهب، قلت له بتردد:

- سمو الأمير.
- نعم؟
- أنا لم أقصد أن، فقط، سيطردني السيد كنان من العمل في نهاية الأسبوع.
- هل....؟

قال ببرود:

- حسنًا.

لن يطردكِ أحد من القصر! ولكنني أريدكِ أن تحذري مما تقولين من الآن فصاعدًا لأن الملك والملكة لا يجيدان التعامل مع من هم ليسوا من دمائهما!

أومأت ولم أعلِّق، ولدهشتي نهض واتجه إلى المكتبة وأخذ منها كتابًا وقال:

- هذه الرواية ممتعة بحق.

اقرأيها وعندما تنتهين منها أخبريني. أريد أن أتناقش معكِ فيما ستقرأينه.

اندهشت كثيرًا عندما سلمها إليَّ، ولكنني أخذتها بامتنان.

فتحت الرواية واستنشقت عبير أوراقها كعادتي فانتعشت روحي من جديد. كان يراقبني بابتسامةٍ ودودة على ثغره.

قال لي:

- إنني أفعل مثلكِ كلما أمسكت بكتابٍ جديد.

أشعر وكأنني ملكت العالم. ابتسمت له بدوري، ثم قلت:

- شكرًا جزيلًا يا سمو الأمير.

أخذت الكتاب واتجهت إلى غرفة الخدم وفتحته ثم قرأت بضعة صفحات، ثم أغلقته آسفة كي أستكمل عملي في المطبخ. مر اليوم بسلامٍ ولم يحدث فيه أي شيء سوى نظرات نور المتوعدة لي بين الحين والآخر.

وددت أن أغيظها وأخبرها بما قاله لي الأمير منذ ساعات، ولكنني تراجعت عن أفكاري الطفولية! انتهينا من العمل في المطبخ الملكي بعد يومٍ طويلٍ مليء بالعناء والمشقة ثم اتجهنا جميعنا إلى غرفة الخدم، ولكننا لم نقرأ ككل ليلةٍ لأن معظمنا قد غط في النوم على الفور.

فتحت الكتاب الذي أعطاه لي الأمير وقرأت بضعة صفحات أخرى، ولكنني لم أستطع أن أُكمل القراءة بسبب الأصوات المرعبة التي لم تكن كأصوات الهمسات التي سمعتها من قبل. إنها أصوات لأشخاص يتعذبون ويأنون وكأن هناك من يمسك بسكين بارد ويقطع به رقابهم! نهضت من الفراش مفزوعة وقلبي ينبض بشدة من الخوف. لماذا لا يسمع أحد سواي تلك الأصوات المرعبة؟ نظرت إلى جميع من بالغرفة فرأيتهم يغطون في نوم عميق وكأنني وحدي من أستطيع سماع الأصوات المفزعة. يبدو أن هناك من يمشي في الممر الذي فوق هذه الغرفة.

نهضت من فراشي وأشعلت الشمعة التي بجانبي واتجهت إلى الباب وفتحته.

كان الضوء الأحمر يغمر المكان أمامي فآذى عينيَّ بشدةٍ فلم أستطع إلا أن أغمضهما. صعدت السلم بعد اعتياد عيني على الضوء فأيقنت أن أصوات الأنين المرعبة آتية من المكتبة بالطبع.

كان بابها مغلقًا فنظرت من ثقب الباب فرأيت الشخص نفسه الذي يرتدي العباءة السوداء واقفًا والغرفة يملؤها ضوءً أحمرًا جعل منظرها مرعبًا أكثر من ذي قبل. حاولت أن أرى أي شيء ولكنني لم أستطع أن أرى سوى عباءة الرجل التي حجبت عني الرؤية، لذا نظرت أسفل الباب فاستطعت أن أرى رؤية بسيطة للغاية.

يبدو أن هناك شخصًا آخرًا معه في الغرفة ولكنني لم أستطع التعرف عليه أو سماع صوته. مهلًا، ما بال قدميه؟ لماذا هي نحيفة جدًا ومتفحمة بهذا الشكل؟ وقفت ألتقط أنفاسي لأنني لم أستطع أن أتنفس بعد رؤية قدمي الغريب المخيفتين.

نظرت مرة أخرى عبر ثقب الباب فلم أجد أحدًا بالداخل. أين اختفى؟ هل فتح الرجل ذو العباءة السوداء معبرًا من خلال المكتبة كما فعل في المرة السابقة؟ نظرت من أسفل الباب ثانيةً فلم أرَ أحدًا. أدرت مقبض الباب ببطءٍ شديد ثم نظرت عبر فتحة ضيقة منه في أرجاء الغرفة فوجدتها خالية. لقد رحلا إذن.

فتحت الباب ودخلت لأبحث عن الكتاب فلم أجده، ولكنني تعثرت في شيء على الأرض. انحنيت لألتقطه ثم فتحته.

كان صندوقًا أسود اللون مفتوح وبداخله كتاب صغير الحجم، أخذت الكتاب ورميت الصندوق ثم خرجت من الغرفة بسرعة وأغلقتها من خلفي، جلست على فراشي وفتحت الكتاب الصغير لأجد نفسي في قمة دهشتي عندما اكتشفت أنها مذكرات.

مذكرات من يا تُرى؟ هل يتجول الرجل ذو العباءة السوداء بمذكراته في القصر؟ فتحتها وقرأت ما بداخلها.

**الصفحة الأولى من المذكرات التي عثرت عليها:**

الحادي عشر من شهر مارس

توفي أبي منذ ثلاثة أيام ولا زلت عاجزة عن استيعاب ما حدث، نصحني أصدقائي أن أكتب مذكراتي كنوع من الترويح عن النفس.

لا أعلم. لا أجدها مفيدة حتى الآن، إن هي إلا ثرثرة على ورقٍ لن يعرف عنه أحد شيء ما حييت. أفتقد إليه كثيرًا.

يستعد أخي لمراسم التتويج.

أسمعه يتهامس مع زوجته في الليل في أمورٍ لا أفهمها حقًا.

ولكنني خائفة، ولا أعلم ما سبب خوفي.

لم أحب زوجة أخي أبدًا، وأظن أن أبي لم يحبها بدوره.

أشعر أنها كالثعبان الذي يزحف في أرجاء القصر ليبثُ السم في كل ركن من أركانه.

إنهما ينتظران قدوم طفلهما الأول، أكدت القابلة أنها فتاة، وهذا ما جعل زوجة أخي غاضبة طيلة الوقت.

إن كنت مكانها فلن أحزن إن أنجبت فتاة، فأنا أقدّر كثيرًا ما تهبني الحياة ولست جاحدة مثلها.

**الصفحة الثانية:**

الثاني عشر من شهر مارس

جاءنا اليوم طاقم جديد من الخدم والخادمات، وكان من بينهم شاب وسيم للغاية.

سأعترف، لقد أسرتني وسامته.

لا أدري ما الذي أقوله.

أنا حمقاء.

أمي تتشاجر كثيرًا مع أخي وزوجته.

لا أعلم سبب مشاجراتهم، ولا أكترث صراحةً.

الثالث عشر من شهر مارس

وضعت زوجة أخي صباح اليوم أجمل فتاة في المملكة.

إنها الأميرة شيرين. يا إلهي! إنها جميلة للغاية. أعشق هذه الطفلة الرضيعة.

إن الخادم الوسيم ينظر إلي نظرات غريبة لم ينظر لي أحد مثلها من قبل. يا إلهي! لماذا أكتب عنه كثيرًا؟ لماذا يشغل بالي من الأساس؟ أيعقل أن يكون حب من النظرة الأولى؟ وهل الحب من النظرة الأولى حقيقي أم مجرد وهم يتغنى به الشعراء في قصائدهم؟

**الصفحة الثالثة:**

الرابع عشر من شهر مارس

كيف لطفلٍ صغير عمره يوم واحد فقط أن يجعلك تغرق في حبه بهذا الشكل الغريب؟ بالمناسبة، تجرأ هذا الخادم الوسيم أخيرًا وأتى لمحادثتي بجانب النافورة وأعطاني منديلًا يقول إنني أوقعته، ولكنني أقسم أنني لم أرَه في حياتي من قبل. أظن أنه معجب بي، ولن أنكر، أنا أيضًا معجبة به.

السادس عشر من شهر مارس

ذهبت اليوم مع تولين إلى القرية.

بصراحةٍ لم أحب تواجدي بها فالرائحة كريهة للغاية هناك، ولكنني وجدت أهلها طيبون. حسنًا، البعض منهم لأكون صادقة. ويُخَيَّلُ إليّ أن هناك الكثير منهم لا يحبذون تواجدي بينهم. يقول تولين أنني متوهمة.

لا أدري.

لا أكترث لآراء أهل القرية وإن كنت في قرارة نفسي أعلم أنهم لا يطيب لهم رؤيتنا معًا. آه، يا إلهي! يتحدث الجميع عن قدوم ليلى إلياس. يا لبشاعة تلك المرأة. أنا وأخي نكرهها كثيرًا.

**الصفحة الرابعة:**

الثالث والعشرون من شهر مارس

لم أكتب منذ أسبوع.

أصبحت سعيدة للغاية مؤخرًا.

لاحظ الكل ذلك الأمر.

لم أعد أكتب كثيرًا لأنني غارقةٌ في الحب! اعترف لي تولين بحبه وبصراحةٍ لم أجد مبررًا يمنعني من الاعتراف له بدوري.

السابع والعشرون من شهر مارس

تلك السيدة البشعة! أخبرت أخي أنني أذهب إلى القرية كل يوم مع تولين، ولا ينبغي عليَّ أن أفعل هذا. أنا أكرهها وأكره ابنتها وأكره أخي.

أنا غاضبة جدًا.

أريد أن أقتلهم جميعًا.

لقد طرد أخي حبيبي تولين من القصر.كان أبي يحب الفقراء في القرية ويعاملهم بالحسنى.

أرى أن أخي ليس مثله ولهذا السبب لا يطيقه أهل القرية.

سأتسلل اليوم إلى القرية لأقابل تولين. لا يهمني ما سيفعله أخي إن علم بذهابي الليلة. لا أستطيع العيش بدون تولين.

أنا عاشقة.

يا إلهي! ارحمني!

توقفت عن القراءة عندما سمعت أصوات خطوات أقدام تهبط الدرج فأغلقت المذكرات بسرعةٍ وأخفيتها في حقيبتي واستلقيت على فراشي وتصنعت النوم.

كان ظهري مقابل لباب الغرفة فلم أستطع أن أرى من يمشي خلفي، ولكنني كنت أسمع خطوات أقدامه وهي تقترب مني. تسارعت نبضات قلبي حتى كاد أن يقفز من صدري هلعًا. توقفت أصوات خطوات الشخص الغريب فجأة، فنظرت بسرعة خلفي فلم أجد أحدًا. ما هذا الهراء؟ هل استطاع الخروج من الغرفة بهذه السرعة؟ لا أدري لماذا نهضت كالمجانين من فراشي واتجهت إلى فراش نور بجانبي ونظرت إليها أتفحصها! كانت تغط في النوم هي وجميع من بالغرفة.

سمعت صوت باب المكتبة يُفتح فقررت أن أصعد كي أواجه الرجل ذو العباءة السوداء وأمسكه متلبسًا وسأصرخ وأفتضح أمره.

إنه ممارس للسحر الأسود وعقوبته ستكون الموت. إنني أريده ميتًا.

صعدت الدرج وفتحت باب المكتبة بقوة فاصطدمت بالأمير مراد الذي بدا متفاجئًا أكثر مني لرؤيتي هكذا في مثل هذا الوقت من الليل.

قلت له بصوتٍ مرتجف:

- أنت؟ ما الذي تفعله هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

نظر خلفي ثم أمسك بذراعي بقوة حتى تألمت وأغلق الباب وسألني بتجهم:

- أجيبي عن السؤال نفسه من فضلك.

قلت له بحدة:

- فلتترك يدي الآن. ابتعد عني.

ضيَّق عينيه قليلًا ثم ابتعد عني وسأل:

- ما الذي تفعلينه هنا؟

- أنا لا أفعل شيئًا.

فقط سمعت أصواتًا غريبة قادمة من المكتبة فصعدت كي أرى ماذا هناك. لا أستطيع أن أغمض عيني بسبب تلك الأصوات المزعجة.

هل أنت من تصدر تلك الأصوات؟

ابتسم لي ثم ضحك ولم يتوقف عن الضحك إلا حين سألته باستنكار:

- هل أبدو لك كالمهرج يا سمو الأمير؟

قال بجدية:

- لا تتجولي في القصر أثناء الليل.

إنه مسكونٌ بالأشباح.

إنه يمزح معي! لم أعلِّق على كلامه السخيف واكتفيت بالنظر إليه دون أن أنطق بكلمة. كان ينظر إلي بدوره ولكن نظراته كانت غريبة للغاية! لم ينظر إلي هكذا أحد مثله من قبل. إنه يعرف أن نظراته تربكني ومع ذلك يطيل النظر بي.

قال أخيرًا:

- حدثيني عن الأصوات الغريبة التي سمعتيها منذ قليل.
- لقد كانت أصوات مرعبة وكأن هناك من يأن أو يصرخ.
- لست متأكدة.
- هل بدأتي في قراءة الكتاب؟

استغربت تغييره لموضوع الحوار فجأة، ولكنني أجبته على كل حال:

- إنه كتابٌ غريبٌ في الواقع.

شعرت أن مؤلفه متعاطفًا كثيرًا مع مملكة ليموريا وسحرة النور.

- وما الذي لديكِ ضدهم على أية حال؟

قلت بارتباك:

- هل تمزح معي؟ إنهم ممارسون للسحر الأسود.

هم من تسببوا في إراقة دماء الأبرياء.

ظل ينظر إلي دون أن يتكلم، ثم قال بوجهٍ خالٍ من التعبير:

- بإمكانكِ الذهاب الآن.

استغربت تصرفاته كثيرًا. خرجت من الغرفة دون أن أقول شيئًا آخرًا.

سمعت باب المكتبة وهو يُغلق من خلفي.

ما الذي يفعله ذلك الشاب الغريب في مكتبة القصر بعد منتصف الليل؟ هل يقرأ الكتب في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل؟ وهل هو الرجل ذو العباءة السوداء؟ إنني لأتسائل.

## ٤

لطالما وبخت السيدة ليلى ابنتها على كل شيء، فهي توبخها لأتفه الأسباب، وهذا ما جعل لورا تفعل ما بوسعها كي تثير انبهارها، فأصرت أن تتزوج من ملك مملكة الشمال، على الرغم من رفض والدتها، لتصبح ملكة ولتثبت لوالدتها أنها ليست قليلة الشأن وأنها مساوية لشقيقها الملك. ولكنها لم تعرف أن شقيقها سيتفوق عليها في تربيته لأولاده، فابنته الأميرة بيري أفضل من شيرين بكثير، بالإضافة إلى الأمير داني الذي يتوقع له الجميع مستقبلًا واعدًا عند توليه الحكم بعد والده الملك، حتى أن السيدة ليلى فكرت ذات مرة أن تطلب من ابنها أن يتنازل عن العرش لصالح حفيدها الأمير الذي كان يتسم بالشجاعة والذكاء، إلى جانب الصفات الأخرى التي يجب أن يتحلى بها الحاكم، ولكنها تراجعت عن الفكرة عندما أعادت النظر في هذا الأمر ثانيةً

لأنها شعرت أن هذا سيجعل الشعب يثور؛ لأن هذا مخالفًا للقوانين والشرائع.

يري الجميع أن السيدة ليلى امرأة عملية للغاية لا تفكر سوى في الصالح العام، ولكنها لم تدرك أنها بذلك تسببت في مشاعر الحقد والغيرة التي نشأت بين ابنها وابنتها.

قالت لورا وهي تمسك بكأس زجاجي مليء بالنبيذ الأحمر:

- أنا لن أثير إعجابكِ أبدًا، أليس كذلك؟

أشاحت السيدة ليلى بوجهها بعيدًا عن ابنتها وقالت:

- وكيف ستثيرين إعجابي وأنتِ مخمورة طوال الوقت هكذا؟

قالت لورا بعصبية:

- وماذا تتوقعين مني وأنا أجلس هنا طوال اليوم ولا أعرف أي شيء عما يحدث في مملكتي؟ إنه ذلك الثعبان ليث يلف ذيله حول رقبة زوجي ويتحكم في كل شيء من خلاله.

وكأن زوجي دمية خشبية يحرك خيوطها كما يريد!

- بدلًا من شكواكِ طيلة الوقت، لمَ لا تنتهزين فرصة قربكِ من الملك وتتحكمين أنتِ في كل شيء؟ أنتِ ضعيفة كما عاهدتكِ، ولن تتغيرين أبدًا.

رمت لورا كأس النبيذ فانكسر وتناثرت شظاياه على الأرض.

قالت وقد ارتفع صوتها:

- أنتِ تتحدثين عن زوجي وكأنكِ لا تعرفين ما يفعله هو ونائبه كل يوم. لقد سئمت العيش في هذا القصر الكئيب. لقد سئمت كل شيء. أنا لست سعيدة يا أمي. وأنتِ؟ أنتِ لا تفعلين شيئًا سوى معاتبتي وتوبيخي على كل شيء. أنتِ لستِ راضية عن تربيتي لمراد وشيرين. أنتِ دائمًا ما تقارني بينهما وبين بيري وداني. أحفادكِ الرائعين! أنتِ لستِ أمًا صالحة كما تدعين.

نهضت السيدة ليلى من مقعدها وقالت بحنق:

- كيف تجرؤين على التحدث معي بهذه الطريقة؟

لم ترد لورا واكتفت بالابتسام ثم قالت بعصبية:

- أيها الحارس! أيها الحارس!

فتح الحارس الواقف أمام بابها ودخل وهو يقول:

- أمر جلالتكِ.

قالت له بعصبية:

- اذهب إلى المطبخ الملكي وأحضر لي زجاجة أخرى من النبيذ الأحمر.

انحنى الحارس لها وخرج من الباب كي يحضر النبيذ لها.

قالت السيدة ليلى وقد اقتربت من ابنتها:

- احذري يا لورا. ما تفعلينه سيكون سبب هلاككِ.

تركتها السيدة ليلى وخرجت من الغرفة، فجلست لورا على المقعد المرصع بالذهب والألماس ونظرت إلى شرفتها فتذكرت شيئًا جعلها تنهض وتتقدم إلى الشرفة المطلة على المقابر وظلت تنظر إليها ثم بكت.

بكت حتى احمرَّت عينيها كثيرًا.

طرق الحارس على باب الغرفة فسمحت له الملكة بالدخول. كان يمسك بيده زجاجة من النبيذ الأحمر وكأسًا زجاجيًا مشابهًا لذلك الذي كسرته الملكة منذ قليل.

فتح الحارس زجاجة النبيذ فتأفف من رائحتها ولكنه حاول إخفاء تقززه كي لا يقع في المتاعب.

سكب النبيذ في الكأس وتقدم من الملكة وأعطاها إياها.

قال الحارس وهو ينظر إلى الأرض:

- هل تحتاجين شيئًا آخرًا يا سيدتي؟

نظرت إليه لورا ثم سألته:

- هل عاقبتك الحياة على اقترافك لشيءٍ خاطيءٍ من قبل؟

اندهش الحارس من سؤالها، ولكنه أجابها على كل حال قائلًا:

- حسنًا.

أنا لم أقترف أي شيء خاطيء كي تعاقبني عليه الحياة، ولكنني مؤمن بمبدأ الغفران وتصحيح الأمور.

أشاحت لورا بنظرها بعيدًا فنظر الحارس إلى ما كانت تنظر إليه. إنها المقابر الملكية تقبع هناك كالوحش السرمدي الذي ينتظر فريسته القادمة. تنهدت الملكة وقالت للحارس:

- حسنًا، لا أريد منك شيئًا آخرًا. بإمكانك الذهاب.

انحنى لها الحارس وهو يفكر فيما حدث للتو فتعجب كثيرًا من هذا القصر المليء بالغموض والأسرار.

* * * *

إنه يوم الخميس وما هي إلا ساعات قليلة وستعود لومينا إلى القرية.

ستعود إلى فراشها الدافيء ولحضن والدتها الحنون ثم ستستيقظ مرة أخرى وستذهب إلى القصر في صباح اليوم التالي.

جلست لومينا في غرفة الخدم تنظر إلى القمر في السماء. إنها تشعر بشعورٍ كئيبٍ للغاية ولكنها لا تعلم السبب في ذلك.

أمسكت بحقيبتها ثم أخرجت رواية حرب الممالك منها وفتحتها لتقرأ:

" يُقال أن مملكة كبيرة كانت تدعى بمملكة ليموريا مارس أهلها وهم سحرة النور نوعًا من السحر الأسود واستحوذوا على كل شيء وتسببوا بالهلاك لأشخاص كثيرين لأن ثمن سحرهم كان الدم دائمًا، ولهذا السبب حاربتهم الممالك الباقية وانتصروا عليها ومن ثمَّ أصبحت ليموريا أسطورة بعد غرقها أسفل البحر الأزرق.

كانت لمملكة ليموريا مكتبة عريقة ضخمة اعتبرها العالم من أفضل المكتبات التي وُجدت على الإطلاق. كانت مملكة ليموريا متقدمة بالعلم الذي لم تتسلح به أي

مملكة أخرى، ويُقال أن من يعثر على تلك المكتبة سينال من العلم نصيبًا كبيرًا يمكِّنه من السيطرة على العالم بأكمله.

بعد اندثار حضارة مملكة ليموريا تجول سحرة النور في الممالك المجاورة يبحثون عن وطنٍ لهم، فكانوا مشتتين في كل مكان ولكن خوف الناس منهم ومن قواهم جعلهم يتجنبونهم حتى أتى اليوم الذي اجتمع فيه ملوك الممالك الأخرى ليضعوا حدًا لسحرة النور بإلقاء القبض عليهم وقتلهم على الفور بعد اكتشافهم لآلةٍ تجعلهم عاجزين عن التحكم في قواهم.

من المعروف عن سحرة النور قدرتهم الخارقة في السفر عبر الأزمنة والأمكنة معًا باستخدام ما أطلق الناس عليه بالثقوب السوداء. كان سحرة النور يتميزون أيضًا بقدرتهم على اشتعال أجسادهم بالنيران البيضاء دون أن تلحق بهم الأذى، لهذا كان الناس يخشونهم ويفضلون الابتعاد عنهم."

توقفت عن القراءة عندما تذكرت ما حدث لوالدها في الماضي. تلألأت الدموع في عينيها وهي تتذكر شعورها بالعجز وقتها.

مسحت دموعها وأخذت حقيبتها ثم همّت بمغادرة القصر لتعود إلى القرية.

* * * *

حلَّ الليل وألقى بعباءته القاتمة على الأفق وكان القمر هو الشيء الوحيد الذي يوحي بالأمل في سماء الليل التي غابت عنها نجومها.

استلقت السيدة ليلى على فراشها وهي تنظر إلى الستائر التي تتطاير في عتمة الليل وفي ظلام الغرفة مُحدثةً في نفسها شعورًا بالكآبةِ لم تستطع تحمله.

الجو بارد للغاية وهذا أمر غريب خصوصًا في فصل الصيف. كانت الغرفة مظلمة ولكن القمر في السماء ينير المكان بشكلٍ مرعب.

شعرت السيدة ليلى وكأن هناك من يجثم فوق صدرها فتنفست بصعوبة.

جلست في فراشها وهي تلتقط أكبر قدر من الهواء البارد لعلها تهدأ قليلًا.

كانت تنادي بصوتٍ مبحوح على ذلك الحارس أمام بابها ولكنه لا يجيبها.
لعنته السيدة ليلى ولعنت اليوم الذي أتت فيه إلى مملكة الشمال.
يبدو أنها تتعرض لضيقٍ في التنفس وربما تموت الليلة ولن يكون أحد بجوارها.
فكرت في ثروتها وقصرها في مملكة بيورين وملابسها الفخمة.
إنها تشتاق إليهم.
لقد أوصت ابنها الملك على دفن جميع أغراضها معها عندما تموت. طلب غريب جعل ابنها يستغربه كثيرًا ولكنها لم تكترث.
هي تظن أنها ستتمكن بطريقةٍ ما من أخذ جميع ممتلكاتها معها إلى الحياة الأخرى.
هكذا ظنت، وهكذا آمنت.
تعالت أصوات الرياح خارج غرفتها تبعتها أنوار البرق التي تبث الهلع في النفوس ثم أصوات الرعد المخيفة التي جعلتها تنتفض في مكانها فنهضت من فراشها بصعوبةٍ في محاولةٍ بائسةٍ منها لأن تبلغ باب غرفتها.
مشت بخطواتٍ متثاقلةٍ نحو الباب وهي تتنفس بصعوبة وتصرخ في حارس الباب الذي يبدو أنه ميت كي لا يجيبها حتى الآن. توقفت فجأة عندما شعرت أن هناك من يقف خلفها. لم تستطع التحرك وزادت صعوبة تنفسها للهواء.
هي تعلم جيدًا أنها كانت وحيدة عندما دخلت غرفتها.
تريد أن تستدير كي ترى من يقف خلفها ويتنفس بقوة هكذا ولكنها لم تملك من الشجاعة ما يكفي لفعل هذا.
سألت بصوتٍ واهنٍ مرتجف:
- من هنا؟
لم يرد عليها أحد فاستدارت ببطءٍ شديدٍ وهي على استعدادٍ تامٍ لمواجهة أيًا كان من يقف خلفها ولكنها تفاجأت عندما لم تجد أحدًا. لمحت ظلٍ في الشرفة فاتجهت إليها وهي تجر رجليها ثم دخلتها لتبحث عن الخيال الذي رأته منذ قليل.

في اللحظة التي وقعت عيناها على السماء شهقت السيدة ليلى من المفاجأة.
القمر ليس كعادته. إنه قمرًا أحمر اللون كالدم مخيف يوحي بالشر.
لقد كان ناصع البياض منذ قليل، ولكن لونه أصبح كالدم الآن.
هي تعلم جيدًا أنه نذير شؤم. هذا يعني في عالمهم أن هناك من سيموت. إنه سحرًا أسودًا خبيثًا.
لعنت السيدة ليلى سحرة النور ولعنت السحر الأسود.
اتسع ثقبًا كبيرًا في السماء يدور ضوءً أزرقًا حول محوره بسرعةٍ غريبة وبداخله وقف رجل يرتدي عباءة سوداء تغطي رأسه ولا تُظهر ملامحه على الإطلاق.
شاهدته السيدة ليلى وصوتها لا يستطيع الخروج.
اختفى الرجل فجأة داخل الثقب الأسود، ثم انتقل من خلاله إلى غرفتها ووقف خلفها وذبح رقبتها بسرعة فتناثرت الدماء في كل مكان.
خرج من يد الرجل الغريب شعاعًا أزرق اللون دار حول ثقبًا آخرًا في الهواء ثم ألقى بالسيدة ليلى بداخله. اختفت الفجوة وكأنها لم تكن.
تجمعت قطرات الدم المتناثرة على أرضية الشرفة بجانب بعضها البعض ثم صعدت بخفةٍ نحو القمر الدموي وغاصت فيه فأصبح لونه أشد حُمرة من ذي قبل!

* * * *

استيقظت لورا من نومها وهي تشعر أن هناك شيئًا خاطئًا يحدث بالخارج.
نهضت من فراشها واتجهت إلى شرفتها ونظرت إلى السماء فرأت القمر لونه أحمر كالدم فتراجعت بضعة خطواتٍ إلى الخلف وهي تشعر بالفزع.
أيقظت زوجها وأخبرته بما رأته لتوها فنهض على مضض لينظر إلى السماء، ولكنه لم يرَ سوى النجوم المتلألئة فيها.
قالت لزوجها باستنكار:
- ولكن، لقد كان هناك منذ قليل.

أين اختفى بحق السماء؟

نظر إليها زوجها شزرًا وقال:

- أخبرتكِ مرارًا ألا تفرطي في شرب الخمر يا لورا.

قالها وتركها واقفة في شرفتها تبحث في السماء عن القمر الدموي الذي رأته منذ قليل، ولكنها لم تجده أبدًا.

اتجهت إلى غرفة الأمير مراد الذي فتح لها الباب بعينٍ نصف مفتوحة متسائلًا عن سبب وجود والدته في غرفته بعد منتصف الليل.

قالت له:

- عزيزي. هل أنت بخير؟

بدأت تتحسس وجهه وجسده بحثًا عن أية إصابة ولكنه كان سليمًا معافًا.

سألها باستغراب:

- ما الذي تفعلينه؟ هل أنتِ مخمورة؟

ضايقها سؤاله كثيرًا ولهذا قالت له وهي على استعدادٍ للرحيل:

- يراودني شعور سيء يا مراد. أظن أن هناك شيئًا خاطئًا يحدث، ولكنني لا أعلم ما هو. فقط توخي الحذر. لا أريد أن أفقدك يا بني.

تركته في حيرةٍ من أمره واتجهت إلى غرفة شيرين.

طرقت بابها ولكنها لم تفتح، فقلقت لورا وفتحت الباب بحذر.

رأت ابنتها نائمة في فراشها فنظرت إلى صدرها ولم تطمأن إلا عندما رأته يعلو ويهبط. "إنها بخير" طمأنت لورا نفسها.

عادت إلى غرفتها ثانيةً ونامت بجانب زوجها وهي تتذكر ذكرى سيئة للغاية.

بكت وهي تتذكر ما فعلته في الماضي.

إنها نادمة. إنها تعرف أن الحياة لن تتركها بلا عقاب. أشباح الماضي تطاردها. إنها خائفة ولا أحد يشاركها حزنها وخوفها. لا أحد يعلم ماذا فعلته. لو علموا، سيتغير كل شيء.

* * * *

لم يستطع مراد معاودة النوم بعد زيارة والدته له، لذا نهض من فراشه وخرج إلى الشرفة ينظر إلى المقابر البعيدة فرآه مرةً أخرى! إنه ذلك الشخص من جديد يأتي كل ليلةٍ منذ أسابيع ويقف في المقابر ينظر إلى شرفته.

لقد كان الرجل يرتدي عباءة بيضاء اللون وله شعر أبيض طويل للغاية يصل إلى قدميه. هكذا استطاع مراد ملاحظته.

ظل ينظر إلى الشخص الغريب الواقف بعيدًا عنه وهو يفكر هل يذهب إليه ويتحدث معه أم لا يبالي له من الأساس؟ لا بد أن هناك أحد ما يعرف بأمره.

هكذا ظنَّ مراد.

لا بد أن ذلك الغريب يعرف أن مراد من سحرة النور، وإلا لماذا يراقبه عن بعد؟ ما الذي يريده منه بالضبط؟ وهل لذلك الغريب علاقة بما حدث منذ قليل؟ هل شعرت والدته بالقلق بسبب رؤيتها لذلك الشخص الغريب؟ المشكلة الحقيقية هي أن مراد لن يستطيع إخبار أحد عن ذلك الرجل لأنه من الممكن أن يكشف عن سره عندما يفعل ذلك مما سيؤدي إلى سجنه ثم شنقه كسائر سحرة النور.

لم يفكر مراد طويلًا فأغلق الشرفة وخرج منها ليرتدي ملابسه ثم خرج من الغرفة يتجول في أنحاء القصر لعله يرى أي شيء غريب غير مألوف، ولكنه لم يجد سوى البرودة في فصل الصيف مما أثار قلقه.

إنه يعرف أن البرودة في المكان لا تعني سوى شيئًا واحدًا وهو وجود الوحوش أو الأشباح في المكان. لقد اكتشف مراد قدرته على ممارسة السحر في سن السادسة

عندما تشاجر مع داني، فتحركت بداخله في تلك اللحظة مشاعر غريبة لم يترجمها جسده سوى بالنيران البيضاء المميزة لسحرة النور.

يأس مراد من وجود أي شيء غريب يحدث في القصر فاتجه إلى المكتبة ليقرأ قليلًا. لا يدري لماذا عبرت صورة تلك الطاهية الجديدة في عقله مما جعله يبتسم وهو يتذكر ابتسامتها الساحرة وشعرها البني الجميل. ليست الأجمل على الإطلاق ولكنه يراها جميلة للغاية.

## ٥

عدت إلى القرية برفقة شقيقي أنس. لم أكن أعرف أنني سأفتقده إلى هذه الدرجة. حضنته بقوة عندما رأيته مما جعله يستغرب، ولكنه لم يُبدِ أي اعتراض. إنه شقيق مثالي. لقد عوضني غياب أبي عن حياتنا. إنني أعشقه.

جلست بجانبه في فراشه أحكي له عن نور وعن الأمير ونظراته إلي والكتاب الذي أهداه لي، وهو يصغي إليَّ باهتمام.

قال لي أخيرًا:

- لو مينا، اسمعيني جيدًا. لا تهتمي بما يفعله الأمير فنحن لا نعرفه جيدًا. ربما تكون نواياه خبيثة.

نهضت ووقفت بجانب فراشه استعدادًا للنوم وأنا أتثائب. قلت له:

- لا تقلق يا أنس. أنا لا أخاف بسهولة. تصبح على خير.

استلقيت في فراشي المريح وغرقت في نوم عميق كما لم أنم من قبل، ولم أستفيق إلا على صوت والدتي وهي تصيح بي لأن الإفطار أصبح جاهزًا وأنا لا أزال في فراشي. نهضت وارتديت ملابس العمل وتناولت طعامي ثم خرجت مع أنس وسرنا معًا

إلى المدينة الملكية. وصلنا إلى باب المدينة الملكية فأخبرت الحراس أنني أعمل في المطبخ الملكي وأريتهم ورقة بخط يد الملك وعليها الختم الملكي الذي أعطاها لي السيد كنان، بينما سلمهم شقيقي ورقة مكتوبة بخط يد صاحب العمل ومعه ختمه. إنه يعمل في محل الإسكافي في السوق الملكي.

سمحوا لنا بالمرور أخيرًا.

بمجرد أن دخلت القصر سمعت الملكة تصيح في أحد الحراس لأنها تقول أن والدتها مفقودة.

أين عساها تذهب؟ لقد بحثوا في غرفتها ولم يجدوا لها أثرًا، ولكنهم بعثوا برسالةٍ إلى مملكة بيورين لإخبارهم أن السيدة ليلى من الممكن أن تكون في طريقها إليهم.

المسافة بين مملكة الشمال ومملكة بيورين تستغرق في البحر يومين فقط، ولهذا من المستحيل أن تكون قد وصلت إليهم في هذه المدة القصيرة.

ذهبت إلى غرفة الملكة ومعي كوبًا من عصير الليمون.

كان الأمير مراد يتحدث معها عندما دخلت الغرفة.

وضعت الصينية فوق المنضدة فسمعت مراد يقول:

- أين عساها تذهب يا أمي؟ إنها لا تعرف سوى القصر الملكي والميناء.

كما أن صحتها لا تسمح لها بالتجول هنا وهناك. وأضيفي لهذا أن جميع الحراس قد أجمعوا على أنهم لم يروها أبدًا تخرج من باب القصر.

- كلامك هذا يقلقني كثيرًا يا مراد. إن لم يرها أحد وهي تخرج، إذن أين هي؟

لم أسمع المزيد لأنني خرجت من الغرفة وقتها واتجهت إلى غرفة الخدم. في الحقيقة، إن ما سمعته لتوي أمرًا مثيرًا للقلق.

إن لم يرها فعلًا أي حارس وهي تخرج، فأين اختفت بحق السماء؟ هل انشقت جدران القصر وابتلعتها؟

* * * *

أنهيت الكتاب الذي أعطاه الأمير لي، ولهذا قررت الذهاب وإرجاعه إليه.
كنت أعلم مسبقًا أنه في المكتبة لذا صعدت وطرقت الباب ففتحه لي ودعاني إلى الدخول. قلت له وأنا أسلمه الكتاب:

- لقد أنهيته يا سمو الأمير. إنه كتاب محير جدًا.

قطب جبينه وجلس على المقعد ثم دعاني إلى الجلوس على المقعد المقابل له، ففعلت والحيرة لا تتركني.
سألني:

- لماذا هو محير يا آنسة؟
- حسنًا. كلام المؤلف غريب جدًا. إنه ينحاز كثيرًا إلى سحرة النور، وخصوصًا ساحر النور الأعظم. لا أدري لماذا كتب في روايته أنهم أشخاص يفعلون الخير فقط، ويتصدون للشر وأن من يقول أنهم ممارسون للسحر الأسود فهو كاذب. تاريخ الممالك لا يخبرنا هذا كي أصدق ما قرأته.
- ليس كل ما يخبرنا به التاريخ هو الحقيقة الكاملة يا آنسة. مهما كان التاريخ دقيقًا في سرد الأحداث، فلا بد أن يغفل ذكر أمرًا ما.

استغربت كلامه، لذا سألت:

- ماذا تعني بالضبط؟

نهض من مقعده ووقف بجانب مقعدي ينظر إلى المكتبة أمامه. قال:

- هناك ألوان أخرى بين الأبيض والأسود، كالرمادي مثلًا! ليست الحياة كما تتخيلينها يا آنسة. من الممكن أن تجدين الخير إلى جانب الشر أو العكس.
- لماذا أنت منحاز إلى سحرة النور؟

تحولت نظراته إلي:

- ولماذا أنتِ ضدهم؟

لم أعرف كيف أجيبه على سؤاله، لذا تحاشيت الإجابة على هذا الموضوع بالذات ونهضت من مقعدي وقلت:

- لقد تأخرت كثيرًا وأخشى أن يلاحظ أحدهم غيابي.

أنا ممتنة للغاية من أجل الكتاب الذي أهديتني إياه، ولهذا السبب رأيت أنه من الواجب أن أهديك هذا الكتاب كي تقرأه. أتمنى أن يعجبك، حتى لو كان غلافه وأوراقه ليسوا بالجودة نفسها للكتب التي في المكتبة.

اقترب مني قليلًا وقال وهو يمسك بالكتاب الذي في يدي وقد قطب جبينه قليلًا:

- من الواجب أن تعطيني هذا الكتاب؟ وهل هناك واجب يا آنستي بين الأصدقاء؟

رفعت عيني إليه وضربات قلبي تزداد. سألت:

- أصدقاء يا سيدي؟

أجابني بابتسامةٍ ودودة:

- نعم، أصدقاء. ما العيب في هذا؟

ابتسمت إليه بخجلٍ وتركت الكتاب ثم غادرت الغرفة وأنا أفكر فيما أشعر به أمامه. إنه شعور غريب لا أستطيع فهمه. ولكنني لن أنكر أنه شعور جميل، حتى لو كان شعورًا غير مرغوب فيه!

انتهينا من إعداد الطعام ثم وضعناه فوق المائدة المستطيلة. تجمعت الأسرة الحاكمة، وكان من بينهم ذلك الشاب الوسيم الذي عرفت أنه ابن نائب الملك ويدعى آدم.

إن من ينظر إلى شيرين وابن نائب الملك سيفهم على الفور أن ما بينهما قد تجاوز حدود الصداقة بكثير، حتى وإن كانا يحاولان إخفاء هذا.

قالت شيرين لوالدها وهي مبتسمة:

- سأذهب بعد تناول الطعام مع آدم إلى رابطة محبي القراءة.

نظرتُ إلى الأمير فرأيته ينظر إلي بدوره، فاحمرَّت وجنتي قليلًا وتوترت كثيرًا.

نهضت شيرين بعد عدة دقائق وغادرت مع آدم فلاحظت أن مراد ينظر إليهما نظرات تحمل معاني كثيرة. إنه لا يطيق ذلك الشاب.

انتهى الجميع من تناول الطعام وتركوا لنا أعمالًا لا تنتهي أبدًا.

جاء إلي خادمًا يخبرني أن الأمير يريد فنجانًا من القهوة في المكتبة ففعلت ما أُمرت به، ولكن نظرات نور كانت تزعجني كثيرًا. طرقت باب المكتبة ففتح لي وقال:

- تفضلي.

دخلت المكتبة ووضعت الصينية على مكتبه. قال:

- كيف كانت عطلتكِ؟ لقد نسيت أن أسألكِ هذا الصباح.

لم أتمالك نفسي من الابتسام بسخرية. قلت له:

- عطلة؟ عن أية عطلة تتحدث يا سمو الأمير؟ عن ذهابنا من القصر ليلًا وعودتنا في الصباح الباكر؟

كان يبتسم لي رغم فظاظتي. سألني:

- هل أنتِ هكذا دائمًا؟

- هكذا؟ لا أفهمك.

- أقصد أنكِ ناقمة بشكلٍ كبير.

رفعت حاجبي وقلت له:

- ناقمة؟ هل لأنني غاضبة بسبب الوقت القليل الذي أقضيه مع أسرتي تقول عني أنني ناقمة؟ حقًا؟ أنسيت أنني سأظل أعمل في القصر الملكي طوال حياتي إلا إن دفعت مبلغًا محترمًا لنائب الملك كي يطلق سراحي؟ وهذا معناه وقتًا كثيرًا في القصر وقليلًا مع أسرتي!

- لم أقصدها بهذا الشكل. إنني فقط، لا أدري. منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيني فيها عليكِ وأنا أراكِ متجهمة وغاضبة. ألا تبتسمين أبدًا؟

إنه يمازحني بالطبع! غيرت الموضوع بسؤالي:

- هل ستذهب إلى رابطة محبي القراءة؟

ظهر الانزعاج على وجهه فقال:

- ولماذا بحق السماء سأذهب إلى مكان بغيض كذلك؟ لقد توقفت عن الذهاب إليهم منذ فترة كبيرة.

أصابتني إجابته بالدهشة فسألته:

- هل تتحدث عن رابطة محبي القراءة التي لطالما سمعت الأساطير عنها؟

- ها أنتِ تقولينها.

مجرد أساطير! إنه مكان بغيض يجتمع فيه أحقر الأشخاص وأغباهم على الإطلاق!

توقف عن الكلام لبرهة ثم أضاف:

- لماذا سأذهب إلى مكان مليء بأشخاص يلبسون أقنعة تخفي حقيقتهم وأنا أمتلك هذه المكتبة الجميلة؟

- لا أدري. أظن أنه لو مسموح لي بحضور ندواتها لكنت ذهبت. على الأقل هناك الكثير والكثير من الكتب. إنها كالجنة يا سمو الأمير. ألا تتفق معي؟

ابتسم وسألني:

- هل تريدين حقًا الذهاب إلى رابطة محبي القراءة؟

- هذا واحد من أحلامي الكثيرة التي لا أعرف هل ستتحقق أم لا.

نظر إليَّ طويلًا ثم قال أخيرًا:

- ستحققين جميع أحلامكِ يا آنسة. أعدكِ.

أربكتني نظراته. قلت:

- لا أريد أن أتأخر أكثر من هذا. لا بد أن أذهب الآن لأُكمل عملي في المطبخ.

- هل ستذهبين دون استعارة أخرى؟

- ماذا؟ هل ستعيرني كتابًا آخرًا؟

أمسك بكتابٍ كان موضوع فوق المكتب وتقدم نحوي وقال:

- أتمنى أن تستمتعي به مثلما فعلت.

أخذته دون أن أنطق بحرف، والغريب في الأمر أنه تركني أذهب دون أن ينطق بدوره.

وضعت الكتاب الجديد في حقيبتي فعثرت على المذكرات التي وجدتها في المكتبة.

لقد نسيت أمرها تمامًا. لا يوجد لدي وقت الآن لقراءتها. سأقرأها ليلًا عند انتهائي من العمل في المطبخ الملكي.

* * * *

أنهيت العمل في المطبخ الملكي واتجهت إلى الحديقة لأجلس فيها كي أقرأ.

نظرت إلى المقابر البعيدة عني قليلًا فسرت قشعريرة في جسدي عندما تخيلت نفسي ميتة! لا أدري لماذا أفكر دائمًا في الموت؟ نظرت لأعلى إلى السماء والنجوم المتلألئة ثم نظرت إلى نقطة بعيدة فلاحظته، وهنا جائتني فكرة عظيمة.

ذهبت إلى السيد كنان وسألته عن كيفية وصولي إلى أعلى البرج فأخبرني أنه عليَّ أن أصعد الدرج في نهاية الممر المؤدي إلى المكتبة. بعدما تأكدت أنهم نائمون جميعًا أخذت المذكرات معي ووصلت إلى أعلى البرج.

يا للروعة! أستطيع رؤية المملكة بأسرها من هنا. يا إلهي! إنه البحر! إنها المرة الأولى التي أراه فيها. البحر لا يوجد إلا في المدينة الملكية، وبالطبع النبلاء حرمونا من الاستمتاع به. سيكون هذا المكان هو المكان المفضل لي، جلست على الأرض والهواء البارد يداعب شعري ثم فتحت المذكرات.

**الصفحة الخامسة:**

الثامن والعشرون من شهر مارس

لم أستطع مقابلة تولين لأن نائب الملك أمسك بي أثناء هروبي من القصر. أنا أكرههم أكثر من أي وقتٍ مضى. لا أدري لماذا يحولون بيني وبينه؟ ما الضرر الذي سيلحقه

حب بريء بهؤلاء البشر؟ إنهم مغفلون. أبغض المغفلين والأغبياء. لقد كبرت شيرين وأصبحت طفلة جميلة أكثر من ذي قبل.

أنا أعشقها. أريد أن أنجب أطفالًا مثلها. أتمنى أن يكون تولين والدهم، وإلا قتلت نفسي.

التاسع والعشرون من شهر مارس

أخي وزوجته يتشاجران ثانيةً ولا زلت أجهل السبب.

أحيانًا أسمع بعض الخدم يتحدثون عن سبب مشاجراتهما.

بصراحةٍ لم أقتنع أن سبب المشاجرات الكثيرة هذه هو الغيرة.

إن زوجة أخي لا تحبه أساسًا فلماذا ستغار عليه بحق الإله؟ لماذا أكترث؟ أنا لا أكترث! أنا سعيدة لأنه يشعر بالتعاسة. هو وزوجته السبب في تعاستي. أفتقد تولين للغاية. هل يفتقدني؟

**الصفحة السادسة:**

الثلاثون من شهر مارس

حاولت أن أقنع والدتي أن تقنع أخي أن يسمح لي بالذهاب إلى القرية لأرى تولين، ولكنها رفضت بشدة وقالت إنني طفلة صغيرة لا تفهم شيئًا.

هل الأطفال يبلغون من العمر ستة عشر أعوام؟ إنهم أغبياء، وأنا لا زلت أكرههم جميعًا.

الأول من شهر أبريل

تجاوزت السيدة ليلى حدودها مرة أخرى.

إنها تحشر أنفها الكبير في جميع شؤوننا.

أعلم جيدًا أن أخي يكرهها ولا أدري لماذا يحتمل هرائها.

تشاجرت أمي معها لتدخلها في شؤوننا ولكن زوجة أخي تدافع عن والدتها وتتشاجر مع والدتي. لقد سئمت هذه الحياة. إن قتلت نفسي سيكون أرحم من العيش في هذا القصر البشع.

**الصفحة السابعة:**

الثاني من شهر أبريل

الآن أعلم السبب وراء تلك المشاجرات الكثيرة! ترغب السيدة ليلى في تزويجي لابنها ولكن والدتي رفضت الفكرة لأنها لا تريد أن تُبتلى بنسبٍ آخرٍ من تلك العائلة المريعة؛ وأخي بالطبع لا يريد أن يزوّجني لابن السيدة ليلى كي يبعده عن أمور مملكتنا فلا يجد الفرصة سانحة للتدخل في شؤوننا أكثر من ذلك، بينما تريد زوجته إبعادي عن المملكة بأسرها كي تسيطر وحدها على كل شي.

**الصفحة الثامنة:**

الخامس من شهر أبريل

توفيت أمي صباح اليوم! أنا...

الثاني عشر من شهر أبريل

توفيت أمي الأسبوع الماضي. صرت الآن بلا أب أو أم.

إنني وحيدة.

أتوسل إليك يا ربي أن تساعدني.

**الصفحة التاسعة:**

الخامس عشر من شهر أبريل

تصر السيدة ليلى وزوجة أخي أن أتزوج بأمير مملكة بيورين، لأنه حان وقت تتويجه بعد وفاة أبيه ثم سيحين وقت زواجه مني.

لقد أقنعوا أخي.

لا أدري بماذا أقنعوه ولكنه بات مُرَحِّبًا بالفكرة بعدما كان رافضًا كل الرفض.
سأنتحر.
السابع عشر من شهر أبريل
رأيت تولين اليوم.
أنا سعيدة جدًا.
لقد اتفقنا على الزواج.
نعم، سنتزوج.
العشرون من شهر أبريل
تزوجت تولين اليوم! استطعت الهرب من القصر ولم يشعر بي أحد.
تزوجنا واتفقنا على أن نتقابل في منزل أحد أصدقائه يوم السبت من كل أسبوع.
إنني سعيدة للغاية.

**الصفحة العاشرة:**

الحادي والعشرون من شهر أبريل
أنا سعيدة جدًا.
فجأة أصبحت الحياة جميلة.
إنني عاشقة!
الثاني والعشرون من شهر أبريل
مر شهر على زواجي.
لم يعلم أحد أنني متزوجة سوى كنان.
إنه صديقي المقرب وصديق لتولين.
إنه شخص طيب وعطوف.
إنه رائع.

أنا سعيدة للغاية.

**الصفحة الحادية عشر:**

الأول من شهر يونيه

إنني مريضة للغاية.

أظنني أحمل طفلًا في أحشائي! أنا خائفة.

ما الذي سيفعله أخي عندما يعلم؟ والغريب أن زوجة أخي حامل هي الأخرى!

العاشر من شهر يونيه

أحاول إخفاء نفسي في غرفتي.

لم أخبر تولين أنني حاملًا حتى الآن.

إنني خائفة جدًا.

هل أقتل جنيني؟ لا، أنا لست قاتلة.

إنني أريده بشدة.

ليحدث ما يحدث!

الثاني عشر من شهر يونيه

يا إلهي! إنه من سحرة النور! إنني خائفة جدًا.

ولكن أكثر ما يخيفني هو أن الطفل الذي بداخلي سيكون مثل تولين.

سيكون ساحرًا مثل والده.

كيف له ألا يخبرني إلا الآن؟ هل يقول هذا فقط كي يهرب بسبب حملي منه؟ ولكنه لا يعلم بعد أنني حامل. ما العمل الآن؟ ما الذي سيفعلونه به؟ هل سيقتلونه؟ أنا لا أكترث إن كان من سحرة النور. أنا أحبه ولا أعرف كيف أعيش بدونه. يا إلهي ساعدني!

**الصفحة الثانية عشر:**

الخامس عشر من شهر يونيه

أخبرت تولين اليوم أنني أحمل طفله بداخلي.

لم يبدُ متحمسًا للغاية.

بدا متفاجئًا وخائفًا بشكلٍ غريب. إنني ألتمس إليه العذر؛ فلا بد أنه خائفًا مما سيحدث إن علم أخي بأمره وبأمر طفلنا.

الخامس من شهر يوليو

يا ويلي! أظن أن زوجة أخي تعلم كل شيء.

كيف علمت بحق الإله؟ رأيت تولين اليوم ولكنه كان حزينًا للغاية ويتحاشى النظر في عيني. لماذا تغير فجأة؟ هل قلَّ حبه لي؟ أخبرت كنان، ولكنه تجنب التحدث عن الأمر.

إنه يعرف شيئًا ولكنه يخفيه عني.

ما الذي بينه وبين تولين؟

**الصفحة الثالثة عشر:**

العاشر من شهر يوليو

كيف يفعل هذا بي؟ أخبرني أنه لم يعد يطيقني وأنه سيعيش في مملكة بيورين! كيف يفعل هذا بي؟ أنا أكرهه.

لا بد أن أقتل طفلي.

سأنتقم منه.

أنا أكرهه ولم أكره أحد سواه!

الثاني والعشرون من شهر يوليو

علم أخي اليوم بكل شيء. اكتشف أنني أحمل بداخلي طفلًا عندما أخبرته أنني لن أستطيع الزواج من ملك مملكة بيورين لأنني متزوجة بالفعل!

إنه يريد قتلي! أقسم أنه كان سيفعل لولا تدخل نائبه الذي نصحه بالعدول عن هذه الفكرة! ما الذي يخطط إليه؟

التاسع عشر من شهر أغسطس

أخبرني كنان أن نائب الملك أقنع أخي بأن يتركني حبيسة غرفتي حتى ألد، ومن ثمَّ يستطيعون أخذ طفلي إلى ملجأ للأيتام دون أن يعرف أحدًا أنه طفلي! والأسوأ هو أنهم سيزوجوني قسرًا بواحدٍ من حاشية الملك. أين تولين بحق الجحيم؟ هناك أمرًا ما يعرفه كنان عن تولين ولكنه لا يحدثني عنه.

أصبح كنان صديقي الوحيد في هذه الحياة.

أظن أنني سألد ذكرًا.

هكذا قالت لي القابلة!

الصفحة الرابعة عشر:

العشرون من شهر سبتمبر

يبدو أن كنان ليس سعيدًا بخبر حملي أو حمل الملكة، ولا زال لا يوضح لي أي شيء.

الأول من شهر أكتوبر

لقد سئمت الحياة. سأنتحر.

الثاني من شهر نوفمبر

ماذا لو كانت الملكة تحمل أنثى بداخلها؟ هل سيأخذون ابني ويكذبون على الجميع؟

لا أحد يأخذ طفلي مني حتى لو تسبب هذا في مقتلي!

الأول من شهر ديسمبر

اقترب موعد ولادتي لطفلي.

أنا خائفة وبحاجةٍ إلى أمي.

إنها مدفونة في مقابر القصر ولكنها لا تستطيع مساعدتي.

أنا خائفة.

يا إلهي، أتوسل إليك ألا تتركني وحدي!

انتهت المذكرات ولم يعد هناك ما يمكنني قراءته.

ما هذا الهراء الذي قرأته للتو؟ ما الذي حدث لتلك الفتاة البائسة؟ هل انتحرت وقتلت طفلها؟ هل وضعت حقًا مولودًا ذكرًا؟ هل أنجبت الملكة فتاة أم أنجبت ذكرًا؟ لا أريد التفكير في هذا الأمر ولكن يبدو أن شقيقة الملك أنجبت مراد ولكن الملك والملكة تعاملا معه على أنه ابنهما، أو أن الملكة أنجبت مراد بالفعل ولكن الملك أخذ ابن شقيقته وقتله أو رماه في ملجأٍ للأيتام. هل من الممكن أن يكون مراد من سحرة النور؟ لقد بدأ الشك يساورني بعد دفاعه عن سحرة النور وجلوسه في المكتبة بعد منتصف الليل.

* * * *

إنه يوم السبت.

أثناء تناول الأسرة الملكية للطعام وصلت رسالة من مملكة بيورين يخبرون فيها الملكة أن السيدة ليلى لم تظهر بعد.

أين عساها اختفت؟ إنها لا تعرف أي شيء سوى القصر الملكي والميناء.

لا بد أن مراد له صلة بما حدث لها. بالطبع لن أخبر أحدًا لأنني سأقع في المتاعب على الفور.

قالت الملكة وهي تبكي ممسكة في يدها بكأسٍ من النبيذ الأحمر:

- أنتم لا تفهمون.

أنا فقط أشعر بالذنب لأنني تشاجرت معها في آخر لقاء بيننا.

هل من المعقول أنها خرجت من القصر ودهستها إحدى الأحصنة التي تجر العربات؟ هل يمكن أن تكون قد سقطت في البحر وهي تصعد إلى السفينة؟ هل انتحرت بسبب ما قلته لها؟

نهض مراد من مقعده وجلس بجانب والدته وقال وهو يربت على كتفيها:

- هذه مجرد وساوس يا أمي. إنها حية ترزق وستظهر قريبًا. أعدكِ بهذا.

لم يبدُ على الملك أو ابنته التأثر بما يحدث من حولهما.

يا لها من أسرة غريبة! كانا الاثنان يأكلان غير مباليان للملكة التي كانت تبكي بندم. لا بد أن والدتها علمت أن مراد من سحرة النور وأنه ابن شقيقة الملك وذلك المدعو تولين، ولهذا كانت تلوم ابنتها على ما فعلته.

ولكن إن كان هذا صحيحًا، فلماذا سيؤذيها مراد؟ أنا لا أرى أي خطأ اقترفته في حقه أو حق والديه، سوى أنها منعتهما من اللقاء في الماضي. ويظل السؤال الأكثر أهمية هو ما الذي حدث لتلك السيدة بالضبط؟ نظرت إلى الأمير مراد ورأيته ينظر لي باستغراب.

إنني خائفة منه. أظنه شعر بخوفي لأنه قطب جبينه ثم نهض وذهب.

انتهى اليوم ولم يحدث أي جديد. حتى أنني لم أرَ الأمير طوال اليوم.

استغليت وقت الفراغ في قراءة الكتاب الذي أعارني إياه بالأمس.

تذكرت أمرًا الآن.

أليس من الأفضل أن أعيد المذكرات إلى ذلك الصندوق؟ سأعيدها إلى المكتبة في أي وقت عندما تكون خالية، ولكن المشكلة هي أنني سأعيدها إلى أرفف المكتبة وليس إلى الصندوق حيث أخذتها منه لأنه اختفى بالطبع.

## ٦

إنه يوم الأحد.

وصلت رسالة أخرى من مملكة بيورين تؤكد أن السيدة ليلى لم تصل بعد.

لا بد أنها لن تصل أبدًا.

بالطبع وبخ ملك مملكة بيورين شقيقته الملكة وأخبرها أنه إن حدث مكروهًا لوالدتها فسيحملها المسؤولية الكاملة.

أنهيت الكتاب الذي أعارني إياه الأمير لذا رغبت في إعادته إليه.

صنعت كوبًا من القهوة واتجهت إلى المكتبة فرأيته جالسًا يطالع كتابٍ كعادته.

استأذنته للدخول فسمح لي بابتسامته المعتادة.

وضعت القهوة فوق المكتب فقال لي:

- ولكنني لم أطلب فنجانًا من القهوة.

قلت مبتسمة:

- أعلم. لقد أعددتها لك كهدية متواضعة جدًا. أعدك أنني سأبتاع لك هدية تليق بمقامك عندما يعطيني السيد كنان المال.

ظل ينظر لي وعلى ثغره شبح ابتسامة لم أفهمها. نهض أخيرًا من مقعده واقترب مني وقال:

- أتمنى أن يكون الكتاب قد أعجبكِ.

- لقد أعجبني بالفعل، ولكن عندي سؤال. لماذا تهتم بسحرة النور وبمملكة ليموريا؟

نظر بعيدًا عني ثم قال:

- لست مهتمًا بقدر ما أنا حائر. أريد معرفة الحقيقة.

سألته باستغراب:

- الحقيقة يا سيدي؟

بدا لي أنه يحاول تغيير الموضوع عندما سأل فجأة:

- هل ترين الأشباح في المكتبة يا لومينا؟

تفاجأت كثيرًا من سؤاله.

لماذا يسألني أنا بالذات؟ ما الذي يعرفه ولا يخبرني به؟ في تلك اللحظة تذكرت المذكرات، لهذا نظرت في عينيه طويلًا، ولكن الغريب أنه لم يعترض أو يندهش من نظراتي. لقد تبادلنا النظرات دون أن ينطق أحدنا بحرف.

أدركت فجأة أنني أطلت النظر في عينيه، فأبعدت نظري عنه ثم قلت بتوتر:

- لم أقل أنني رأيتهم من قبل يا سيدي، ولكنني أؤمن أنهم يتجولون ليلًا في القصر.
- ولماذا تؤمنين بهذا؟
- لا أدري. فقط أسمع أشياءً غريبة ليلًا وكأن هناك من يتشاجر أو يأن من الألم في المكتبة. هذا كل ما في الأمر.

لم يعلِّق على كلامي.

توجه إلى المكتبة واختار كتابًا ثم قدمه لي بابتسامة.

قلت له:

- أنا حقًا ممتنة لما تفعله معي.

أنا لا أعلم ما الذي فعلته كي أستحق هذا، ولكنني سعيدة جدًا بما تفعله.

أنت لا تعرف كم تُنسيني هذه الكتب مشقة العمل ورتابته.

ظننت لوهلة أنني أتحدث إلى نفسي! إن هذا الشاب لا يفعل شيئًا سوى النظر إلى عيني. هل يسمعني من الأساس؟ إن نظراته هذه تجعلني أتوتر كثيرًا.

* * * *

انتهى اليوم فصعدت إلى أعلى البرج ومعي الكتاب.

فتحته لأجد أمامي هذه الرسالة المكتوبة بخط يد منسق جميل:

"أتمنى أن تستمعي بوقتكِ يوم الجمعة القادمة."

ما الذي يتحدث عنه؟ لماذا سأستمتع بوقتي يوم الجمعة؟ فكرت في نزول الدرج والذهاب إلى المكتبة كي أسأله عما يقصده ولكنني غيرت رأيي، إذ رأيت أنها فكرة سخيفة.

انتهيت من قراءة نصف عدد صفحات الكتاب ثم شعرت بالنعاس لهذا نزلت إلى غرفة الخدم حيث الجميع يغط في النوم. وضعت الكتاب في حقيبتي فسمعت أصوات الهمسات فجأة. إنني خائفة للغاية. توجهت إلى المكتبة بلا تفكير فرأيت بابها مغلقًا فنظرت عبر ثقبه فرأيته للمرة الثالثة.

إنه الرجل ذو العباءة السوداء ويبدو أن هناك شخصًا آخرًا معه في الغرفة. ألصقت أذني بالباب فسمعت همسًا غير واضحًا.

لا أدري لماذا نظرت بجانبي فجأة.

هناك أحدًا قادمًا يمكنني رؤية ظله.

جريت إلى غرفة الخدم وانتظرت أمامها كي أرى من الذي سيدخل الغرفة.

لا بد أن من كان سيفتح الباب قد شعر بوجودي لأنه جرى بسرعة في الممر متجاوزًا المكتبة. صعدت الدرج لأرى من هو ولكنني لم أجد أحدًا هناك، حتى المكتبة كانت فارغة. ما الذي يحدث بالضبط؟ انتهزت الفرصة ودخلت المكتبة بسرعة ثم أشعلت الشمعة التي كانت موضوعة على المكتب وبحثت بعيني في الغرفة لعلني أرى أي شيئ غريب.

لم أرَ أي شيء ولكنني سمعت أغرب وأفزع صوت سمعته في حياتي؛ صوت مخيف يشبه صوت الرعد كثيرًا.

إنه صوتٌ مرعبٌ حقًا يصدر من المكتبة أمامي.

اتسعت فجوة في المكتبة ببطءٍ واستطعت رؤية الرجل ذو العباءة السوداء قادمًا منها نحوي وهو يوجه عصاه الغريبة باتجاهي.

كان قادمًا من ممرٍ حوائطه سوداء وأنواره حمراء كالجحيم. أمسكت بالشمعة وخرجت من الغرفة بسرعة لأصطدم بالأمير مراد فسقطت الشمعة فوق يده ولسعته تاركةً ندبة صغيرة. نظرت خلفي فرأيت المكتبة في حالتها الطبيعية ولا أثر للرجل ذو العباءة السوداء. قلت:

- أنا آسفة جدًا يا سيدي. أقسم لك أنني لم أرَك.
- لماذا تنظرين خلفكِ؟
- ماذا؟ لا شيء. انتظر هنا. سأذهب إلى المطبخ لإحضار الثلج.

تركته مسرعةً إلى المطبخ وأحضرت الثلج ثم توجهت إلى المكتبة ثانيةً.

وضعت قطعة من الثلج في منديل قماشي ثم وضعت المنديل فوق يده وظللت ممسكة به وهو ينظر لي كعادته. القلق والشك يتصارعان الآن بداخلي.

هل معاملته الحسنة لي دليلًا على أنه شخصًا طيبًا وليس ساحرًا شريرًا أم هي مجرد تمويه؟ لا أعرف حقًا. لم أستطع إخفاء ما أشعر به، لذا سألته بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- لماذا تأتي إلى المكتبة ليلًا يا سيدي؟
- أظن أنه من المنصف أن تجيبيني على السؤال نفسه، أليس كذلك؟

شعرت في هذه اللحظة أن الحقيقة هي طوق النجاة الوحيد بالنسبة لي.

تنهدت ثم أخبرته كل شيء وهو يصغي باهتمام.

نهض من مقعده فجأة فسقط المنديل على الأرض فأجفلت ثم قررت أن أذهب.

قلت له:

- ليلة هنيئة يا سيدي.

قال:

- لا تذهبي.

تعجبت كثيرًا من طلبه! تذكرت ما كتبه في الكتاب فسألته لذا قال:

- لن أخبركِ بالطبع. من المحتمل أن يخبركِ السيد كنان غدًا.

سكت ثم أضاف:

- هل من الممكن أن تجلسين رجاءً؟

فعلت ما طلبه مني.

سأل:

- هل تظنين أن اختفاء السيدة ليلى له علاقة بالذي رأيته في المكتبة؟
- في الواقع، أنا لا أعرف، ولكنني حائرة يا سمو الأمير.
- لماذا؟
- لأن أحدًا لن يصدقني.

أنا أتحدث عن مؤامرة داخل القصر الملكي.

إن حدث مكروهًا للسيدة ليلى فستنشب حربًا بين مملكة بيورين ومملكة الشمال. كما أنني لن أفلت من العقاب بالطبع.

- لن يعرف أحدًا أي شيء عما رأيته. سنحاول معًا حل هذا اللغز.

سألته مستغربة:

- معًا يا سيدي؟
- نعم، ألسنا صديقين؟

صديقان؟ أنا حتى لا أثق به.

لم أعلِّق بالطبع لأنني بصراحة لم أحدد بالضبط ما الذي أشعر به ناحيته.

إن كان يعتبرني صديقة فسأتظاهر أننا أصدقاء حتى تثبت براءته من عدمها.

هذا عادل بما يكفي.

سألته فجأة:

- كم عمرك يا سمو الأمير؟
- ستة وعشرون.
- وأنتِ؟
- واحد وعشرون.

نهضت من فوق المقعد فجأة عندما فكرت أنه ليس من اللائق أن أكون معه وحدنا في مثل هذا الوقت المتأخر.

قلت بتوتر حاولت إخفاءه:

- آسفة يا سمو الأمير ولكنني لا أشعر أنني بخير. أنت تعلم أن غدًا سنستيقظ مبكرًا كي نهتم بأمور المطبخ.
- إن حدث ورأيتِ أمرًا غريبًا ستأتين لي وليس لأحدٍ آخر، أليس كذلك؟

كنت خائفة منه.

ما الذي يريده مني بالضبط؟ أومأت دون أن أنطق بحرف، ثم تركته واتجهت إلى غرفة الخدم لأنام.

* * * *

إنه يوم الاثنين ولا زالت السيدة ليلى مختفية، أصبح القصر كئيبًا نوعًا ما وحالة من التوتر والخوف قد انتشرت بين العاملين به.

قال السيد كنان ببروده المعتاد:

- اصغوا لي جميعًا، هناك أخبار جيدة بالنسبة إليكم. قرر الملك منح يومين كاملين شهريًا لكم كعطلة تقضونها مع عائلاتكم. سنبدأ مثلًا بنور ولومينا، ستقضي لومينا عطلتها يوم الجمعة القادمة في القرية وستكون نور هنا في المطبخ، والجمعة التالية ستكون لومينا هنا ونور مع أسرتها.

فتحت حقيبتي وأمسكت بالكتاب الذي أعطاه لي الأمير ثم فتحته وقرأت ما كتبه بخطه المنسق. هكذا إذن! هذا هو ما قصده. لا بد أنه أقنع والده بمنح الخدم يومين في الشهر كعطلة. لماذا فعل هذا؟ لماذا يعيرني كتبًا ويتحمل فظاظتي معه؟

قالت واحدة من الخدم:

- هذا أمر غريب. لقد عملت هنا لما يقرب من عشرة أعوام ولم يمنحني الملك يومًا واحدًا كعطلة. لماذا غير رأيه فجأة؟

أجابها السيد كنان ببرود:

- عجبت لكم معشر القرويين! لا يروق لكم أي شيء!

* * * *

كنت أمشي في الممر عندما صادفت الأمير الذي أوقفني وقال:

- تعالي معي.

تبعته بالطبع ولكنني كنت متعجبة كثيرًا. صعدنا إلى أعلى البرج.

- هل تعرفين البحيرة التي في قريتكِ؟
- نعم، اعتاد والدي على اصطحابي إليها.
- هناك كهفًا بجانب البحيرة، أليس كذلك؟
- بلى.
- حسنًا.

يوم الجمعة سنذهب معًا إلى ذلك الكهف وسندخله.

قطبت جبيني وسألته:

- ماذا؟ لم يستطع أحد أن يدخله من قبل.
- أنتِ لا تعرفين شيئًا عني. سندخل ذلك الكهف يوم الجمعة وأعدكِ أنكِ ستطلبين مني دخوله ثانية.

سألته بحدة:

- ولماذا أنت واثق هكذا أنني سآتي معك؟

ابتسم ولم تتزحزح عينيه من على وجهي. شعرت بالسوء لفظاظتي معه فقلت:

- أنا آسفة يا سمو الأمير. لم أقصد أن أتحدث معك بهذه الطريقة.
- أخبرتيني من قبل أن واحدًا من أحلامكِ هو الذهاب إلى رابطة محبي القراءة، أليس كذلك؟ حسنًا. ذلك الكهف هو جنتكِ يا لومينا. ثقي بي.
- لماذا تفعل هذا معي؟ تعيرني كتبًا وتتحمل فظاظتي وتقنع والدك بمنحنا عطلات ثم تهتم بتحقيق أحلامي. أنت لا تعرف عني أي شيء يا سمو الأمير.

ساد الصمت بيننا ثقيلًا ويبدو أنه لن يقطعه أبدًا بإجابة سؤالي! قال أخيرًا وهو يهبط الدرج:

- يوم الجمعة في الرابعة أمام الكهف.

قضيت الوقت مشغولة البال أفكر فيما يحدث. أكثر ما يؤلمني هو الشعور الغريب الذي أشعر به وأنا معه. إن العالم يدور من حولي وأنا أنظر إليه. إنه لمن السخافة أن أشعر تجاهه بهذه المشاعر. إنه الأمير أو الساحر ذو العباءة السوداء. لا أعرف.

* * * *

إنه يوم الثلاثاء ولا زالت السيدة ليلى مختفية وحالة الملكة تسوء كل يوم أكثر من الذي قبله. أصبحت زجاجة الخمر لا تفارقها. ألا تكترث تلك المرأة لصحتها؟

أرجعت الكتاب إلى الأمير فأخذه مني دون أن يفتح فمه، والغريب هو أنه لم يعرني واحدًا آخرًا. لا أدري لماذا شعرت بالغيظ وقتها، ولكنني سرعان ما تجاهلت ذلك الشعور.

كنت أنظر إلى السقف وأنا مستلقية على فراشي بغرفة الخدم ليلًا عندما رأيت شيئًا غريبًا يحدث. يبدو أن هناك ما يشبه الحبل ولونه أسود يمشي على السقف! أغلقت عيني وفتحتها مجددًا فرأيت الحبل الأسود يتشعب ويكوِّن أشكالًا غريبة. رفعت الغطاء حتى قمة رأسي لكي لا أرى ما يحدث من فرط الخوف. سمعت خطوات شخص بجانبي وكأن هناك من يمشي مبتعدًا عني. اختفت أصوات الخطوات تبعتها أصوات همس قادمة من خارج الغرفة. نهضت من الفراش وصعدت الدرج إلى المكتبة فرأيت بابها مواربًا ويصدر منها ضوءً أحمرًا. يا إلهي! لقد فتح الرجل ذو العباءة السوداء معبرًا من خلال المكتبة ونسي أن يغلقه! أستطيع رؤية ما بداخل المعبر. هل أجازف بكل شيء وأدخله؟ ولكن إلى أين؟ وهل سأعود سالمة؟

رأيت الكتاب موضوعًا فوق المكتب ففتحت الباب بحذر ودخلت لألقي نظرةً إليه عن كثب غير مبالية بالمعبر المفتوح أمامي.

كان مرسومًا فيه أشكالًا لوحوشٍ وكائناتٍ غريبة بجانبها لغة لا أفهمها.

كُتِبَ فوق كل رسمة بخط اليد كلام لم أستطع فهمه.

صحيح أنني لم أستطع فهم لغة الكتاب ولكن هناك صفحة توضح كل شيء ولا تحتاج إلى لغة كي أفهمها.
هناك رسمة لرجلٍ يشرب شيئًا ما فأصبح رجلًا آخرًا! هل هذا ممكنًا؟ هل أستطيع تغيير شكلي؟ هناك رسمة أخرى لخيوطٍ سوداء تشبه التي رأيتها على السقف منذ قليل تخرج من ظهر رجل وتتجه إلى بوابة مخيفة يخرج منها كائنات ووحوش مرعبة.
شعرت بالخوف الشديد فأغلقت الكتاب وخرجت بسرعة ثم عدت إلى غرفة الخدم لأختبأ أسفل الغطاء.

## ٧

تجمع أفراد الأسرة الحاكمة صباح يوم الأربعاء حول المائدة لتناول طعام الإفطار.
فتح أحد الخدم الباب فجأة وتقدم من الملكة وقال وهو ينحني:
- جلالة الملكة، لقد وصلتني هذه الرسالة من جزيرة ميراكا وعليها ختم السيدة ليلى.

انتفضت الملكة مكانها وأخذت منه الرسالة بسرعة وفتحتها ثم بدأت في قرائتها صمتًا. أمسكت بكأسِ الخمر وتجرعته مرة واحدة. سألها الملك:
- حسنًا؟ هل ستخبروننا بما وُرد في تلك الرسالة أم ماذا؟

نظرت إليه باشمئزاز ثم قالت موجهة كلامها إلى مراد:
- إنها تقول أنها تمكث عند أصدقائها في جزيرة ميراكا. تبلغني أسفها الشديد لشعوري بالقلق ولكنها ترى أنني أستحق! ستة أيام وأنا ألوم نفسي على غيابها وهي تقول لي أنني أستحق! ستة أيام أبكي وأشرب الخمر بسبب اشتياقي لها ولم

تفكر بإخباري أنها لا زالت على قيد الحياة لتريحني من عذاب الضمير. وفي النهاية تقول لي أنني أستحق؟

نهضت الملكة وخرجت غاضبة من قاعة الطعام فنهض مراد بدوره واتجه إلى غرفة والدته ليواسيها.

فتح باب غرفتها واستأذن منها للدخول فسمحت له مبتسمة ابتسامتها الحنون. دخل مراد وجلس قبالتها، ثم قال:

- والدتي، أريدكِ أن تعلمين أن جدتي تحبكِ كما تحب ملك مملكة بيورين، ولكنها فقط تخاف عليكِ من الخمر ليس إلا.

ابتسمت بسخرية ثم قالت:

- هل تصدق ما تقوله يا عزيزي؟ إن كانت السيدة ليلى تحبني فإن لديها طريقة غريبة جدًا في إظهار مشاعرها لي.

ساد الصمت قليلًا، قطعه مراد بسؤاله:

- هل من الممكن أن أسألكِ عن شيءٍ ما؟
- أي شيء يا عزيزي.
- ما الذي كنتِ تقصدينه عندما أتت الرسالة من والدتكِ؟ ما الذي يعذب ضميركِ بهذا الشكل؟ وهل له علاقة بالسيدة ليلى؟

توترت الملكة قليلًا ثم اغتصبت ابتسامة وقالت له وهي تحاول أن تبدو صادقة قدر الإمكان:

- ما الذي تتحدث عنه؟ عذاب ضمير وما شابه. أنا فقط مستاءة لعلاقتنا المتوترة. هذا هو كل شيء.

في تلك اللحظة فقط تأكد مراد من كذب والدته.

نهض من مقعده وهو يبتسم لها ثم غادر الغرفة. دخل مراد غرفته وجلس فوق فراشه يفكر فيما أخبرته لومينا عن الرجل ذو العباءة السوداء.

إنه يعلم أنها ستفزع عندما تعرف حقيقته، ولهذا قرر الاحتفاظ لنفسه بسره الذي حاول جاهدًا إخفاءه عن الجميع. ولكنه ظل يفكر إلى متى؟ إلى متى سيتمكن من الكتمان؟

* * * *

إنه منتصف الليل ولم ترَ لومينا الأمير في أي مكان طوال اليوم مما جعلها تستغرب، ولكنها فكرت في إرجاع المذكرات إلى المكتبة قبل ظهوره فيها.

أخذت المذكرات واتجهت إلى المكتبة التي كان بابها مغلقًا، ففتحته ببطء فلم تجد أحدًا بداخلها.

تقدمت لومينا من المكتبة وبحثت عن الصندوق الذي أخذت منه المذكرات، ولكنها لم تجده. نظرت لومينا إلى المذكرات مرة أخيرة ثم وضعتها أمام الكتب المرصوصة بعناية في المكتبة.

استدارت لومينا فرأت فتاة ترتدي ثوبًا أسودًا واقفة أمام باب الغرفة. تسمرت لومينا مكانها ولم تستطع الحركة.

لم ترَ تلك الفتاة من قبل.

قالت لومينا بصوتٍ مرتعشٍ من الخوف:

- مرحبًا. من أنتِ؟

لم تجبها الفتاة التي استدارت ومشت وشعرها الأسود يتطاير من خلفها بشكلٍ مرعب وكأن هناك تيارات هوائية تتسبب في فعل ذلك له.

لحقت بها لومينا حتى وصلت إلى أعلى البرج. استدارت الفتاة ذات الشعر الأسود الطويل وأمالت برأسها ناحية الشمال وظلت تتفحص لومينا بعينيها الحمراوتين كالدم.

يدور ضوء أزرق حول حدقة عينيها بسرعةٍ رهيبة جعلت لومينا تقف مكانها كالتماثيل. اقتربت الفتاة ببطءٍ من لومينا التي وقفت مكانها دون أية حركة تنظر إلى حدقة عين الفتاة ذات الشعر الطويل.

إنها ترى أشياء تحدث بداخل عينيها، ولكن ما حدث بعدها فاق كل توقعاتها.

تغيرت الموجودات من حولها وتبدل المكان ليصبح مكانًا آخرًا وكأنها غاصت بجسدها في عين الفتاة! يبدو أنها غرفة السيدة ليلى، ولكنها مظلمة وباردة بشكلٍ عجيب. رأت لومينا السيدة ليلى مستلقية على فراشها وهي تحاول جاهدة أن تتنفس. "يبدو أنها تعاني من نوبة ضيق في التنفس" هكذا فكرت لومينا.

اقتربت من فراشها فرأت شخصًا يرتدي عباءة سوداء اللون يقف بجانبها! شعرت لومينا بالفزع فعادت بضعة خطوات إلى الخلف وهي تنظر إليه بعينينِ متسعتينِ عن آخرهما من شدة الاندهاش.

يبدو أنه لم يلحظ وجودها في الغرفة، بل ويبدو أن السيدة ليلى لا تلحظ وجودهما من الأساس.

نهضت السيدة ليلى من فراشها ولومينا تراقب ما يحدث، أما الشخص الغريب فوقف خلف السيدة ليلى التي يبدو أنها شعرت به لذا استدارت خلفها ولكنها لم تلحظه كما يبدو. لفت انتباه لومينا القمر الدموي في السماء لذا تقدمت من الشرفة فرأت الرجل ذو العباءة السوداء يخرج من ثقبًا أسودًا يدور ضوء أزرق حول محوره كحدقة عين الفتاة ذات الشعر الطويل.

استدارت لومينا ففزعت لرؤية السيدة ليلى تقف أمامها لا يفصلها عنها سوى بضعة سنتيمترات. من خلف السيدة ليلى رأت لومينا الرجل ذو العباءة السوداء والذي كانت ملامحه غير واضحة أبدًا وكأنه يلبس قناعًا من الغموض يمسك بخنجرًا ذبح به عنق السيدة ليلى بسرعة.

لم تحتمل لومينا هذا المشهد المؤلم ففتحت فمها كي تصرخ ولكن صوتها رفض أن يطيعها. نبضات قلبها تزداد ويدها ترتعش الآن من الخوف، أما ساقيها فلم تقو على تحمل جسدها أكثر من ذلك.

إنها متأكدة الآن أن السيدة ليلى لم تختفِ بل قُتلت! شعرت لومينا أنها تسقط داخل الثقب الأسود في السماء إلى المجهول.

الظلام من حولها يخنقها ويعتصر جسدها كأنه أفعى تفتك بفريستها.

سقطت على الأرض فجأة والثقب الأسود يغلق نفسه بنفسه وظل يصغر حتى اختفى في السماء.

لم تعد هناك فتاة ذات شعر أسود طويل، ولا وجود للسيدة ليلى أو الرجل ذو العباءة السوداء.

سمعت لومينا من خلفها خطوات تقترب منها.

قال الأمير وهو يمسك بذراعي لومينا ليساعدها على النهوض:

- ما الذي تفعلينه على الأرض في هذا الوقت يا آنسة؟

بعينين خائفتين نظرت إليه ثم نهضت.

لم ترد على سؤاله ولكنها اكتفت بقول:

- من الأفضل أن أعود الآن إلى فراشي. لا أشعر أنني بخير أبدًا.

أومأ مراد وقال:

- على الأقل سأصطحبكِ إلى غرفتكم.

قالت لومينا بصوتٍ مرتفع قليلًا تشوبه حدة لم يفهمها مراد:

- لا، سأذهب وحدي يا سمو الأمير.

قطب مراد جبينه مستغربًا من ردة فعلها، ولكنه تركها وشأنها وهو يفكر في طريقتها الغريبة معه.

نزلت الدرج تجر ساقيها وألقت نظرة سريعة على المكتبة فلاحظت وجود المذكرات على المكتب.

اتجهت إلى غرفة الخدم واستلقت في فراشها وهي تحملق في السقف فوقها حتى غرقت في النوم.

## ٨

إنه يوم الخميس.

كانت لومينا تشعر بالخوف فهي لا تعرف كيف ستستمر في العمل في القصر وهي مجبورة على كتم تلك الأسرار التي تكتشفها كل يوم؟

دقت الثامنة ولم يتبق سوى ساعتين فقط على عودتها إلى القرية، ولكنها لن تعود هذه المرة سوى يوم السبت.

كانت تمشي في الممر متجهة إلى غرفة الخدم كي تستعد للرحيل عندما صادفت الأمير وهو يخرج من المكتبة.

قال لها بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- معذرة يا آنسة، أريد أن أتحدث معكِ.

قالت بوجهٍ خالٍ من أي تعبير مثله:

- بإمكاننا التحدث هنا يا سمو الأمير.

اقترب منها وقال بصوتٍ منخفض قليلًا:

- لا، ما أريد التحدث عنه لا يمكنه أن يُقال هنا.

أشار بيده إلى المكتبة فدخلت لومينا وهي تنظر إلى المذكرات أمامها على المكتب. سأل الأمير وهو يقف بجانب لومينا وينظر إلى ما تنظر إليه:

- هل رأيتِ وجه الرجل ذو العباءة السوداء؟

أجابته على الرغم من استغرابها لسؤاله المفاجيء:

- لا، لم أرَه.

- هل تعرفين أي شيء عن الأميرة بروفان؟

إنها المرة الأولى التي تسمع فيها هذا الاسم لذا سألته باستغراب:

- من؟

نظر إليها مراد ببرود وقال:

- لا تكذبي من فضلكِ.

أعرف أنكِ قرأتِ كل شيء في مذكرات الأميرة بروفان.

كان العالم يدور من حولها. هل سيشي بها ويخبر الملك أم سيطردها لتجسسها وسرقتها لمذكرات عمته؟ وهل سيزجون بها في السجن أم سيقتلونها؟ إنها لا تعرف أي شيء الآن سوى أنها خائفة.

قالت له باستسلام:

- نعم، لقد قرأت المذكرات. وماذا في ذلك؟

- إذن لماذا كذبتِ؟

قالت بحدة:

- لأنني لا أثق بك يا سمو الأمير!

- لماذا؟

- هل تعلم كيف مات أبي يا سمو الأمير؟ لقد قتله واحدًا من سحرة النور.

قالتها بحزنٍ ثم تركت الغرفة وعيناها مغرورقة بالدموع، تاركةً مراد مندهشًا مما سمعه. نزلت لومينا إلى غرفة الخدم وأخذت حقيبتها وارتدت ملابسها ثم صعدت الدرج فلم تجد الأمير بداخل المكتبة.

خرجت من القصر ومشت في المدينة الملكية تنظر إلى الأشخاص من حولها وتتعجب لأحوالهم.

إنهم يعيشون في رفاهية مثيرة للحنق.

منازلهم مبنية بالطوب الأبيض ونظيفة للغاية بينما هم يعيشون في أكواخٍ مبنية من الخشب الذي يسمح بتساقط الأمطار فوق رؤوسهم في فصل الشتاء.

ترتدي نسائهم أرقى الملابس والأحذية بينما لومينا ترتدي جودة رديئة منها.

سارت في المدينة الملكية التي كانت عبارة عن لوحة فنية جميلة رسمها فنانٌ بارع أحسن تصميمها، ولكن الفضل يعود لرجال القرية الذين بنوها ولكن لا أحد يذكرهم.

إنهم يذكرون المهندس الرائع الذي أتى من مملكة بيورين كي يصمم لهم المدينة الملكية، متناسين أولئك الذين أرهقهم العمل في بناء بيوت فاخرة لهم.

توقفت لومينا عن السير عندما رأت فتاة صغيرة ممسكة بيد والدها فتذكرت نفسها وهي صغيرة فأدمعت عيناها.

قال صوت مألوف من خلفها:

- هل تنتظرين أحدهم يا أميرتي؟

ابتسمت فور سماعها لصوته ثم استدارت وقالت:

- مرحبًا يا عزيزي، لنذهب الآن رجاءً.

أمسك أنس بيدها كما كان يفعل والدها واتجها إلى باب المدينة الملكية ثم خرجا منها.

عندما وصلا إلى الكوخ ورأت لومينا والدتها جرت واحتضنتها كأنها لم ترها منذ سنين وليس أيام. جلست لومينا بجانب شقيقها ونظرت إليه بعينٍ حزينة مما جعله يستغرب، لذا سألها:

- حبيبتي، هل أنتِ بخير؟

أجابته بعد تفكير قائلة:

- أنا متعبة قليلًا.
- تعالِ هنا.

اقتربت منه فاحتضنها كما كان يفعل والدها.

ابتسمت لومينا ثم قالت:

- هل تتذكر ذلك الكهف الذي اعتاد والدنا اصطحابنا إليه؟

استغرب أنس، ولكنه قال:

- آه، أظن ذلك. ولكننا لم نستطع أن ندخله أبدًا، أليس كذلك؟
- بلى.
- ولكن لماذا تسألين؟

أدركت لومينا أنها لم يكن ينبغِ عليها أن تتحدث عن ذلك الكهف.

قالت بارتباك:

- لا شيء. لقد تذكرته فجأة.

سألها أنس بقلق:

- ماذا هناك يا لومينا؟ هل أنتِ بخير؟
- في الواقع، لا أدري. هل سيوافق نائب الملك إن علم أنني أود ترك العمل في المطبخ الملكي؟

ساد الصمت بينهما قطعه أنس بعد لحظات:

- أخبركِ كبير الخدم أنه بمجرد بدئكِ في العمل في القصر الملكي سيكون هذا بمثابة عقد أبدي، أي سيكون هذا كالسجن بالنسبة إليكِ.

هل تعرفين أنني كنت أتمنى ألا يوافقون على عملكِ في المطبخ الملكي؟ أو حتى يتم طردكِ قبل انتهاء الأسبوع الأول، ولكن الغريب أن ذلك لم يحدث أبدًا.

إن من يعمل في القصر يا لومينا يرى من النعيم ما لن يره أي خادم في أي مكان آخر، ولكن هذا مقابل عمله في القصر حتى وفاته!

قالت لومينا بخيبة أمل:

- وما الذي سيحدث إن طلبت من كبير الخدم أن يطلق سراحي؟
- سيغضب الملك بالطبع وسيعتبرها إهانة له، ومن المحتمل أن يأمر بسجنكِ! لقد حذركِ كبير الخدم، أليس كذلك؟
- لا أتذكر هذا.

أمسك أنس بيد شقيقته وسألها:

- ما الذي يرهق روحكِ بهذا الشكل؟

لم تعتَد لومينا على إخفاء الأسرار عن شقيقها، ولكنها هذه المرة تعلم أن ما علمته في القصر لا يمكن أن يخرج خارج جدرانه، لذا قالت محاولةً أن تبدو صادقة:

- إن القصر الملكي مكان خبيث للغاية، يحيك الناس فيه المؤامرات لكسب السلطة. أنت تعلم ما أتحدث عنه، ولكنني سأبتعد عن المتاعب كلما استطعت. لا تقلق.

ابتسم شقيقها ولكن بداخله كان يعلم أنها تخفي أمرًا ما، وبالرغم من هذا تظاهر بأنه يصدقها فطبع قبلة فوق جبينها وتركها لتنام.

استلقت لومينا على فراشها وهي تفكر في الأمير وفي ما حدث في الأسبوعين الماضيين، ثم تذكرت فجأة أن الأمير دعاها للذهاب إلى الكهف.

إنها حائرة لا تعلم هل ستذهب أم لا؟ ظلت تفكر فيما ستفعله، ثم توصلت لقرارها الأخير. ستذهب وستتقرب إليه لتعرف ما حدث بالضبط لبروفان وما يحدث في القصر الآن.

* * * *

لم يعد الملك من سهرته مع نائبه حتى الآن.

لقد أنهت لورا ما يزيد عن زجاجة من النبيذ الأحمر.

إنها تشعر أنها تطير فوق السحب في السماء.

مستلقية فوق فراشها تبتسم ببلاهة محملقة في الفراغ أمامها.
ولكن الشعور بالسعادة المفرطة غير المبررة الذي يمنحها إياه النبيذ قد تلاشى فجأة مما جعلها تنهض من فراشها تترنح وهي تعاني من صداع شديد.
وقفت في الشرفة تنظر إلى المقابر كعادتها فظنت أنها رأت شخصًا ما يقف هناك. إنها تعرف أنها ثملة ولكنها المرة الأولى التي ترى فيها أشياء كتلك.
شعرت بالخوف، لذا أغلقت شرفتها واتجهت إلى فراشها تختبأ أسفل الملاءة التي كانت تغطي جسدها.
إنه فصل الصيف لكنها تشعر بالبرد الشديد!
نهضت من فراشها متجهةً إلى خزانة ملابسها كي ترتدي ما يدفئها ويبعد عنها لسعات البرد التي توخزها كالإبر! فتحت الخزانة، ولكنها شهقت مما رأته.
أصبحت الخزانة بابًا لغرفة أخرى.
إنها لا تتذكر معالم تلك الغرفة، ولكنها فضولية تريد أن تعرف ماذا يحدث.
مشت بخطواتٍ ثقيلة داخل الخزانة التي اختفت فيها الملابس وأصبحت مجرد بابًا يفصل بين غرفتها وغرفة أخرى.
مشت لورا في الغرفة المظلمة نسبيًا إلا من ضوء القمر حتى وصلت إلى مقعدٍ صغير كان يجلس فوقه رجل غريب.
نهض الشخص واستدار فجأة ثم ابتسم لها ومد يده وهو يقول:
- ها أنتِ ذا. لقد ظننت أنكِ لن تأتين أبدًا.
سألت لورا بصوتٍ مرتعش:
- هل كنت تنتظرني؟
أجابها الغريب مبتسمًا:
- بالطبع يا عزيزتي، سأنتظركِ دائمًا!

مدت لورا يدها فأمسكها الغريب لتتبدل الموجودات من حولها ولتصبح الغرفة مضيئة وأكثر اتساعًا من ذي قبل مليئة بأناس يرتدون ملابس رسمية تخص الحفلات يرقصون على أنغام الموسيقى. حتى هي أصبحت مثلهم ترتدي ما يرتدونه. إنها ترقص على أنغام الموسيقي مع الغريب. ظلت لورا ترقص على أنغام الموسيقى مع ذلك الغريب لمدة ليست بالقصيرة أبدًا. لم تشعر بهذه السعادة منذ مدة. لقد افتقدت ذلك الشعور الجميل. إنه شعور بالحب والحنان افتقدته كثيرًا، وبخل به الملك عليها.

كانت ترقص وكأن ما تراه حقيقي.

إنه كذلك بالنسبة إليها على الأقل. يبدو أنها تذكرت فجأة أن هناك شيئًا غير طبيعي، لذا سألته:

- ولكن، أنا لم أرَكَ من قبل. من أنت؟

بتعبيرات وجه مندهشة أجابها:

- هل يعقل هذا؟ هل نسيتي بهذه السهولة؟

ابتسمت له ثم قالت:

- لا أدري. فقط أخبرني من أنت؟

توقفت الموسيقى في تلك اللحظة وساد الصمت. لقد توقف الجميع عن الحركة. اقترب منها الغريب وهمس في أذنها:

- أنا الماضي، والحاضر، والمستقبل!

لم تفهم لورا ما قاله أو ماذا يعني بقوله هذا، ولكنها لم تهتم بما قاله كثيرًا لأن اهتمامها انصب الآن على أشكال الناس من حولها.

لقد أظلمت الغرفة تمامًا، ولكن كان هناك شعاعًا من ضوء القمر المخيف يتسلل من نافذة القاعة التي تتواجد فيها.

أصبحت أشكالهم السعيدة الدافئة باردة بشكلٍ غريب شاحبة وكأنهم أموات خرجوا للتو من قبورهم.

كانت الديدان تملأ أجسادهم ووجوههم المتعفنة.

تراجعت لورا بضعة خطوات إلى الخلف فلاحظت انعكاسها في المرآة بجانبها. إنها تشبههم.

إنها مثلهم! أطلقت صرخة عالية معلنةً عن فزعها مما تراه.

ظلت تصرخ وتصرخ حتى أمسكت بها يدين قويتين.

ظلت تصرخ وتبعد اليدين عنها وهي تقول:

- ابتعد عني. ابتعد عني.

قال الملك بحدة:

- ما الذي تفعلينه هنا يا امرأة؟ هل جننتِ؟ هل أفقدكِ الخمر عقلكِ؟

بمجرد سماع صوته، أدركت لورا أنها في غرفتها وأن زوجها بجانبها.

إنها جالسة على الأرض أمام الخزانة المفتوحة ودموعها تنسدل على وجنتيها.

سألته:

- متى أتيت؟ لقد انتظرتك، ولكنك لم تأتِ.

- هيا انهضي.

حملها بين ذراعيه ووضعها في الفراش كالطفل الرضيع.

نظرت إليه لورا بعينٍ حزينةٍ، ثم حاولت تقبيله رغمًا عنه، ولكنه تقزز من رائحة الخمر المنبعثة من فمها فأبعدها عنه بلطفٍ قائلًا:

- اخلدي إلى النوم يا لورا. ستتحدث غدًا.

قالت متوسلة:

- ولكنني أفتقدك يا إيمار. أفتقدك كثيرًا.

إنه لا يفتقدها.

لم يشعر بالحب تجاهها أبدًا بل كان يحتقرها، ولكنه لم يُظهر هذا أبدًا.

كان اشمئزازه منها يظهر في تلك الأوقات التي يقضيها بجانب الفتيات في منزل نائبه الأرمل. إنه يبقيها بجانب عرشه لأنها والدة ابنه وابنته.

لا بد أن يبقيها من أجل المناسبات الرسمية، وحتى لا يكثر القول عنه بسبب ما يفعله بعد منتصف الليل كل ليلة في منزل نائبه.

كما أنه يبقيها في قصره بسبب المصالح المشتركة بينه وبين شقيقها، ملك مملكة بيورين.

قال أخيرًا:

- لتنالي قسطًا من الراحةِ الآن، وستتحدث غدًا.

أومأت لورا بعينٍ دامعةٍ وقلبٍ مفطور ثم حاولت أن تنام. خرج الملك من الغرفة متجهًا إلى غرفة مراد الذي فتح الباب بعينٍ نصف مفتوحة قائلًا:

- مرحبًا يا جلالة الملك. هل كل شيء على ما يرام؟

دخل الملك غرفة ابنه دون أن ينطق بحرف. استغرب مراد كثيرًا، لذا سأله:

- هل أنت بخير؟
- نعم، اجلس من فضلك. إنها والدتك.
- ماذا بها؟
- أنا لا أعرف ماذا أفعل معها بعد الآن.

تقدم مراد من والده وقال بهدوء:

- فقط أخبرني ماذا حدث؟ هل هي الخمرة مجددًا؟

قال الملك وقد ازداد غضبه:

- إنها الخمرة دائمًا. لا أعرف ما الذي تفكر فيه. هل تصدق أنني عدت منذ قليل فوجدتها جالسة على الأرض أمام خزانة الثياب المفتوحة تتحدث مع ملابسها؟ نعم يا بني، لقد كانت تتحدث مع ملابسها وكأنها أشخاص!
- إنه النبيذ كما تعلم. لا تشغل بالك الآن. اذهب إلى غرفتك يا والدي و اخلد إلى النوم، وأنا سأتحدث معها غدًا.

نهض الملك ثم قال وهو يتجه إلى باب الغرفة:

- حسنًا. بالمناسبة، سيعلن نائبي زواج شيرين وابنه آدم غدًا. إنهما عاشقان كما تعلم.

نظر مراد إلى والده وقال بحدة:

- ألا تظن أن قرارًا كهذا كان يجب مناقشته مع زوجتك وابنك أولًا؟

- لا، لا داعي. سيقوم ليث بعمل كل شيء. اخلد أنت الآن إلى النوم. نومًا هنيئًا.

غادر الملك الغرفة ومراد ينظر إلى الباب المفتوح بكراهيةٍ وحقدٍ لم يشعر بهما من قبل. إنه يكره تصرفات والده التي تنم عن ضعفٍ عميق في شخصيته التي يتحكم فيها نائبه كالدمية.

يعتقد مراد أنه لا بد أن أذني والده لا تعمل إلا عندما تسمع صوت نائبه. وقتها فقط تعمل بكفاءة، ثم تعود عاطلة عن العمل ثانيةً عندما يتحدث أحد غيره!

## ٩

ارتديت ملابسي وخرجت من الكوخ ثم اتجهت إلى الكهف.

اضطررت إلى الكذب على والدتي وشقيقي بحجة الذهاب إلى صديقة لي تعيش بجانب الكهف عند البحيرة، وبالطبع صدقوا ما قلت.

نعم، أنا أشعر بالسوء، ولكنني مضطرة إلى الكذب كي أكتشف حقيقة ذلك الشاب وما يريده مني بالضبط!

في الواقع، لم أتوقع أبدًا أن أجده واقفًا أمام الكهف ينتظرني بابتسامةِ ظفرٍ على محياه! يبدو أنه يظن نفسه قد انتصر، ولكنه لا يعرف بعد ما أنتويه. وقفت أمامه أتأمل ملابسه قليلًا، ثم قلت:

- ألم يلحظك أحدهم يا سمو الأمير؟ أظن أن ملابسك تفضح أمرك.
- لا أحد يلاحظ شيئًا.

نظرت إلى الكهف ثم قلت:

- حسنًا، لقد أتيت في الموعد كما طلبت. والآن أنا أرغب حقًا في معرفة طريقة دخولنا إلى هذا الكهف الذي لم يستطع أحد قبلنا دخوله.
- سندخله بعدما نفتح بابه بالطبع!

سألته باستغراب:

- بابه يا سمو الأمير؟
- فقط أغمضي عينيكِ. هذا هو كل ما أطلبه منكِ!
- ولماذا سأفعل ذلك بحق الإله؟
- افعلي ما آمركِ به دون طرح الأسئلة من فضلكِ!

أغاظتني طريقته الآمرة، ولكنني فعلت ما يريده وأغمضت عيني بالفعل.

سمعت صوت غريب، ثم فجأة فتحت عيني لأرى الصخرة التي تسد مدخل الكهف قد فُتحت لتفسح لنا المجال للعبور.

كانت هناك مجموعة من الصخور تسمح لنا بالنزول عليها إلى أرض الكهف الكبير. كان الكهف هو أجمل ما رأته عيني؛ فصخوره ملونة جميلة منها الحمراء والزرقاء والصفراء، وتوجد بحيرة صغيرة مياهها زرقاء صافية جدًا في منتصف الكهف وعلى شاطئها قاربًا صغيرًا واقفًا بانتظارِ من يصعد عليه.

قلت بعينٍ مذهولة:

- ما هذا الذي أراه؟ يا للروعة! لم أرَ في حياتي مثل هذا الجمال من قبل.

توجه مراد إلى القارب وقال:

- هيا بنا.

ذهبت إلى القارب ثم صعدت على متنه فبدأ مراد في التجديف. كنت أستمتع بالنظر إلى كل ما هو حولي بينما الأمير يراقبني مبتسمًا.

رسا القارب على الضفة المقابلة فنزلنا ووقفنا نحدق في الصخور الزرقاء التي كانت متراصة بجانب بعضها البعض لتكوِّن منظرًا بديعًا للغاية.

سألته:

- كيف لهذا الكهف أن يكون مضاءً ولا أثر هنا لأي مصباح أو شمعة أو فتحات تسمح لدخول آشعة الشمس؟ إن هذا المكان عجيبٌ حقًا.

لفت نظري فجوة في الصخور تسمح لشخصٍ واحد فقط بالعبور، رأيت الأمير يدخل هذه الفجوة ويشير لي كي أتبعه.

مشيت في ممرٍ قصير ثم خرجت منه إلى مكانٍ يشبه الكهف ولكنه نسخة مكبرة منه دون وجود للبحيرة.

فوق كل صخرة كان كتابًا ينتظر من يقرأ ما فيه من عوالم غريبة.

نظرت إلى آلاف الكتب من حولي وقلت:

- يا إلهي! هل نحن في الجنة يا سمو الأمير؟

ابتسم مراد وأومأ بالإيجاب.

سألته:

- كيف عثرت على هذا المكان بحق السماء؟
- من يبحث عن الجمال سيعثر عليه دائمًا يا آنستي. فقط من يبحث عنه بقلبٍ صادق!
- ولكن، ما هذا المكان بالضبط؟
- أليست الإجابة واضحة؟ إنها المكتبة الضائعة بالطبع!

قلت باندهاش:

- يا إلهي! المكتبة الضائعة لمملكة ليموريا؟ لقد ظننت أنها أسطورة.

- لا، ليست أسطورة أبدًا. إن ما ترينه الآن من آلاف الكتب والمخطوطات هو الكنز المتبقي من مملكة ليموريا.
- ولكن، كيف عثرت على هذا الكهف؟ وهل يعرف أحد آخر مكانه؟
- من الجيد أنكِ ذكرتِ هذا الأمر. اسمعيني جيدًا، هذا الكهف ليس لجميع البشر يا آنسة.

من يعثر على هذا الكنز سيكون أقوى شخص في العالم! أنا لا أقول هذا كي أخيفكِ، ولكنها الحقيقة. لقد أخفى ساحر النور الأعظم هذه المكتبة هنا كي لا يجدها أصحاب النفوس المريضة الذين يريدون استخدامها في إيذاء الناس.

اجلسي وسأحضر لكِ المخطوطات التي عثرت عليها هنا.

سنقرأها معًا وستفهمين كل شيء.

جلست على إحدى الصخور أنظر إليه وهو يتجه إلى ركنٍ في الكهف. أمسك بصندوقٍ صغير الحجم ثم فتحه وأخرج مجموعة من الأوراق ثم تقدم نحوي وجلس بجانبي.

أعطاني الأوراق وقال:

- كتب ساحر النور الأعظم هذه الأوراق منذ ثلاثمئة عام.

اقرأيها رجاءً.

أمسكت بالورقةِ الأولى وبدأت في القراءة:

"إلى سحرة النور:

أكتب إليكم لأحكي عن حكاية لن تسمعوها من أحدٍ قط. أكتب إليكم قبل فوات الآوان، لأنكم أمل مملكتنا الوحيد، أكتب إليكم ما حدث بالضبط لأن العالم سينسانا وسيخبركم الأكاذيب عننا.

كانت مملكة ليموريا تعيش في رغدٍ ورفاهية وهي لبقية الممالك كالشعلة المضيئة. أراضيها خصبة تنتج أفضل المحاصيل التي لا يمكن أن تجدونها في أي مملكة أخرى. طقسها دائمًا معتدلًا جميلًا يود سكان باقي الممالك لو أنهم يعيشون فيه.

بيننا عدل ونظام، والكل غني ولا يوجد مكان لكلمة فقير بيننا.
كلنا نعيش في مكانٍ واحد، وليس هناك من يسكن المدينة الملكية ومن يسكن القرية كحالِ بقية الممالك. لم نختَر شخصًا واحدًا ليحكمنا، فنحن جميعًا بمثابة ملوك ومليكات للمملكة بأسرها، نحكم أنفسنا ولا مكان للضغينة بيننا.
لدينا أفضل الأطباء والعلماء البارعين في كل شيء، ولدينا أقوى جيش في العالم، يحقد علينا الجميع ويتمنون لنا الفشل والسقوط.
حتى جاء اليوم الذي تمرد فيه أحدنا على كل شيء لأنه لم يستطع أن يتعايش مع طبيعتنا المسالمة فعرض علينا تسخير قوانا في استعباد الممالك الأخرى واستغلال علمنا في التحكم في العالم بأسره ولكننا رفضنا وهددناه بالطرد من مملكتنا إن سيطرت عليه هذه الأفكار الخبيثة مرة أخرى، فترك المملكة بعدما هددنا أننا سنندم جميعًا.
تحتوي مكتبتنا العريقة على كتبٍ ومخطوطات تمنح من يفهمها القوة والعلم، فهناك كتابًا عن السحر الأبيض، وآخرًا عن السحر الأسود.
أراد شقيقنا الضال أن يستخدم قوتنا في مساعي خبيثة فتمرد على عاداتنا وتقاليدنا ثم أحضر الخراب لمملكتنا عندما سرق كتاب السحر الأسود وهرب من مملكة ليموريا وعاش بعيدًا عنها ثم أتقن فنون ذلك السحر البغيض.
عندما وصلتنا هذه الأنباء المؤسفة ذهبنا إليه لتحذيره ولكنه رفض النقاش تمامًا ولم يستمع إلينا، فكانت قوى الشر والحقد هي من تتحكم به.
علمنا بعدها أنه كوّن جيشًا باستخدام كتاب السحر الأسود وسخّرهم لحمايته، وجنّد ثلاثة رجال من مملكة الجنوب والشرق والغرب ليكونوا خادميه فذيع صيتهم في جميع الممالك وكأنهم المخلّصون، فتجدوا من يريد أن يحقق أمانيه يذهب إليهم.
وبالفعل ذهب إليه الكثير من سكان الممالك الأخرى وتحققت أحلامهم وأمنياتهم.
وعندما جاء يوم سداد الدين لشقيقنا الضال الذي أصبح الآن معروفًا باسم

"الساحر الأسود" انتشر الذعر والفتنة بين الناس، لأن الثمن لم يكن سوى الدم مقابل ما فعله لهم فبدأ الناس في قتل بعضهم البعض لسداد الدين.

لم يستطع ملوك الممالك الأخرى السيطرة على الأحداث المؤسفة فلجؤوا إلينا. أخبرناهم أننا تناقشنا معه ولكنه رفض ولهذا قُرعت طبول الحرب، فخسرت الممالك الأخرى الكثير من الأرواح.

قررنا الاستمرار في هذه الحرب وحدنا فنصحنا واحدًا منا بأن نُخبأ الكتب والمخطوطات بعيدًا عن مملكة ليموريا منعًا لضياعها أو وقوعها في يد من يستخدمها لصالح الشر فخبأناها كلها في مكان بعيد عن مملكتنا ورسمنا خريطة لمكانها. ثم أمرنا الممالك الأخرى بالتراجع وخضنا الحرب ضد الساحر الأسود وجيشه، وانتصرنا في النهاية على سكان مملكة الجحيم وأهلكناهم بالنيران البيضاء التي تنتجها أجسادنا، فكنا نحرقهم بها فيتلاشوا من عالمنا. عندما رأى الساحر الأسود هزيمته لم يستطع تقبلها فأحرق قلوبنا بإغراق مملكتنا الغالية أسفل البحر الأزرق. غرقت المملكة كلها تحت قاع البحر.

استطعنا قتله في النهاية، ولكننا خسرنا أشقاءنا ومملكتنا مقابل ذلك. وبعد انتهاء الحرب أصبحنا نجوب الممالك الأخرى غير مهتدين، فعاش الكثير من سحرة النور في مملكتي الجنوب والغرب، ولكنني اتجهت إلى مملكة الشمال.

وأما عن كتاب السحر الأسود، فقد تأكدت بنفسي أنه مخفي مع بقية الكتب والمخطوطات لأنني أخذته من الساحر الأسود ووضعته حيث ينتمي.

وعندما أنتهي من كتابة هذه الأوراق سأضعها في صندوق خشبي أسود صغير ليتوارثه أبنائي وأبنائهم من بعدهم حتى يتوخوا الحذر دائمًا.

لا أظن أن أحدًا سيتذكر حكايتنا أبدًا، لأن الجميع كان يكن لنا الكراهية والحقد، حتى أنهم فرحوا كثيرًا لاندثار حضارتنا، فلا تنتظروا أن تسمعوا عننا في يومٍ من الأيام ولو حتى نصف الحقيقة!"

انتهيت من قراءة الورقة الأخيرة، ثم نظرت إلى الأمير الذي كان ينظر لي بدوره وقلت:

- يا إلهي! إنها حكاية غريبة. لقد كان معه حق عندما قال أن أحدًا لن يتذكرهم. على الأقل من يتذكرونهم لا يقولون عنهم سوى أنهم سحرة أشرار يؤذون الناس.

- نعم، هذا بالضبط هو السبب الذي جعلني آتي بكِ إلى هنا.

أنتِ مثل الجميع يا لومينا تظنين بأولئك السحرة الظنون، ولكنكِ مخطئة.

- ولماذا تهتم بهم يا سمو الأمير؟ وكيف ومتى عثرت على هذا الكهف؟

- أعرف شخصًا في مملكة بيورين يحب الأشياء القديمة والغامضة. عندما سافرت إلى هناك العام الماضي أخبرني أنه عثر على صندوق أسود صغير به خريطة لكهف في مملكة الشمال فأهداه إلي. عدت إلى هنا وأنا سعيد للغاية ففتحت الصندوق واتبعت الخريطة التي قادتني إلى هذا الكهف.

لا أدري لماذا لم أصدق كلامه، ولكنني تجاهلت الأمر وسألته:

- وكيف فتحت الكهف يا سيدي؟

- الخريطة قادتني إلى مكان مفتاح الكهف.

سكت قليلًا ثم سألني:

- هل لي أن أعرف كيف مات والدكِ؟

تعجبت من سؤاله ولكنني أجبته:

- لقد كانت عشرة أعوام فقط. عشرة أعوام قضيتها مع والدي مرت وكأنها عشرة دقائق.

كنا نعيش حياة بسيطة هادئة. لطالما كنا فقراء، حالنا كحال سائر القرويين، ولكنه لم يبالِ أبدًا.

كان يريد دخول هذا الكهف بشدة وتمنى كثيرًا أن يكون هو أول من يدخله.

عشنا بسعادةٍ ليس لنا أصدقاء ولا أعداء، حتى أتى ذلك اليوم عندما كنا عائدين إلى الكوخ. رأينا ثلاثة رجال يرتدون العباءات السوداء يقفون أمامنا لا يتحركون، ولكنني رأيت طفلًا صغيرًا يقف بجانبهم يرتعش من الخوف ويبكي.

رؤيتهم هكذا أصابتني بالهلع، فأمسكت بيد والدي بقوة. سألهم أبي عما يريدون، فأمروه أن يتركهم وشأنهم، وإلا سيأذوننا.

لم يستطع أبي رؤية ذلك الطفل الصغير وهو يبكي خوفًا منهم دون التدخل فتقدم منه وحاول الإمساك به، ولكن مجموعة من الحزم الضوئية الزرقاء خرجت من يد أحدهم واتجهت إلى جسد أبي وقيدته فأصبح عاجزًا عن الحركة.

لم أستطع المشاهدة، فصرخت ولكن أحدهم أرسل مجموعة من الحزم الضوئية الأخرى فقيدتني فلم أستطع التحرك.

صرخ أبي فيهم وأمرهم أن يتركوني، ولكنهم قالوا أنهم لن يفعلوا إلا لو وافق على القدوم معهم! توسلت إلى أبي ألا يفعل ويتركني وحدي، ولكنه أخبرني أنه سيكون على ما يرام.

فك الساحر قيودي بإشارةٍ من يده وفي أقل من الثانية اتسع ثقبًا في الهواء لونه أسود وكان يدور حوله ضوءً أزرق اللون، ثم دخل الثلاثة رجال فيه ومعهم والدي والطفل الصغير.

بقيت وحدي أصرخ وأبكي ولم أهدأ إلا عندما أخذني أحد المارة إلى والدتي. بعد ستة أسابيع بالضبط كنت في حقل الذرة مع أنس فتعثرت ووقعت على الأرض لأصطدم بجثة أبي والطفل الذي كان مع سحرة النور! لقد كانا الاثنان ميتان وعلى وجهيهما أشد نظرات الرعب! منذ ذلك الحين وأنا أكرههم جميعًا يا سمو الأمير.

أعلم أن كراهيتي لهم لن تعيد لي أبي ولكنني لا أظن أنني سأسامح أولئك الناس أبدًا!

أجهشت بالبكاء وهو ينظر لي بحزن. قال:

- لن يستطيع أحد إيذائكِ يا آنسة. لن يستطيع أحد أن يفعل بكِ أي سوء وأنا بجانبكِ!

مسحت دموعي المنهمرة وسألته:

- هل كنت تحب جدتك يا سمو الأمير؟

سأل باستغراب:

- كنت؟

- أعني، هل تحبها؟

- أجل، ولكن لماذا تسألين؟

ساد الصمت بيننا، قطعه عندما قال وكأنه تذكر:

- اسمعي، أريد أن أخبركِ أمرًا ما.

لقد كان كتاب السحر الأسود موجودٌ هنا. أظنه الكتاب نفسه الذي رأيته في المكتبة مع ذلك الرجل الغريب.

- ومتى اختفى؟

- منذ شهر.

لقد أخذته معي إلى المكتبة بالقصر الملكي ولكنني لم أجده بعدها.

- يبدو أن أحدهم قد رآه في المكتبة ثم سرقه.

بالطبع من سرقه هو نفسه الشخص ذو العباءة السوداء، ولكنني أتسائل.

كيف لذلك الشخص أن يراه ويفهمه؟ لقد فتحته يا سمو الأمير ولم أفهم منه حرفًا واحدًا! لماذا سيأخذه أحدهم وما الذي يريد فعله بالضبط؟

- أليس هذا هو السؤال المهم؟ هذا هو بالضبط ما أصابني بالجنون. كيف لكتابٍ لا يفهمه أحد سواي أن يتعامل معه ويفهمه؟

سألته باستغراب:

- لا يفهمه سواك يا سيدي؟

ظهرت عليه ملامح القلق والتوتر، ولكنه قال على الرغم من ذلك:

- لقد بحثت في مكتبات مملكة بيورين عن هذه اللغة وعرفت بعدها أنها كانت لغة سكان مملكة ليموريا.

أنتِ تعلمين أنهم أناس مختلفون عننا تمامًا.

لا أظنهم من البشر مثلنا.

أنهى كلامه وابتسم لي ولكنني لم أصدقه.

تلك اللغة لا يمكن أن يتحدثها بشري من الأساس!

استطرد قائلًا:

- هذا ليس كل شيء في الواقع.

لقد بحثت عن كتاب السحر الأبيض كثيرًا ولكنني لم أعثر عليه أبدًا.

يبدو أنه ضاع.

سألته بابتسامةٍ مصطنعة:

- ألا يمكن أن تكون أنت هو الرجل ذو العباءة السوداء؟

ابتسم ثم قال:

- هل هذا حقًا ما تظنيه؟ حسنًا، إنني شخص غامض لست واضحًا أبدًا لمن يراني، ولكنني لن أمارس السحر الأسود أبدًا.
- ولكن، من يكون؟
- أتعرفين أنني لم أصدق الرسالة التي أرسلتها جدتي لوالدتي؟ لا أظنها على قيد الحياة من الأساس!

نظرت إليه باندهاش، ثم سألته:

- هل تظن أنها ميتة يا سمو الأمير؟ لماذا تظن هكذا؟
- لن أخبركِ الآن، ولكنني أظن أنها ليست على قيد الحياة!
- هذا يعني أن هناك قاتلًا يتجول بيننا في القصر الملكي، أليس كذلك؟

- نعم، بالضبط، ولهذا أريدكِ أن تحترسي وتتوخي الحذر، فأنتِ من بين الجميع أصبحتِ أكثر شخص معرض للخطر الآن.
- هل هذا بسبب رؤيتي للشخص الغريب في المكتبة؟
- نعم، وهناك سببًا آخرًا بالطبع.

سألته باستغراب:

- سببًا آخرًا؟
- نعم، المذكرات! لم يقرأها أحد من قبل يا لومينا. حتى أنا لم أقرأها إلا عندما رأيتكِ تضعينها خلسة وأنا أقف خارج المكتبة!

ساد الصمت قليلًا، قطعته بسؤالي:

- أخبرني الحقيقة يا سمو الأمير. ما الذي حدث بالضبط لعمتك بروفان؟
- آه، الفتاة البائسة! في الواقع، أبي لا يتحدث عنها أبدًا، حتى أنني لم أعرف أن لي عمة إلا من خلال لوحة عثرت عليها بالصدفة. أخبرني أبي أنها كانت تحب خادم يعمل بالقصر، وعندما علم رفض بالطبع، ولكنها هربت وتزوجته ثم حملت منه. لقد أنجبت طفلًا ميتًا يا لومينا. ظلت حبيسة غرفتها لعدة أيام، ولكنها أصيبت بأعراض الاكتئاب الحاد مما جعلها ترى وتسمع أشياء ليست حقيقية. ظلت هكذا إلى أن رمت بنفسها من أعلى البرج الذي تحبين الجلوس فيه والقراءة ليلًا.
- ولكنها لم تذكر ذلك في مذكراتها. هل تظن أن ما أخبرك به والدك حقيقي؟ وهل تصدق أنها أنجبت طفلًا ميتًا من الأساس؟
- ربما.

من الممكن أيضًا أن يكون هناك من سلبها طفلها أو قتله أو أخذه إلى دارٍ للأيتام. هناك حلقة مفقودة في الأمر.

هل يمازحني؟ هل يتحدث عن نفسه الآن؟ أتمنى لو أنني استطعت معرفة ما يدور بعقله.

قلت:

- حسنًا يا سمو الأمير. أظن أن الوقت قد حان لأعود إلى منزلي.
- انتظري.

سنأخذ كتابًا لم أستطع قراءته.

- لم تستطع قراءته؟ هل هو بلغةٍ مختلفة؟
- سترين.

اتجه إلى إحدى الصخور ثم أمسك بكتابٍ أسود متفحم وكأنه خرج من النيران لتوه! أعطاني الكتاب ففتحته واندهشت لما رأيته.

جميع صفحاته سوداء متفحمة كغلافه. سألته:

- هل هذه مزحة ما؟

لا. هذا هو أهم كتاب في هذا الكهف. إنها شفرة سرية بحاجةٍ إلى من يحل لغزها.

- أريدكِ أن تأخذي هذا الكتاب معكِ وتفكرين في طريقةٍ لقراءته.
- هذا أمر بسيط. إنه كتاب ملون وليس به أي شيء يُقرأ! سأحضر حبرًا لونه أبيض وسأكتب عليه. سأريك أن صفحاته ليست للقراءة بل للكتابة!
- لقد جربت ما تقولينه، ولم ينفع للأسف. هناك ما يحتاج للقراءة بداخله، ولكنني لا أعرف كيف أقرأه.

تفحصت الكتاب، ثم قلت:

- حسنًا، سآخذه معي وسأحضره غدًا إلى القصر داخل حقيبتي. سأتوصل لحل. أعدك.

وصلنا إلى خارج الكهف فنظرت إلى الأمير وقلت له:

- حسنًا، أشكرك كثيرًا لتحقيق واحدًا من أحلامي. سأذهب الآن. أراك غدًا يا سمو الأمير.

استدرت كي أرحل ولكنه ناداني فاستدرت ثانيةً ثم نظرت إليه باستغراب.

قال لي:

- قبل أن ترحلين أودكِ فقط أن تعرفين أنني سعيد للغاية لأنكِ معي!

لم أعلِّق واكتفيت بالابتسام ثم رحلت وقلبي ينبض وكأنه سينفجر في أي لحظة! نظرت خلفي فلم أجد له أثر! أين ومتى اختفى بحق الإله؟ لقد كان هناك منذ لحظات!

## ١٠

عندما وصلت إلى القصر الملكي علمت أن الأميرة شيرين ستتزوج من ابن نائب الملك يوم الأربعاء القادم.

أرسل الملك رسالة إلى مملكة بيورين عن طريق الحمام الزاجل يخبرهم فيها بالنبأ السار، من وجهة نظره بالطبع، وانتظاره قدومهم يوم الثلاثاء.

أشعر أن الأمير والملكة ليسا سعيدان بهذا الخبر. هناك ما يحيرني حقًا؛ هل ستظهر السيدة ليلى أم أنها حقًا ميتة كما قال الأمير؟ هل سترسل رسالة أخرى تعتذر فيها عن قدومها إلى الحفل؟ هل سيلاحظ ملك مملكة بيورين اختفاء والدته؟ هل سيبحث عنها؟ هذا ما سأعرفه يوم الأربعاء. كان معي الكتاب الأسود في القصر فوضعته أمامي وأنا أجلس أعلى البرج أراقب السفن وهي ترسو في الميناء. لا زلت أبحث عن طريقة لحل لغزه، ولكنني لم أجدها بعد.

قال صوت مألوف من خلفي:

- أحب هذا البرج كثيرًا. هل تعرفين السبب؟

نظرت خلفي لأرى السيد كنان يقف مبتسمًا وهو ينظر إلى السفن.

قلت له:

- ربما يُذكرك بشخصٍ تحبه! اتسعت ابتسامته.

قال:

- أنتِ ذكية يا آنسة. سأشهد لكِ بهذا. لقد اعتدت على الجلوس هنا مع ذلك الشخص أثرثر لساعات. هل تعرفين ما الغريب في الأمر؟
- ماذا؟
- أن تلك الساعات بدت لحظات قليلة. حتى أنني أشعر بوجودها هنا الآن. لا أدري لماذا تذكرت بروفان. لا بد أنه كان يحبها سرًا، ولكن الخادم الآخر قد سبقه في الظفر بقلبها! أشعر بالشفقة عليه.

يبدو أنه لاحظ الكتاب الأسود أمامي لأنه سألني:

- ما هذا الكتاب الغريب؟

قلت كذبًا:

- إنه كتاب غريب بالفعل. رأيته في كوخ الكتب بالقريةِ بالأمس ولم يكن فيه أي حرف واحد! أخبرني البائع أنني كي أقرأه يجب أن أحل لغزه أولًا وأكتشف طريقة لقراءته!

نظر لي كثيرًا مما جعلني أستغرب، ولكنني غيرت الموضوع قائلةً:

- هل تتذكر الأميرة بروفان؟

ظننت أنه سيغضب أو سيتفاجأ على الأقل، أو أي شيء آخر عدا هدوءه هذا.

قال لي بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- لقد كان عمري اثنين وعشرين عامًا عندما ألقت بنفسها من أعلى البرج! كانت البائسة في الثامنة عشر فقط! فقدت المسكينة كل ما تملك، ثم انتحرت. أتذكر ذلك اليوم جيدًا يا لومينا. كنت أقف في الحديقة بجانب الملك ألعب مع الأميرة شيرين بالدمية التي لم تفارقها أبدًا. سقطت بروفان فسمعنا صرخات الخدم والحراس. في البداية لم تبكِ الطفلة، ولكن النظرة المرعبة والمتفاجئة على وجوهنا جعلتها تخاف، لذا انفجرت في البكاء المستمر الذي دام لساعةٍ كاملة.

انفجر القصر في الصراخ والبكاء لمدة أسبوع واحد فقط! أصابنا موت تلك الأميرة الجميلة التي أحبها الجميع بالحزن لمدة أسبوع واحد فقط! هذا هو ما استحقته البائسة. أصبحت الأمور طبيعية بعد ذلك، ونسي الناس أمرها بالطبع. حتى شقيقها الملك نسى أن طفلة صغيرة كانت تلعب معه قبل توليه الحكم فارقت الحياة للأبد. أقسم أنني رأيت دموعًا في عينيه ترفض النزول! لقد كان يحبها حقًا.

سألته:

- سيد كنان، لقد ذكرت أنها فقدت كل ما تملك. ماذا تقصد بالضبط؟

نظر لي طويلًا، ثم نهض من جانبي وقال وهو ينظر إلى السفن في الميناء:

- تصبحين على خير يا لومينا. لا تتجولي في أرجاء القصر ليلًا رجاءً. أنتِ فتاة طيبة وأنا أخاف أن يمسكِ سوءً!

لم أسأله ماذا يقصد بالسوء، لأنه رحل سريعًا كما أتى. هل يقصد أن الملك أو الملكة من الممكن أن يعلما بقدومي إلى هنا، وسأقع في المتاعب أم يقصد أن الرجل ذو العباءة السوداء سينال مني في النهاية؟ لا أفهم بالضبط. نظرت إلى الكتاب بجانبي أفكر في طريقة ما كي أقرأه، ولكنني يأست في النهاية فهبطت الدرج لأتجه إلى غرفة الخدم لأنام.

* * * *

استيقظت على صوت امرأة تصرخ فنهضت من الفراش بسرعة وقلبي يدق كطبول الحرب ثم ارتديت ملابس العمل في الحمام المخصص للنساء، ثم خرجت من الغرفة لأجد الممر مزدحمًا بالخدم والفرسان.

كان الأمير يقول لنور بهدوء:

- آنستي. أعرف أنكِ رأيتِ مشهدًا مروعًا، ولكننا حقًا نريد أن نعرف ما الذي رأيتيه بالضبط؟

هدأت نور قليلًا، ثم قالت بعينٍ حمراءٍ كلون الدم:

- لقد كان الأمر مروعًا يا سيدي! استيقظت من النوم ثم صعدت إلى هنا فتوقفت أمام المكتبة عندما رأيت تلك الخادمة ملقاة على الأرض غارقة في بركةٍ من دمائها.

- وأين هي الآن يا آنسة؟

- لا أدري يا سمو الأمير.

لقد صدمني المشهد وأرعبني لذا صرخت ثم ذهبت إلى الحراس في القاعة الملكية لأخبرهم وعندما صعدنا إلى هنا لم نجدها وكأن الهواء انشق وابتلعها!

نظر الأمير لي فنظرت إليه بدوري. في تلك اللحظة أتى الملك وكان حضوره مهيبًا، ولكنني كنت أخاف من نائبه أكثر منه! قال الملك بصوته الأجش:

- ما الذي يحدث هنا بالضبط؟

تكلم مراد وحكى ما سمعه من نور، فقال الملك:

- ما هذا الهراء الذي أسمعه؟ وهل تصدق ما سمعته يا سمو الأمير؟

نظر لي الأمير ثم قال بارتباك:

- حسنًا. لقد رأيت أشياءً غريبة في الآونة الأخيرة يا جلالة الملك، وأظن أن هناك من يستهدف القصر الملكي وكل من يعيش فيه!

ضحك نائب الملك فأصبح مخيفًا أكثر من ذي قبل، ثم سأل موجهًا كلامه لنور:

- وأين تلك الجثة بالضبط؟ أنا لا أراها في أي مكان.

تدخل الأمير وقال بحدة:

- لقد أخبرتكم منذ قليل أن الجثة اختفت فجأة! أظن أن كلامي كان واضحًا يا سيد ليث!

يبدو أن الأمير لا يحب ذلك الرجل أبدًا. قال السيد ليث لمليكه وهو يبتسم بسماجةٍ:

- إن لم تكن هناك جثة فهذا الحادث لم يحدث! وربما نعثر على تلك الجثة، بإمكان الجميع أن يعودوا إلى أعمالهم وكأن شيئًا لم يحدث!

أومأ الملك بالإيجاب موافقًا على كل ما قاله نائبه، ولكن مراد كان ينظر بغلٍ واضحٍ إليه. غادر الجميع باستثناء الأمير الذي نظر لي بعينٍ حائرةٍ، ثم دخل المكتبة فتبعته. جلس أمام مكتبه المعتاد وقال:

- في البداية ظننت أن هناك من يريد إيذاء الأسرة الحاكمة، ولكن تلك الخادمة البائسة ليست من أفرادها. ما الذي يريدونه منا بالضبط؟ وما سر ما يحدث في المكتبة ليلًا؟ أنا أمكث هنا بالساعات ولكنني لا أجد أحدًا أبدًا. لقد أتتني فكرة رائعة!
- وما هي بالضبط؟
- سأطفيء الأنوار وسأفتح باب المكتبة وكأنه لا يوجد أحد بداخلها، ثم سأنتظر أعلى البرج حتى أسمع أي صوت مريب. سأهبط الدرج على الفور للإمساك بهم.

سكت قليلًا، ثم سألني:

- هل تعتقدين أنه واحدًا ممن يعيشون في القصر؟
- بالطبع، لأن أولئك الذين يعيشون في القصر وحدهم فقط من يستطيعون التجول فيه دون إثارة الشكوك حولهم؛ فلو مثلًا افترضنا أن هناك من يحاول إيذائنا من خارج القصر أو المدينة، فلا بد أن يجتاز صفوف الحراس على باب المدينة أولًا ثم القصر ثانيةً. إنه واحدًا منا يا سيدي، ولكنه ذكي للغاية كي يخفي نفسه بيننا ولا يجعلنا نشك بأمره أبدًا.
- حسنًا. سأكون أعلى البرج بانتظار ذلك القاتل.

سألته في محاولةٍ مني أن أوقع به:

- بالمناسبة يا سيدي، هل ستحضر السيدة ليلى حفل الزفاف؟

نظر لي نظرةٍ ذات معنى. أجابني:

- لا أدري، ولكنني لا أظنها ستحضر.
- لماذا؟

- أخبرتكِ من قبل أنني لا أظنها على قيد الحياة.
- ولكنك لم تخبرني عن السبب في ظنك هذا.

ساد الصمت فأدركت أنه لن يجيبني لذا ابتسمت له ثم انحنيت واستأذنته كي أرحل فسمح لي.

# ١١

إنه يوم الاثنين، ولم تظهر جثة السيدة ليلى أو الخادمة البائسة.

أين اختفتا بحق الإله؟ تذكرت الحديث الذي دار بيني وبين الأمير بالأمس، فقررت أن أذهب إليه لأسأله عما رآه بالليلة الماضية فذهبت إلى المكتبة فلم أجده فيها. بالطبع لا يمكنني أن أسأل أي أحد عنه، لأن ذلك لن يبدو لائقًا وسيعرضني للمتاعب. توقعت أن يظهر في أي مكان طوال اليوم، ولكنني لم أرَه أبدًا.

هل حدث له أي مكروه؟ صعدت إلى أعلى البرج بعد منتصف الليل ونظرت إلى السفن في الميناء وبيدي الكتاب الأسود الذي لم أكتشف طريقة لقراءته بعد.

بقيت أعلى البرج حوالي نصف ساعة ثم انتبهت لصوتٍ غريبٍ يبدو أنه صادر من المكتبة أسفل الدرج.

بخطواتٍ حذرة نزلت إلى المكتبة لأجد بابها مغلقًا، ولكن الصوت الغريب الأشبه بفحيح الثعابين كان يعلو كلما اقتربت من الباب.

يبدو أن الصوت ينتقل عبر الجدران بجانب المكتبة، فتبعته وقد ألصقت أذني اليسرى في الجدار لكي أسمع بوضوح. كان الصوت ينطق بكلمةٍ واحدة. كان ينادي على مراد. كان الصوت غامضًا مخيفًا أصابني بالذعر، لذا ابتعدت عن الحائط فانطفأ كل مصباح في القصر!

أصبح كل شبر بداخل القصر مظلمًا لا يسمح لرؤية ضعيفة حتى، مما جعلني أتنفس بسرعة شديدة كادت معها ضربات قلبي أن تتوقف من فرط الرعب.

ما الذي يحدث بحق الإله؟ أنا أرتعش من الخوف، ويبدو أنه ليس هناك أحدٍ في المكان على الإطلاق. ما الذي يجب أن أفعله في هذه اللحظة المخيفة؟

جرى شخص بجانبي بسرعةٍ كبيرةٍ جعلتني أصرخ وأنتفض في مكاني من الهلع.

سندت ظهري على الجدار من خلفي وأنا ألهث من الرعب. ظهرت فجوة في نهاية الممر بداخلها نورًا أحمر اللون كلون الجحيم يدور حولها ضوءً أزرقًا.

ظلت الفجوة تتسع ثم خرج منها شيئًا يشبه جسده أجساد البشر ولكنه يمشي على أربعة أيدٍ وأربعة أرجلٍ معقودين معًا.

كان يتقدم نحوي واللعاب الأسود يتساقط من فمه المخيف.

خرج من الفجوة يتجه ناحيتي فتشتعل المصابيح بمروره بنيرانٍ حمراء غريبة.

يتقدم الكائن الغريب ناحيتي وهو يقول "مراد" كالصوت الغريب الذي سمعته منذ قليل عبر الجدران.

تراجعت للخلف وهو يتقدم ناحيتي بسرعةٍ ودموعي تنهمر كالسيول على وجنتي.

لم أفكر في أي شيء في تلك اللحظات سوى أنني على وشك الموت.

كم هي مخيفة فكرة الموت! أنا لست مستعدة للموت الآن.

اقترب مني الكائن كثيرًا وأنا أبكي كالأطفال الصغار.

وقف الكائن فجأة فرأيت رجليه ويديه كسائر البشر ولكنه كان طويلًا ونحيفًا للغاية. أظن أن طوله الآن أصبح أربعة أمتار تقريبًا! نظرت إلى الأعلى فرأيته يبتسم لي ابتسامة مرعبة جعلت رجلي ترتجف من أسفلي ثم خارت قواي فجلست على الأرض أبكي وأقول له:

- أتوسل إليك ألا تقتلني. لا أريد أن أموت.

ابتعد عني أيها الكائن المتوحش. فلتعد من حيث أتيت.

فتح فمه وكأنه يصرخ ولكن بلا صوت ليخرج منه سرب من الطيور السوداء الصغيرة التي التفت حولي لتكوّن دائرة مركزها جسدي الجالس على الأرض عاجزًا عن النهوض.

كانت الطيور تصدر صوتًا مرعبًا جعلني أتمنى لو كنت صماء! أتنفس بسرعة وضربات قلبي تزداد وكأنه سينفجر في أي لحظة. ظللت أترجاهم وأتوسل إلى الكائن المخيف كي يكفوا عن تعذيبي ولكنهم لا ينصتون لي.

رأيت من بعيدٍ شخصٍ يقترب مني ويمد يده لي.

يا إلهي! إنه والدي! نهضت بصعوبة واتجهت إليه ثم احتضنته بشدةٍ وبكيت وهو يربت على كتفي ويخبرني أن كل شيء سيكون على ما يرام.

نظرت في عينيه كي أتحدث معه، فرأيت الدم يخرج من أنفه وفمه وعينيه وأذنيه.

كان الدم يخرج ببساطةٍ من كل مكان في جسده.

ثم بدأ أبي يأن وكأن هناك من يعذبه، وأنا واقفة عاجزة عن مساعدته.

من خلفه أتى ثلاثة رجال يرتدون عباءات سوداء وأمسكوا بأبي وسحبوه معهم وهو يستنجد بي ويصرخ طالبًا مساعدتي. ذكرني هذا المشهد بذلك الذي حدث منذ إحدى عشر عامًا وأنا صغيرة عند البحيرة. هذا الكائن اللعين يعرف جيدًا كيف يتلاعب بأعصاب البشر ويعذبهم باستخدام مخاوفهم. آخر ما أتذكره هو رؤية أبي يُجر إلى حفرة كبيرة في الجحيم! لم أستطع تذكر أي شيء لأنني فقدت الوعي بالتاكيد.

استيقظت على صوت نور وهي تقول بقلق:

- هل أنتِ بخير يا فتاة؟

بدأت رؤيتي للأشياء من حولي تتحسن.

أمسكت بيدها واعتدلت في جلستي ثم نظرت حولي لأجدني أعلى البرج! سألتها بصوتٍ مرتجف:

- كيف عثرتِ عليَّ؟

- لقد كنت نائمة، ولكنني سمعت صوت صراخ شخص قادم من أعلى البرج، فصعدت الدرج كي أرى ماذا هناك لأجدكِ ملقاة على الأرض تأنين وتصرخين وكأنكِ بداخل حفرةٍ من حفر الجحيم!

نظرت إليها غير مصدقة لهذا التشبيه الذي استخدمته لوصف حالتي، ثم أخبرتها كذبًا أنني بخير وأنني أريد النوم بشدة فأمسكت بيدي وقادتني إلى غرفة الخدم حيث يغط الجميع في نوم عميق.

سألتني نور قبل أن تذهب إلى فراشها:

- ما الذي رأيتيه بالضبط وجعلكِ تصرخين هكذا؟

نظرت إليها بعينين مرهقتين، ثم أجبتها كذبًا:

- كنت أقرأ الكتاب ثم...

توقفت عن الكلام لأنني تذكرت الكتاب الأسود الذي كان معي. سألتني نور ثانيةً:

- ثم ماذا؟

أجبتها بتردد:

- ثم شعرت بالنعاس فجأة، ويبدو أنني رأيت كابوسًا جعلني أصرخ.

- حسنًا. لقد مضى الأمر. اخلدي إلى النوم ولا تفكري في أي شيء. وبالمناسبة، أنا لن أخبر أحدًا عن جلوسكِ كل ليلة أعلى البرج، ولكن إن رآكِ أحد أفراد الأسرة الحاكمة فلن يرحموكِ.

سألتها قاطبة جبيني باستغراب:

- لماذا؟

- لأن أعلى البرج يمثل ذكريات منسية لا يريد أحد تذكرها.

سألتها بغباء وتسرع:

- ذكريات متعلقة بالأميرة بروفان؟

اتسعت عيناها دهشةً لما قلته ثم اقتربت مني وضيقت عينيها وسألتني:

- أين سمعتِ هذا الاسم بالضبط؟
- وما المشكلة إن سمعت اسمها في مكان ما؟

قالت لي وهي تضغط على كل حرف يخرج من فمها:

- مجرد ذكركِ لاسمها كفيل بأن يزج بكِ في القبر وليس السجن فقط يا عزيزتي!
- لماذا؟ ما الذي فعلته كي يعاقبها الجميع بهذا الشكل؟
- لقد حذرتكِ من قبل ألا تتدخلي فيما لا يعنيكِ. إن أردتِ أن تنجين من الموت فأنصحكِ بعدم التدخل في شؤون الآخرين.

اتجهت نور إلى فراشها فلاحظت استيقاظ بعض الخدم الذين كانوا ينظرون إلينا بتوعد. تجاهلت نظراتهم وظللت أفكر وأنا مستلقية على فراشي حتى غرقت في النوم أخيرًا.

وفي الصباح التالي استيقظت مفزوعة عندما تذكرت أنني نسيت الكتاب أعلى البرج فنهضت من فوق فراشي وجريت أصعد الدرج وأنا ألهث من الركض.

بالطبع لم أجده في أي مكان.

أين اختفى؟ من أخذه مني؟ هل هي نور؟

من خلفي قال صوت مألوف:

- لا تخافي يا آنسة. إنه معي.

إنه الأمير بالطبع، وهذا ما جعلني أشعر بالسوء لأنني أضعت الكتاب الذي أعطاه لي ولم أحافظ عليه.

استدرت وقلت له:

- أنت لا تفهم يا سمو الأمير. لقد كان معي بالأمس ولكنني رأيت وسمعت أشياءً مرعبة ويبدو أنني نسيته هنا.
- هل كنتِ تبكين الليلة الماضية؟

استغربت سؤاله كثيرًا.

كيف عرف أنني كنت أبكي؟ سألته فتقدم مني وأعطاني الكتاب الأسود ففتحته لأجد المفاجأة.

كانت هناك دوائر صغيرة بيضاء في كل مكان في تلك الصفحة السوداء. ولكن هذا لم يكن وحده المدهش في الأمر بل ما كان مكتوبًا في الدوائر بالحبر الأسود.

سألته باستغراب:

- ما هذا يا سمو الأمير؟
- هذا بالضبط ما كان ينبغي علينا فعله من البداية لنتمكن من قراءة هذا الكتاب المحير!
- أنا لا أفهم. ما الذي كان ينبغي علينا فعله بالضبط؟
- كان يجب أن نضع ذلك الكتاب في الماء يا آنسة، فكما ترين هنا عندما تساقطت دموعكِ الليلة الماضية تسبب هذا في محو اللون الأسود والكشف عن صفحة بيضاء مكتوب عليها كلام بالحبر الأسود!
- يا إلهي! هل نضعه الآن في طبق مليء بالمياه كي نستطيع قرائته؟
- هذا بالضبط ما سنفعله. اسمعي، سأنتظركِ في المكتبة ومعكِ طبق به مياه.
- سأفعل بالطبع.

تركته واتجهت إلى المطبخ وأخذت الطبق المليء بالمياه ثم اتجهت إلى المكتبة.

وضعت الكتاب في الطبق فبدأت صفحاته السوداء تتحول إلى اللون الأبيض تدريجيًا ثم بدأ الكلام بالحبر الأسود يظهر بدوره.

انتشلت الكتاب من المياه ووضعته فوق منشفة كنت أحضرتها معي من المطبخ.

قال مراد:

- والآن سننتظر إلى أن يجف الكتاب لنتمكن من قرائته.
- ولكنني أظنه سيأخذ وقتًا قبل أن يجف تمامًا، أليس كذلك؟

- هذا صحيح، ولكنكِ ستظلين هنا حتى تقصين عليَّ كل ما حدث معكِ في الليلة الماضية.
- في الواقع يا سمو الأمير ما حدث لا يمكن أن تسمعه فقط بل تراه عينيك لتستوعبه.
- أظن أن ما رأيتهِ بالليلة الماضية قد تسبب في شعورِكِ بالألم لتبكين ولتمتليء هذه الصفحة بدموعكِ بهذا الشكل.
- حسنًا، لننظر إلى الجانب الإيجابي. لقد تمكنت دموعي من حل لغز الكتاب، أليس كذلك؟

ابتسم ثم قال:

- بلى، ولكن الثمن كان باهظًا برأيي.
- لا يهم يا سيدي. ما يهم الآن حقًا هو المكتوب في هذا الكتاب. لعلنا نتوصل لأي شيء مفيد يساعدنا في فهم ما يحدث بالضبط. تذكرت أنه كان مختفيًا طوال اليوم بالأمس فسألته:
- معذرةً يا سمو الأمير. إن سمحت لي بالسؤال بالطبع. لقد أخبرتني أنك ستراقب المكتبة من أعلى البرج وتنتظر حدوث أمرًا مريبًا ولكنني لم أرَكَ بالأمس طوال اليوم لأعرف منك ما رأيته.

نظر لي كثيرًا قبل أن يجيبني:

- في الواقع، أنا لم أرَ أي شيء في تلك الليلة. خرجت بالأمس في جولة في المملكة مع بضعة من الأصدقاء.
- يا إلهي! إنه يوم الثلاثاء وقد نسيت أن زفاف الأميرة شيرين غدًا! سيكون اليوم والغد من أكثر الأيام الحافلة بالأعمال الشاقة لكل خادم يعمل في القصر. أعتذر عن ذهابي قبل مناقشة ما في هذا الكتاب معك يا سمو الأمير ولكنني مضطرة حقًا للذهاب للاستعداد.

تقدم مني ونظر في عيني وكأنه يريد قول شيئًا ما، ولكنني لم أفهم.
قال لي أخيرًا بعينٍ حزينة:
- فقط، لتعتنِ بنفسكِ. هل تعديني بذلك؟
أومأت دون أن أنطق بحرف ثم تركته واتجهت إلى المطبخ الملكي لكي أباشر عملي مع نور.
عندما انتهينا من تحضير طعام الإفطار دخلنا غرفة الطعام ووضعنا الأطباق فوق المائدة المستطيلة واتخذنا أماكننا بجانب المقاعد.
دخلت الملكة أولًا يتبعها الملك ونائبه الذي أصبح لا يفارقه كظله، ثم الأميرة شيرين وزوجها المستقبلي، وأخيرًا مراد الذي ابتسم لي بمجرد رؤيتي.
جلس الجميع إلى المائدة وما هي إلا لحظات حتى فتح الخادم الباب وأعلن عن قدوم الأميرة بيري يصحبها الأمير داني.
لم أرَ في حياتي فتاةً بهذا القدرِ من الجمال، ولم أرَ في حياتي شابًا وسيمًا لتلك الدرجة.
إنهما آيتان من الجمال والوسامة تتحركان على هيئة بشر! ما أجملهما! عندما لاحظت الأميرة بيري وجود مراد جرت كالطفلة الصغيرة إليه، ففتح ذراعيه بدوره وتقابلا الاثنان كما ينبغي لهما! احتضنا بعضهما البعض والكل ينظر إليهما! لا بد أنهما عاشقان.
هذا واضح على الأقل.
لم أشعر بالراحة تجاه الأمير داني لأنني شعرت أنه وغدٌ متكبر!
قال الأمير داني بتعالٍ:
- هذا أفضل طعام تذوقته في مملكة الشمال. ما اسمها تلك الطاهية؟
أجابته الملكة بابتسامةٍ خبيثة:
- نور، وهناك أيضًا مساعدتها لومينا، ولكن الطاهية الرئيسية هي نور. ولكن دعك من هذا. أخبرني، لماذا لم يأتِ جلالة الملك؟ ولماذا لم تصطحب زوجتك إلى هنا يا داني؟

أجابها الأمير داني بالتعالِ نفسه:

- أبي مشغول كثيرًا في شؤون المملكة، حتى أنه لم يوافق على ذهابي في البداية لأنني أساعده في الحكم كما تعلمين، ولكن بيري أصرت على قدومي معها.

أما بالنسبة لزوجتي فإن السفر غير مسموحًا لها فنحن ننتظر وريثًا للعرش.

أنهى كلامه ونظر إلى مراد الذي بادله نظرات التعالِ نفسها، والغريب أن الملكة نفسها بدا أنها لا تحبذ وجود أقاربها.

شعرت لوهلة أن نور ليست على ما يرام ولكنني لم أفهم لماذا.

قالت الأميرة بيري بدلال:

- أنتم لا تعلمون مدى اشتياقي لكم. لقد افتقدت كل شيء هنا، و... يا لسخافتي! لقد نسيت تهنئتكِ يا شيري، أنتما مناسبان لبعضكما كثيرًا.

ابتسمت شيرين بخجل، ثم قالت:

- أتمنى أن أبارك لكِ قريبًا بمناسبة زواجكِ يا عزيزتي بيري. آه، بالمناسبة، هل هناك من تقدم إليكِ؟

ابتسم الأمير داني وأجاب بالنيابة عن شقيقته:

- الكثير يا شيري. الكثير. ولكنها ترفضهم جميعًا، لماذا برأيكِ؟

قالت شيرين بخبث وهي تنظر إلى مراد:

- لعلها تنتظر واحدًا فقط كي يتقدم، أليس كذلك؟

أجابتها الأميرة بابتسامةٍ ساحرة:

- ربما. آه، لقد كدت أن أنسى! أين جدتي؟ أنا لم أرَها منذ قدومي. هل لا تزال في جزيرة ميراكا؟

توترت الملكة قليلًا ثم أجابت:

- في الواقع أنا لا أدري لماذا تظل هناك في تلك الجزيرة الحقيرة وتترك القصر الملكي هكذا، ولكنكِ تعلمين جدتكِ يا عزيزتي بيري. إنها لا تحبذ فعل أي شيء رُغمًا عنها.

تدخل داني بسؤاله:

- وما معنى هذا يا جلالة الملكة؟ ألن تحضر حفل الزفاف؟

- لا أدري، ولكنني لا أعرف أين تمكث في جزيرة ميراكا لأبعث لها برسول.

تفاجأ الجميع بما سمعوه، فقالت شيرين:

- يا إلهي! كيف لا تعرفين مكانها؟ ألا يمكن أن يكون قد حدث لها مكروهًا؟

يبدو أن كلامها قد أزعج الملكة التي قالت بحدة:

- لا تقولي هذا رجاءً. سأرسل أحد الحراس ليسأل عن مكانها في جزيرة ميراكا.

نهضت وتركتهم ينظرون إليها باستغراب.

دار حديث ثقيل وغريب بين البقية حتى انتهوا من الطعام أخيرًا ورحلوا جميعًا. يا لهم من عائلة غريبة حقًا! اتجهت إلى المطبخ لإنهاء العمل والبدء في تحضيرات الحفل. عندما انتهيت من عملي صعدت كعادتي إلى أعلى البرج وجلست على الأرض أنظر إلى الميناء أراقب السفن كعادتي فإذ بي أتفاجأ من جلوس الأمير مراد بجانبي وكأنه ظهر من العدم! وقفت وسألته بخوف:

- متى أتيت بحق الإله؟ لم أسمع خطواتك حتى. هل أنت ساحر يا سيدي؟

ابتسم ثم قال:

- فلتجلسي رجاءً. جلست بجانبه وأنا أشعر بالخوف.

نظرت إلى الكتاب الذي بيده. قال:

- لقد أصبح الكتاب قابل للقراءة الآن. لقد مكثت في المكتبة طوال اليوم أقرأه. أنتِ لن تصدقين ما قرأته فيه.

أعطى الكتاب لي ثم قال:

- لقد جفت صفحاته ويمكنكِ قراءته الآن.

أمسكت بالكتاب ووقفت ثانيةً لأرحل، ولكنه قال قبل أن أخطو خطوة واحدة:

- هل ستتركينني بهذه السرعة؟
- غدًا يومًا حافلًا مليئًا بالأعمال يا سمو الأمير، وعليَّ أن أذهب الآن إلى الفراش كي أستيقظ مبكرًا.

وقف بدوره ثم اقترب مني وقال مبتسمًا:

- ولكنني لم أكتفِ منكِ!

ساد الصمت بيننا للحظات قطعته قائلةً:

- لا أريد أن أبدو فظة، ولكن عليَّ الرحيل الآن يا سيدي.

سألني بتعبيرات وجه تنم عن الانزعاج:

- لماذا تصرين على مناداتي بسيدكِ؟

تفاجأت بسؤاله كثيرًا، ولكنني لم أعد أحتمل هذه المحادثة أكثر من ذلك، لذا استدرت متجهةً إلى الدرج ومشهد بيري تحتضن مراد لا يفارق خيالي! جلست على فراشي في غرفة الخدم وأنا أنظر إليهم وهم ينعمون براحة البال التي غابت عن حياتي منذ قدومي إلى القصر.

نظرت إلى الكتاب الأسود وفتحته فرأيت خط ساحر النور الأعظم المنسق الجميل الذي يشبه خط يد مراد إلى حدٍ كبير فابتسمت رُغمًا عني. ما قرأته في تلك الليلة غير كل شيء كنت أؤمن به في عالمنا.

ذكر الكتاب أن السفر عبر الزمن والمكان ممكن عن طريق الثقوب السوداء. الأداة المستخدمة في السفر عبر الزمن أو التنقل بين الأماكن للأشخاص العاديين هي عصا سحرية يملكها ملك مملكة الجحيم يهبها لمن يشاء من البشر. وحدهم سحرة النور من يستطيعون السفر عبر الزمن والتنقل بين الأماكن المختلفة بيديهم فقط ودون استخدام العصا السحرية.

كما ذكر الكتاب أنه لا يمكن لأحد أن يرى المسافر عبر الزمن، ولكن لكل قاعدة استثناء (باستطاعة سحرة النور فقط أن يظهروا للأشخاص الذين يعيشون في الحقبة

الزمنية المسافرين إليها إن رغبوا في هذا). التلاعب بالأحداث الماضية شيء مكروه ولا ينبغي على أي شخص مهما كان أن يتلاعب بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، لأن هذا سينتج عنه الموت دائمًا.

الانتقال بين الأماكن أسهل من السفر عبر الزمن؛ وبإمكان ساحر النور صنع ثقبًا أسودًا ينقله من مكان إلى آخر وسيراه الجميع لأنه ليس سفرًا عبر الزمن بل انتقالًا بين الأماكن. كما ذكر الكتاب أن جسد ساحر النور يتميز بنيرانه البيضاء التي تتأجج وتختفي تبعًا لمشاعره، ووقتها فقط يستطيع ساحر النور حرق أي شيء يعترض طريقه؛ أما الضوء الأزرق الذي ينبعث من يد ساحر النور فهو لصنع الثقوب السوداء أو لتقييد الأعداء من البشر.

الغريب في الأمر هو أن تلك النيران البيضاء لا تؤذي سحرة النور!

الصفحات التالية للكتاب تحدثت عن أشياء غريبة لم أسمع بها من قبل. تحدث الكتاب عن بوابة لمملكة الجحيم.

ذكر الكتاب أن مملكة كانت تسمى بمملكة نيبولا اشتهر سكانها بالغموض فلا يعرف عنهم أحد أي شيء وشيع عنهم ممارستهم للسحر الأسود، ولكن مملكة ليموريا والتي كان أهلها يمارسون السحر الأبيض لم يقفوا صامتين أمام مملكة نيبولا فاندلعت الحرب بين المملكتين وخسرت نيبولا أمام ليموريا.

نفى ساحر النور الأعظم جميع سكان نيبولا إلى منطقة مستعرة بالنيران السوداء في باطن الأرض وتم تسميتها فيما بعد باسم مملكة الجحيم، كانت مملكة نيبولا يحكمها شخص يدعى بالنكرومانسر أي مستحضر الأرواح. لم ينسَ الكتاب ذكر التغيرات الجسدية والقدرات الخارقة التي حظى بها سكان نيبولا بعد نفيهم إلى جوف الأرض حيث النيران السوداء اتحدت مع أجسادهم ليتحولوا في النهاية إلى كائنات ووحوش لها قدرات لا يمكن لأي بشري أن يواجهها، لذا يوجد آلاف التحذيرات من الاستماع إليهم أو حتى التفكير فيهم.

أكثر ما أرعبني في هذا الكتاب الغامض هو فقرة تقول أنه لا يوجد من تعامل مع هؤلاء الكائنات الخبيثة وعاش ليحكي مغامرته. حتى أولئك الذين خدعوا الموت واستمروا على قيد الحياة عاشوا حياة معذبة بين الجنون والمرض. تظهر تلك الكائنات المخيفة فقط عندما يمارس أحدهم طقوسًا معينة للسحر الأسود مما يجعل الحاجز بيننا وبينهم ضعيف إلى حد ما فيستطيع كائن أو اثنين الهرب من خلاله كي يتسلى بفرائسه من البشر؛ ولكن هناك بوابة تفصلنا عن عالمهم بإمكان طقوس معينة أساسها الدم أن تفتحها كي تسمح لجميع سكانها وعلى رأسهم النكرومانسر بالعبور.

لا يستطيع سحرة النور استخدام الثقوب السوداء للوصول إلى مملكة الجحيم، ولكن العصا التي تمتلك قوى سحرة النور السحرية والتي يسلمها النكرومانسر إلى من يشاء هي وحدها من تمكنهم من التواصل مع مملكة الجحيم من خلال الممر الأحمر الدموي.

تقول فقرة في الكتاب أن القمر الدموي هو علامة على أن هناك من سيتم قتله.

وأخيرًا يذكر الكتاب أن تلك الكائنات المتوحشة تختار فريستها من البشر كي تتسلى بالتلاعب به وبمشاعره.

لا أحد يعلم على أي أساس يكون اختيارهم لضحاياهم من البشر ولكن الشيء المشترك بينهم جميعًا هو الشعور بالذنب!

أغلقت الكتاب وأنا أفكر فيما قرأته للتو، ولكنني سمعت فجأة صوتًا غريبًا قادمًا من خارج الغرفة.

كان الصوت يشبه خطوات أقدام لوحش ضخم يتمشى في الممر! انتفضت من مكاني فور سماعي لذلك الصوت البغيض وتقدمت ببطء إلى خارج الغرفة. يبدو أن هناك شخصًا طويلًا للغاية له قرنان أعلى رأسه يقف بالخارج. لم أرَهُ بالطبع، ولكن ظله كان كفيلًا بتخيل شكله. أتذكر أنني رأيت الخيال نفسه من قبل عندما كنت أتجسس على الرجل ذو العباءة السوداء في المكتبة.

كانت ضربات قلبي تزداد وأنا أصعد الدرج.

لاحظت أن الظل يبتعد كلما اقتربت.

ما هذا الهراء؟ هل هو مجرد ظل ولا يوجد شخص حقيقي أم كائن قادم من الجحيم؟ أنا لا أفهم ما أراه.

تبعت الظل ولم أكترث لأي شيء فإذ به يقودني إلى المكتبة.

دخلتها وأنا أنظر حولي لعلني أرى أي شيء غريب، ولكنها كانت على حالتها المعتادة.

أين اختفى الظل بحق الإله؟ ما أثار انتباهي في تلك اللحظة بينما أبحث عن الظل هو صوت قادم من الحجرة المجاورة للمكتبة.

صوت مكتوم لشخص ما! خرجت من المكتبة واتجهت ببطء للغرفة المجاورة ونظرت عبر بابها الموارب. لم تكن مضاءة سوى بشمعة يتيمة على الأرض فألقت بظلالها المحتضرة على جسدين بداخل الغرفة.

دققت النظر لأعرف من هما، إنها نور والأمير داني!

شهقت بصوتٍ مسموع بكل حماقة مني فاستدار الأمير ونظر لي ولكنني جريت بسرعة متجهة إلى غرفة الخدم.

هل رآني؟ هل يعلم أنني رأيتهما معًا؟ وما الذي يفعلانه بحق السماء؟ إنه متزوج وسيرزق بطفل قريبًا. استلقيت على فراشي أحاول نسيان ذلك المشهد الذي لم ينبغِ مشاهدته، سمعت خطوات مضطربة قادمة ناحية الغرفة فأغلقت عيني أتصنع النوم.

لا بد أنها نور، ساد الصمت المكان لذا فتحت عيناي ونظرت حولي فلم أجد أي شيء خارج عن المألوف.

استغرق مني الأمر وقتًا كثيرًا حتى غفلت لأنني كنت أفكر فيما قرأته وما شاهدته منذ قليل.

* * * *

# ١٢

إنه يوم الأربعاء.

سيُقام حفل الزفاف اليوم، استيقظت واتجهت إلى عملي في المطبخ العام لأساعد الخدم فى تحضيرات الحفل.

تذكرت ما رأيته بالغرفة المجاورة للمكتبة في الليلة الماضية فأجفلت قليلًا، ثم نظرت إلى نور حتى لاحظت نظراتي إليها.

تقدمت مني وقالت بلهجتها الآمرة المعتادة:

- صباح الخير يا سمو الأميرة! هل ستظلين واقفة هكذا؟ تحركِ من فضلكِ.

أزاحتني عن طريقها وأنا لا أزال أنظر إليها مما جعلها تستغرب نظراتي فسألتني بحدة:

- لماذا تنظرين إليَّ هكذا؟

أجبتها بعد برهة من التفكير:

- ما الذي تريدينه مني الآن؟

- أريد منكِ الذهاب للمطبخ الملكي وإعداد طعام الإفطار لتقديمه للعائلة الحاكمة.

- وماذا عنكِ؟

أجابتني بابتسامةٍ سمجةٍ:

- سأعد كعكة الزفاف يا عزيزتي. والآن أفسحي الطريق.

أزاحتني عن طريقها للمرة الثانية ثم مضت باتجاه الفرن الطيني كي تشعله. ذهبت إلى المطبخ الملكي وأنهيت إعداد الطعام بصعوبةٍ وعقلي يفكر باستمرار في كل شيء.

وضعت طعام الإفطار على المائدة في الحديقة لأن الأميرة بيري رغبت في هذا.

انتظرت بجانب المائدة حتى ينتهوا جميعًا.

كنت أنظر إلى داني بين الحين والآخر حتى لاحظ نظراتي إليه.

الغريب أنه كان يبتسم لي في كل مرة تتلاقى فيها أعيننا مما أثار انتباه واستغراب مراد.
نهضوا جميعًا فوضعت بقايا الطعام في العربة واتجهت بها إلى المطبخ الملكي.
انتهينا جميعًا من إعداد طعام الحفل وبدأنا في نقله إلى القاعة الملكية. كان القصر الملكي مزدان بالورود وأزهار الخزامى الأرجوانية ذات الرائحة الطيبة المنتشرة على جانبي ممراته الطويلة. رأيتُ العشرات من المصابيح الملونة متراصة على جانبي الممرات ولكن شعلتها لم تكن متقدة بعد. تحول القصر الملكي للوحة فنية بارعة الجمال فتوقفت للحظات أشاهد المشهد بانبهارٍ يشوبه القليل من الحسد. بالطبع سيكون حفل زفافي مختلفًا كثيرًا عن ذلك الذي أراه أمامي! سيكون أقل تكلفةً بكثير وأكثر تواضعًا بمراحل.
دخلنا القاعة الملكية فاندهشت لما رأيته فيها وتسمرت مكاني أنظر حولي بانبهار، زينت الورود وأزهار الخزامى القاعة الملكية والمصابيح بكل أشكالها وألوانها فكانت منتشرة في كل حدبٍ وصوب.
تراصت المقاعد على جانبي القاعة في صفوفٍ وكانت مزدانة بالأقمشة القطنية الملونة فأضفت عليها جمالًا يحبس الأنفاس، وفي آخر القاعة كان هناك عرشين صغيرين تزينوا بالورود وأزهار الخزامى الأرجوانية فأدركت على الفور أنهما يخصان الأميرة شيرين وزوجها، وإلى جانبهما عرش الملك الكبير وعرشٍ أصغر منه بقليل ستجلس عليه الملكة.
بعد انتهاءنا من جميع الترتيبات تفاجأت بعددٍ كبيرٍ من النبلاء وأسرهم يدخلون من باب القاعة الملكية دفعة واحدة فتوترت بشكلٍ كبير، جلس آدم على العرش الصغير بانتظار عروسه ووقف بجانبه نائب الملك ينظر إلى الضيوف بفخرٍ ملحوظ. كنت أبحث بعيني عن الأمير مراد الذي لم أرَه بينهم.
اتخذت مكاني بجانب السيد كنان ونور وبقية طهاة المطبخ العام والخدم في انتظار من يطلب منا أي شيء لننفذه على الفور. بعد نصف ساعةٍ من الوقوف على أقدامنا قال الحارس الواقف على باب القاعة بصوتٍ جهوري:

- جلالة الملك إيمار من عائلة أركان يصطحب ابنته سمو الأميرة شيرين من عائلة أركان.

التفتت جميع الرؤوس إلى الملك الذي كان متأنقًا وأوسم من ذي قبل، وإلى شيرين التي ارتدت فستانًا ناصع البياض مزركشًا بالدانتيل منفوشًا له ذيلٍ طويلٍ يمسك بأطرافه أطفالًا صغارًا لم أرَهم من قبل، وكان تاجًا صغيرًا يزين رأسها. أمسكت شيرين بباقةٍ رائعة الجمال من أزهار التوليب الحمراء بيدها اليمنى واليد اليسرى تعلقت بذراع والدها ومشا الاثنان في الممر الفاصل بين مقاعد الضيوف والذي تزين بعددٍ كبيرٍ من أزهار اللافندر البنفسجية والتوليب الحمراء والصفراء معًا. انفجرت الحشود في التصفيق والترحيب بالأميرة والملك منبهرين وعلى وجوههم ابتسامات منها الزائف ومنها الحقيقي. أيقنت وقتها أن حفل زفافي لن يكون أبدًا كزفاف شيرين، ولكن أكثر ما آلمني هو عدم وجود والدي بجانبي وقتها كي يصحبني إلى زوجي كما يفعل الملك الآن.

لا زلت لا أرى الأمير بين الحشود. بعد نحو العشر دقائق قال الحارس نفسه بصوته الجهوري:

- سمو الأمير مراد من عائلة أركان يصطحب سمو الأميرة بيري من عائلة إلياس!

بمجرد سماع اسميهما معًا شعرت أنني على وشك الانفجار في البكاء أمام الجميع وتأججت موجة من الغضب العارم في قلبي حتى كادت أن تحرقه! لم أستطع تجاهل النظر إليهما. كان الأمير أوسم من أي مرةٍ رأيته فيها. كانت بيري ترتدي فستانًا أرجواني اللون مزركشًا بالدانتيل من أول الكتفين حتى الخصر وفي المنتصف عقدة على شكل فراشة لها نفس لون الفستان المصنوع من الحرير والذي به نفشة أضافت جمالًا على جماله. انسدل شعرها الذهبي على كتفيها العاريين وطوق تاجًا من الأزهار البيضاء رأسها فانبهر الجميع بجمالها، تشبثت الأميرة بيري بذراع الأمير مراد ومشت بفخرٍ وتعالٍ بين همسات الفتيات الحاسدين لها والحاقدين عليها. مشا الاثنان في الممر نفسه المزدان بالورود وفي اللحظة التي عبر فيها الأمير بجانبي التقت أعيننا لثوانٍ ثم مضى في طريقه وكأن شيئًا لم يحدث.

رقصت شيرين وزوجها على أنغامِ الآلات الموسيقية الهادئة وظل الملك يتحدث مع الفتيات اللاتي يصغرنه بأعوامٍ كثيرة والملكة تنظر إليه بازدراءها المعتاد وبجانبها الأمير داني الذي كان ينظر إلى نورٍ التي بادلته النظر بدورها. شعرت أن القصر يدور من حولي. كنا مشغولون في تنفيذ ما يطلبه الضيوف منَّا حتى آلمتني قدمي كثيرًا. لم تفارق بيري الأمير مراد وكانت مثل ظله تتبعه أينما ذهب! أعلن كنان أخيرًا أنه حان وقت تقديم كعكة الزفاف الكبيرة جدًا.

لم أرَ في حياتي كعكة بهذا الحجم، لا بد أن نور طباخة ماهرة كي تنجح في إعداد كعكة كتلك! تقدمت شيرين وزوجها من الكعكة وبدآ معًا في تقطيعها وتذوقها، وعندما انتها أخيرًا تقدمتُ مع بقية الخدم لتقطيع الكعكة إلى أحجامٍ صغيرة ووضعها في أطباق كي أقدمها للضيوف.

بعد انتهاء الضيوف من التهام الكعك، اجتمع بعض الرجال والنساء في منتصف القاعة يتراقصون على أنغام الموسيقى الهادئة، رأيت الأمير مراد يراقص بيري على أنغام الموسيقى الهادئة والكل ينظر إليهما بانبهارٍ يشوبه الحقد والحسد من بعض الفتيات. لم أحتمل رؤيتهما معًا وهما يتلامسان فتركت الحفل واتجهت إلى أعلى البرج كي أشتم الهواء العليل وأنعم بمشاهدة السفن في الميناء الملكي.

فكرت في معاملة الأمير لي منذ بداية عملي في القصر، ولا أدري لماذا ربطتُ معاملته الغريبة لي بما حدث في الليلة الماضية بين نور والأمير داني.

هل من المعقول أن يكون مراد كالأمير داني؟ هل هو يسعى للنيل مني كما نال داني من نور؟ ولكن المقلق حقًا هو أنني رأيتها مستسلمة تمامًا للأمر وكأنها ليست مجبرة! والمخجل بالنسبة لي هو أنني أحب الأمير مراد! يا لغبائي! هذا بالطبع أمرًا وكونه ساحرًا يعد أمرًا مختلفًا تمامًا. لا أعلم لماذا أنا مقتنعة تمامًا أنه ابن بروفان وتولين؟ هل أصارحه بالأمر؟ هل أخبره بعلاقة داني ونور؟ وقفت أفكر بينما أشاهد السفن في الميناء، فتذكرت السيدة ليلى. غريب أن الجميع يلهون ويحتفلون وهي ليست

موجودة، بل الأغرب أن لا أحدًا قد استغرب عدم وجودها في الحفل! سينفجر رأسي من كثرة التفكير، ولهذا قررت العودة إلى الحفل.

مشيت في الممر فإذ بي أسمع صراخًا قادمًا من أسفل الدرج المؤدي إلى القاعة الملكية. ما الذي يحدث الآن؟ جريت في الممر ونزلت الدرج بسرعة وكأن الموت يلاحقني! دخلت القاعة الملكية أنظر إلى وجوههم المرعوبة.

كانوا جميعًا ينظرون إلى النافذة الكبيرة ويهمسون.

نظرت إلى النافذة لأرى ما الذي يخيفهم هكذا فرأيت القمر لم يعد كما نألفه.

إنه قمرٌ دمويٌ أحمر اللون لا يوحي بالخير أبدًا.

قال أحد الحاضرين بقلق:

- أقسم لكم أن هذا ليس فألًا حسنًا أبدًا! هذا لا يعني سوى أن جريمة قتل ستحدث. فلتتذكروا كلامي هذا.

قال الملك بصوتٍ عالٍ ينم عن الغضب الشديد:

- ما هذا الهراء الذي يتفوه به لسانك المخمور يا رجل؟ لم يعد هناك مكان للسحر الأسود في مملكتنا. تلك مجرد ظاهرة طبيعية تحدث كل عام، أليس كذلك يا ليث؟

التفتت جميع الرؤوس إلى نائب الملك الذي كان ينظر بقلقٍ للقمر الدموي خارج النافذة. قال بتوتر:

- بلى يا سيدي.

تعالت الصيحات والاعتراضات، فقال أحد الحضور:

- لا يزال الشر بيننا يا جلالة الملك. صدقوني جميعًا، لا يزال السحر الأسود يعيش في مملكتنا. ستعود ليموريا كما كانت. سينشرون الرعب في قلوبنا كما فعلوا من قبل.

تدخل آخر وقال بحدة:

- لنبحث عن السحرة في المملكة، ولنبدأ من القرية. لطالما كانوا سحرة النور يسكنون القرية ويتخذونها ملجئًا لهم!

أومأت معظم الرؤوس بالإيجاب تأييدًا لكلام الرجل، ولكن نائب الملك قال بحزم:

- ما الذي تتحدثون عنه؟ هل جننتم أم أنكم سُكارى؟ اسمعوني جيدًا.

لقد قتلنا جميع سحرة النور وليس في مملكة الشمال فقط بل في جميع الممالك الأخرى والجزر المجاورة! لقد قتلت آخر ساحر منذ ستة وعشرون عامًا.

لقد فعلت ذلك بنفسي! والآن أنتم لن تفسدوا حفل زفاف الأميرة شيرين ونجلي الوحيد!

أشار نائب الملك إلى العازفين فاستأنفوا العزف ثانيةً على آلاتهم الموسيقية ولكن وجوههم لم تدل على استمتاعهم كما كانوا منذ قليل.

استمر الحفل لمدة نصف ساعة فقط وانتهى بإمساك آدم ليد زوجته وخروجهما من القاعة يتبعهما الجميع.

لم يتبقَّ في القاعة سوى الخدم الذين بدؤوا في تنظيفها وترتيبها، والأمير مراد وداني وبيري التي لم تفارقهما طوال الحفل.

رأيت نور تنظر إلى داني بين الحين والآخر! تعمدت عدم النظر إلى الأمير أثناء وجوده في القاعة. لا أدري لماذا.

قبل انتهاءنا من تنظيف القاعة خرج الأمير وتعمد المرور من جانبي والنظر لي. لم أعره انتباهي ولكن يبدو أن الأميرة بيري قد لاحظت مما جعل الاستغراب يرتسم على ملامح وجهها.

انتهينا أخيرًا من التنظيف ثم ارتمينا على المقاعد التي جلس عليها الضيوف طوال الحفل لالتقاط أكبر قدرٍ من الهواء. شعرت أن كل جزء في جسدي يبكي من الألم!

نهض كنان من مقعده وقال بصوتٍ ناعسٍ:

- القمر الدموي! أتذكر أن آخر مرة رأيته في السماء كان منذ ستة وعشرون عامًا عندما قتل نائب الملك ذلك الخادم!

انتبهت لكلامه ونظرت إليه ثم سألته:

- هل قتل نائب الملك خادمًا يا كنان؟
- منذ ستة وعشرون عامًا يا عزيزتي. لا تبالي!

اقتربت منه وسألته بصوتٍ منخفض:

- وماذا كان اسم ذلك الخادم؟

ابتسم بخبثٍ وقال:

- فلتذهبوا جميعًا إلى غرفة الخدم كي تنالوا أكبر قسط من الراحة. سيكون الغد حافلًا كذلك. ليلة هنيئة يا أصدقاء!

نهضوا جميعًا يتبعونه فأصبحت الوحيدة الجالسة في القاعة. جلستُ وحدي في القاعة أنظر إلى القمر الدموي خارج النافذة.

هل معنى هذا أن جريمة قتل ستحدث بالفعل؟ وإن كان هذا صحيحًا، فمن هو يا تُرى؟ ظللت أفكر هكذا حتى أتى أحد الحراس وأخبرني أنه ممنوع الجلوس في القاعة في مثل هذا الوقت المتأخر، لذا خرجت منها واتجهت إلى غرفة الخدم.

لا أدري لماذا نظرت إلى فراش نور الخالي! توقعت أنها ستكون مع الأمير داني. لا أستطيع النوم الآن.

ربما هواء الليل أعلى البرج ورؤية السفن ستبهج قلبي قليلًا.

بينما كنت أصعد الدرج سمعت صوتًا قادمًا من داخل المكتبة فهبطت واتجهت إليها. كان الباب مغلقًا ولكن صوت الأميرة بيري كان واضحًا.

نظرت عبر الثقب فرأيتها جالسة على المقعد نفسه الذي اعتدت الجلوس عليه عندما أكون مع الأمير مراد وحدنا.

قالت وصوتها ينم عن الغضب:

- أنت متزوج يا داني وامرأتك تحمل بداخلها وريث مملكة بيورين. ماذا لو حملت تلك الخادمة؟ ألم تفكر في ذلك الأمر؟

قال داني بعدم اكتراث لكلامها:

- لقد حملت ذات مرة وأجهضت الجنين. هذا لا يهم.
- لماذا تستمر هذه العلاقة؟ هل تحبها؟
- أنا لا أقتنع بمثل تلك الأمور التافهة يا عزيزتي بيري. أنا على عكسكِ تمامًا أؤمن بمبدأ المصلحة. هي تريد مالي والهدايا التي أحضرها إليها من مملكة بيورين وأنا أريد جسدها. هذا هو كل ما في الأمر.
- وماذا لو عرفت زوجتك؟ بل ماذا سيفعل والدي؟ ماذا ستقول لهما؟

أجابها:

- ما يحدث هنا يظل هنا، لا تشغلي بالكِ بأمور تافهة كهذه. فلتفكري في كيفية جعل مراد يتودد إليكِ ويطلب الزواج منكِ.

ضحكت بيري بسخرية، ثم قالت:

- أنا لن أجبر أحدًا على الزواج مني.
- ولكنه يحبكِ ويرغب في الزواج منكِ، أليس كذلك؟

ساد الصمت قليلًا قطعه صوت بيري:

- أنت تعلم جيدًا أنني لا أفكر في الزواج يا داني.

تغيرت نبرة صوته وهو يقول:

- في ماذا تفكرين بالضبط؟

ساد الصمت بينهما قليلًا قطعه داني بقوله:

- يبدو أن ما سمعته في مملكة بيورين صحيحًا. أود فقط أن أحيطكِ علمًا بأن عرش المملكة حقًا مشروعًا لي ولن يستطيع أحد سواي أن يستحوذ عليه ما دمت على قيد الحياة!
- بدلًا من هذا الجدال العقيم أنصحك بالاستماع إلى نائب الملك.
- هل ترغبين حقًا في إعطاء أولئك الرعاع حقوق يتمتع بها النبلاء؟ كيف تفكرين بهذه الطريقة السخيفة؟

أصبحت نبرة صوتها أكثر جدية. قالت:

- كلانا يعرف أن الملك مريض وأن موته حتمي، لذا نصيحتي لك هي أن تتحلى بصفات القائد التي لم يتحل بها والدنا.

تغيرت نبرة داني فأصبحت عدائية، قال:

- وماذا إن لم أفعل ما ترغبين به أنتِ ونائب الملك وكلابكما الذين أصبحوا يتبعونكما كلما ألقيتما بقطعةٍ من اللحم أمامهم؟

- حينئذٍ أتولى السلطة لإنقاذ مملكتنا من حربٍ أهلية ستهلك المملكة بأسرها.

تعالت ضحكات داني الساخرة ثم سمعت صوت خطوات تقترب من الباب فابتعدت على الفور ونزلت الدرج عائدة إلى غرفة الخدم وألقيت بنفسي على الفراش.

لم أستطع النوم بسبب التفكير في ما سمعته منذ قليل لذا نظرت إلى السماء عبر النافذة. لا زال القمر الأحمر واقفًا كالغول في السماء ينتظر فريسته القادمة.

نحن كالبعير بالنسبة إليه، فهو ينتظرنا كي نستسلم له ثم يقتلنا واحدًا تلو الآخر ثم يمتص دمائنا حتى يرتوي.

لا أستطيع النوم وهو معلقًا هكذا في السماء يراقبني.

سمعت صوت باب المكتبة يُفتح فقررت أن أذهب كي أتفقد الأمر. اقتربت من المكتبة الموارب بابها ونظرت عبر الفتحة الضيقة لأتفاجأ به مرة أخرى، الرجل ذو العباءة السوداء واقفًا أمام كتاب السحر الأسود. رأيت الظل الطويل ذو القرنين في أعلى رأسه يقف بجانبه.

أغلق الرجل ذو العباءة السوداء الكتاب بعنف لم أفهم سببه وقتها، ولكنني فهمت عندما رأيت الكائن ينظر لي عبر الفتحة الضيقة!

شهقت من الصدمة ووقعت إلى الخلف وأنا أتنفس بسرعة رهيبة وضربات قلبي تزداد. سمعت أبشع صوت قد يسمعه أي شخص في حياته، كان الصوت يقول:

لقد رأيتكِ. لا وسيلة للهرب بعد الآن.

صمت الصوت فجأة وساد الصمت المقبض.

نهضت من على الأرض ونظرت بحذرٍ عبر الفتحة الضيقة للباب للمرة الثانية فلم أرَ أحدًا بالداخل.

ما معنى ما سمعته لتوي؟ هل أنا مهددة بالقتل كالأسرة الحاكمة؟ هل سيلتهمني القمر الأحمر الليلة؟ لا زال قلبي يخفق بعنف من هول الصدمة، لذلك صعدت لأعلى البرج لأستنشق الهواء لعله يهدأ قليلًا فاندهشت لوجود كنان أمامي جالسًا على الأرض يراقب السفن في الميناء الملكي مثلما أفعل كل ليلة.

شعرت بالاطمئنان عندما رأيته ولا أعلم السبب.

اقتربت منه وقلت له بصوتٍ مرتجف:

- هل تفتقدها؟

دون أن يستدير قال لي بهدوءٍ ينم عن الحزن:

- لا أعرف عمن تتحدثين.
- أتحدث عن الأميرة بروفان. أتحدث عن الفتاة التي لم يستطع قلبك نسيانها حتى الآن.

استدار وقال بالصوت الحزين نفسه:

- وما العيب في ذلك؟ هل الحب عيب في هذا الزمان يا آنسة؟
- لا تسيء فهمي رجاءً. أنا لا أنتقدك صدقني، إنما فقط لا أدري لماذا لم تبادلك المشاعر نفسها.أنت كنت بجانبها طوال الوقت، بل وساعدتها على الزواج من صديقك ببساطةٍ ولم تتذمر أبدًا. كيف فعلت ذلك؟

استغرب معرفتي بتلك الحقائق ولكنه لم يسألني كيف عرفت كل هذا. قال:

- تمامًا كما ستفعلين عندما يتزوج الأمير من بيري! شعرت بالألم يعتصر قلبي بقوة.

سألته بتجهم:

- وما بالي وبال الأمير يا سيد كنان؟

- لا تنكرين أنكِ عاشقة له رجاءً.

أنا أيضًا لا أنتقدكِ ولكن الوضع بالنسبة إليكِ يكاد أن يكون مستحيلًا لأنه سيصبح الملك ذات يوم وسيضطر لتوطيد العلاقات بين الممالك عن طريق الزواج. وقتها فقط ستشعرين بألم لا يحتمله أحد!

لم أعلِّق على كلامه، وغيرت الموضوع بسؤالي:

- هل تظن أن واحدًا من سحرة النور قد استطاع النجاة من المشنقة؟

قطب جبينه وقال:

- ليس بالضرورة أن يكون قد نجا واحدًا منهم.
- ماذا تقصد؟
- ألا يمكن أن يكون أحدهم قد ترك لنا وريثًا أو اثنين؟

استغربت كلامه في البداية، ولكنه أصبح منطقيًا عندما أعدت التفكير فيه.

سألته بحذر:

- ما الذي تقصده بالضبط؟

ابتسم ثم أجابني بهدوء:

- أنتِ تعرفين جيدًا ما أعنيه يا لومينا.
- هل تقول أن الأمير مراد ربما يكون ابن الأميرة بروفان وذلك الخادم؟ هل تقول أنه ورث السحر عن والده؟ هل هذا ما تقصده؟
- ليس هذا فقط. فكري في الأمر. جميع سحرة النور في القبور الآن.

من منهم استطاع النجاة؟ هل تعلمين أن عائلات سحرة النور قد لاقوا المصير نفسه؟ لم يترك نائب الملك أحد منهم على قيد الحياة.

- وهذا يعني ماذا بالضبط؟
- لا تحاولي خداع نفسكِ بسبب مشاعر تافهة يا لومينا. أنتِ تدركين تمامًا ما أعنيه.

ساد الصمت قليلًا قطعته عندما قلت:

- ولماذا سيوافق الملك على أخذ ابن الساحر ونسبه إليه؟ لماذا سيمنح السلطة لابن الخادم ويحرم ابنته من حقها في الحكم؟
- أليست الإجابة واضحة؟ لم يعرف الملك أن مراد ابن شقيقته. الملكة هي من فعلت كل شيء.
- لماذا بحق الإله؟
- ربما لأنها أنجبت طفلة مشوهة وميتة؟ أنا أقول ربما وحسب.

يبدو كلامه مقنعًا إلى حدٍ ما، ولكن لا تزال هناك حلقة مفقودة، لذا سألته:

- هل كنت موجود وقت ولادة بروفان لمراد؟

تنهد ثم قال:

- كنت معها طوال الوقت. أمسكت بيدها وهي تخرجه إلى الحياة وتصرخ من شدة الألم. أخبرتها في تلك اللحظة أنني أعشقها وأنني لن أحب سواها أبدًا. لا أظن أنها كانت مدركة لما أقول، ولكنني كنت واعٍ عندما أنجبت مراد ثم أتت تلك العاهرة وأخذته من بين يديها!

كانت ملامحه قاسية تنم عن الحقد والغضب الشديد. سألته:

- هل فعلت ذلك أمام الخدم؟
- لا، أتت إلى غرفة بروفان وهي تحمل الطفلة المشوهة والميتة بين ذراعيها ثم أمرت جميع الخدم بالانصراف. ما حدث داخل الغرفة لم يرَهُ أحد، ولكننا شعرنا به. صرخت بروفان بأعلى صوت وأفظعه. خرجت الملكة تقول للجميع أنها أنجبت ذكرًا بينما الفتاة البائسة قد ابتُليت بفتاة مشوهة وميتة. لم يكن الملك موجود وقتها، حيث كان في مملكة بيورين. الغريب في الأمر أن بروفان لم تتهم الملكة أبدًا بسرقة طفلها.

سألته باستغراب:

- لماذا؟

- لأن البائسة رأت أنها الطريقة الوحيدة ليعيش طفلها بسلام فتستطيع رؤيته أمامها دون لجوء الملك لأخذه منها وقتله أو رميه في أي دار للأيتام.
- ألم يشك أحد بالأمر؟ ألم تتكلم إحدى القابلات؟ ألم يسأل أحد عن الفتاة الميتة؟

ابتسم ثانية وقال:

- في البداية أسكتتهم الملكة بالمال، ثم أخرستهم إلى الأبد. استعانت بقاتلٍ مأجور كي يقتلهم جميعًا. تلك المرأة تحصل دائمًا على ما تريد، فلا يستطيع أي شيء أو أحد الوقوف أمامها أبدًا.
- يا إلهي الرحيم! هل تظن أن مراد سيقتلها الليلة؟
- كما قتل السيدة ليلى؟ نعم يا آنسة، سيقتلهم جميعًا، تذكري كلامي.

سألته بعينٍ دامعة:

ولكن، لماذا تتركه يفعل هذا؟ هل ستسمح لساحرٍ وقاتلٍ مثله بحكم المملكة؟

- نهض ثم قال بجدية جعلتني أخاف قليلًا:
- أنا ضد القتل يا لومينا، ولكنه قد يصبح الحل الأعدل عندما تواجهين قتلة عديمي الرحمة. إنهم يستحقون ما سيحدث لهم. أما بالنسبة لأمر الساحر الذي يحكم المملكة. بربكِ! ستنحني بقية الممالك أمام قواه الخارقة لطبيعتنا البشرية الضعيفة.

تركني واتجه إلى الدرج فتبعته لأنني لم أحتمل أي هراء إضافي في هذه الليلة الملعونة. بمجرد أن استلقيت على الفراش لم أشعر بأي شيء لأنني نمت كالموتى في قبورهم!

## ١٣

إنه يوم الخميس ولا يزال أمامي أسبوع آخر حتى أرى أنس وأمي، أفتقدهما بشدة، وأفتقد حضن أنس الدافيء!

لو أنني فقط بعثت برسالةٍ الآن، هل سيسمحون له بدخول القصر لأتمكن من رؤيته؟ هل أطلب من الأمير ذلك؟ وهل سيوافق إن طلبت منه؟ لا أعلم، ولكنني مشتاقة إلى أنس كثيرًا.

لا أدري لماذا أشعر الآن بهذا الشوق وكأنني سأموت قريبًا؟ هل هذا بسبب ما قاله لي الكائن المخيف في الليلة الماضية؟

كم أخشى الموت!

كانت الأميرة بيري جالسة بجانب الأمير مراد يتحدثان على مائدة الطعام بينما الملكة تنظر بكراهيةٍ لزوج ابنتها الذي ظل يبتسم لها بسماجةٍ طوال الوقت.

لم يكن الملك ونائبه على المائدة، مما أثار استغرابي. قال مراد محدثًا والدته:

- لم يعد الملك من منزل نائبه حتى الآن! كيف يترك كل شيء ويبيت عند ذلك الرجل؟

انتبه آدم لكلام مراد الذي يبدو أنه ضايقه، ولكنه حاول إخفاء ضيقه ببراعة.

أجابت الملكة بازدراء:

- وكيف يترك الفتيات وحدهن في منتصف الليل؟ ولكنه يترك زوجته وأولاده وحدهم في هذا القصر الملعون حتى بعد ظهور القمر الدموي في السماء ليلة البارحة!

زفرت شيرين بقوة وقالت بعدما نهضت من على مائدة الطعام:

- أنتما الاثنان تعرفان جيدًا كيف تفسدان سعادة المرء. ما العيب في مبيت أبي في منزل نائبه؟ الاثنان صديقان وأصبحا صهران مؤخرًا، فما بالكما بهما؟

نهضت الملكة بدورها ونزلت بقبضتيها على المائدة بغضب فسقطت بعض الملاعق على الأرض. بدا أنها كانت ستقول شيء ما لا يصح قوله ولكنها ابتسمت بغيظ وقالت بدلًا من ذلك:

- في النهاية سيسود العدل المكان، وسيعاقب الجميع على أفعالهم. سأغادر الآن لأنني لم أعد أحتمل هذه المناقشة السخيفة.

ماذا قصدت بكلامها؟ قال لي الأمير وهو ينهض بدوره:

- أرغب في فنجان من القهوة يا آنسة. في المكتبة بالطبع.

أومأت بالإيجاب ثم انحنيت حتى غادر القاعة.

عندما رفعت عيني إلى الأميرة بيري رأيتها تنظر لي نظراتٍ ذات مغزى، لذا أشحت بوجهي بعيدًا عنها فتلاقت عيني بالأمير داني الذي كان يبتسم لي أغرب ابتسامة رأيتها في حياتي! نهضوا جميعًا وخرجوا من الغرفة تاركين لنا العمل المعتاد.

لماذا تنظر نور إلي بهذا الشكل؟ لماذا ينظر داني لي؟ لم أعد أحتمل هذا القصر السخيف. أحتاج إلى حضن شقيقي الآمن والدافيء!

* * * *

حل الليل على القصر فألبسه عباءة الغموض والرعب كعادته، حتى لو أنك مشيت في ممراته ستقسم أنك تشعر بوجود أشياء غير مرئية من حولك تتربص بك وتنتظر لحظة الانقضاض عليك! كنت أمشي في الممر عندما سمعت صوته من خلفي يقول:

- لماذا لم تحضري لي فنجان القهوة هذا الصباح؟

استدرت وقلت له بارتباكٍ عندما تذكرت طلبه وتجاهلي له عمدًا:

- لأنني كنت مشغولة للغاية يا سمو الأمير.

تبدلت ملامحه تمامًا ثم اقترب مني ببطء تعلو وجهه نظرة غضب لم يستطع إخفاءها. مع اقترابه مني شعرت بالخوف ولا أدري السبب في ذلك.

أسندت ظهري إلى الحائط من خلفي وكأنني ألتمس منه الحماية! اقترب مني للغاية فلم يعد يفصل بيننا سوى بضعة خطوات، ثم قال بحدة:

- هل نسيتِ أنكِ تعملين هنا يا آنسة؟

أغاظتني جملته ولكنه محق على كل حال فما كان لي أن أتجاهل طلبه هذا الصباح، حتى لو كنت أغار من بيري ومن تجاهله لي منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى القصر. إنه

الأمير وسيصبح الملك يومًا ما بينما أنا مهنتي الأولى والأخيرة هي تنفيذ أوامرهم جميعًا.

قلت له بتوتر وأنا أنظر خلفه:

- لم أنسَ يا سيدي، أنا آسفة، لن يتكرر هذا ثانيةً.
- انظري لي وأنتِ تتحدثين يا آنسة.

نظرت إليه وقد احتشد الدم في رأسي.

ظللنا نتبادل النظرات هكذا لفترة طويلة دون أن ينطق أحدنا بكلمة.

سألته بغيظ:

- هل سنظل هكذا حتى نهاية الزمن يا سيدي؟

لم يجبني فعدت أسأله من جديد:

- هل هناك ما تود أن تخبرني به يا سمو الأمير؟
- لماذا كُتب علينا أن نتقابل هكذا؟ لماذا لُعنت يا لومينا؟ أنا لا أستطيع العيش هكذا. إنني أتألم.

قطبت جبيني باستغراب وسألته:

- لست واثقة من أنني أفهم ما تتحدث عنه يا سيدي.

قال ونظرة الحزن لم تفارق وجهه:

- بل تعرفين يا لومينا. لا تتصنعي الغباء رجاءً فهذا يهينني كثيرًا.
- أنا لا أتصنع شيئًا يا سيدي، بل أنا حقًا لا أفهم.
- ما الذي فعلتيه لقلبي ليشعر بهذا الألم؟
- أعتذر عن أي ألم سببته لك يا سيدي، ولكنني لا أتذكر أنني قد أخطأت في حقك أبدًا.
- لقد ظننت الأمر واضحًا.
- لقد تهت الآن يا سيدي، ولم أعد أفهم ما الذي..

قاطعني قائلًا:

- أحبكِ يا لومينا. أحببتكِ منذ اللحظة الأولى التي رأيتكِ فيها.

تسارعت نبضات قلبي وأصبح التنفس أصعب والجو أكثر حرارة من ذي قبل.

أليس من المفترض أن يُشعرني كلامه بالراحة خصوصًا أنني أبادله المشاعر نفسها؟

ولكن هذا لم يحدث أبدًا لأنني شعرت بالغضب عند اقترابه مني وهو على وشك تقبيلي، لذا قلت:

- أتعرف يا سمو الأمير؟ إن هذه لمحاولة رخيصة حقًا للإيقاع بي.

ابتعد عني أخيرًا وقال باستغرابٍ ممزوجٍ بالقلق:

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- هل تظنني مثل نور يا سيدي؟ أنا لن أسمح لك أو لذلك الحقير داني باستغلالي أبدًا.

- ما علاقة نور بالأمر؟ وكيف سيستغلكِ داني بالضبط؟

تبدلت ملامح وجهه الآن وأصبحت أكثر جدية. قلت:

- إنه شخص وضيع يستغل نور يا سيدي.

لقد رأيتهما معًا في تلك الغرفة المجاورة للمكتبة، ثم سمعته يتحدث مع شقيقته عن كونه يستمتع بالأمر فقط ولا يهمه إن حملت طفله بداخلها لأنه سيجبرها على قتله كما أمرها من قبل.

هل هذا هو ما تحاول فعله الآن معي يا سمو الأمير؟

ابتعد عني أكثر وقال بملامحٍ جامدة:

- هل هذا هو ما تظنينه؟ يا للحسرة!

احتشد الدم في رأسي من الغيظ، ولهذا قلت له دون تفكير:

- ولماذا لا أظنك هكذا؟ لقد حاولت تقبيلي بعد منتصف الليل ونحن وحدنا يا سيدي. هل تتوقع أن أرى هذا فعل بريء الآن؟

أظن أن سؤالي هذا أصابه بالإحراج كثيرًا لأنه نظر إلى الأرض ثم قال:

- إنها محاولة بائسة وبريئة كدت أن أفعلها رُغمًا عني.
- محاولة بائسة وبريئة؟ عذرًا ولكنها لم تبدُ لي هكذا يا سيدي.
- لقد نسيت أن أهل القرية لهم عادات وتقاليد مختلفة عننا.

قلت بغيظ:

- ليس للعادات والتقاليد علاقة بالأمر؛ لأن الخطأ سيظل خطأ في أي زمان ومكان يا سيدي!

تفاجأ من كلامي كثيرًا، لذا قال بيأسٍ:

- أريدكِ فقط أن تكوني متأكدة من صدق مشاعري تجاهكِ.
- وماذا إن كنت صادقًا؟ ماذا تظنه سيحدث في رأيك؟
- إن كنتِ تبادلينني المشاعر نفسها فستتزوج بالطبع!

استغربت كثيرًا من كلامه الغير منطقي أبدًا فقلت:

- حقًا؟ هل نسيت من تكون يا سمو الأمير؟ بل هل نسيت من أكون؟ ماذا ستقول عائلتك عندما يعلمون برغبتك في الزواج من فتاة قروية يرونها حقيرة يا سيدي؟ وكيف تجرؤ على مغازلتي وإخباري بأمر مشاعرك ورغبتك في الزواج مني وأنت أكثر من يعلم في هذا القصر الملعون أن أسلافك هم من قتلوا والدي.

قطب جبينه مستغربًا ثم سأل:

- أنا لا أفهم ماذا تعنيه!
- لا تكذب عليَّ الآن.

أنت تعرف أن سحرة النور هم من قتلوا والدي، وأنني لن أسامحهم أبدًا!

- وما علاقتي بهم؟
- ألا تعلم أنك واحدٌ منهم؟

اندهش من اتهامي له فسألني بهدوء لم أتوقعه:

- منذ متى وأنتِ تعلمين؟

تفاجأت بعدم إنكاره للأمر.

هذا يعني أن استنتاجي صحيحًا، إنه ابن الأميرة بروفان وذلك الخادم وهو من سحرة النور مثل أبيه!

قلت بثقة:

- منذ اللحظة التي أنهيت فيها قراءة مذكرات والدتك بروفان!

ابتسم ثم قال:

- ولماذا لم تخبريني من قبل؟

ارتبكت قليلًا ولم أرد لأنه أجاب بالنيابة عني قائلًا:

- هذا لأنكِ تبادلينني المشاعر نفسها، ولكنكِ حزينة بسبب ما فعله سحرة النور مع والدكِ، أليس كذلك؟

قلت بحدة:

- كفاك سخفًا يا سمو الأمير! أبادلك المشاعر نفسها؟ إن هذا مثير للضحك حقًا!
- هل الحب مثير للضحك بالنسبة إليكِ؟
- بل اعتقادك أنني أبادلك المشاعر نفسها هو ما يثير ضحكي الآن.
- لماذا؟

ابتسمت بسماجةٍ وقلت بسخرية:

- لأنك ساحر يا سيدي كأولئك الذين قتلوا والدي. ومن يدري؟ من الممكن أن تقتلني أو تتسبب في قتلي يومًا ما!
- لم أكن أعلم أنكِ قاسية إلى هذا الحد.
- قاسية؟ صدقني أنت لم ترَ مني أي قسوة حتى الآن!
- ستدركين كم أنتِ مخطئة يومًا ما، ولكنني لا أظن أنني سأسامحكِ وقتها.
- وأنا لا أظن أنني سأحب شخصًا مثلك يا سيدي!

أنهيت كلامي ومشيت باتجاه الدرج المؤدي إلى أعلى البرج.

بمجرد أن وصلت إليه انفجرت في البكاء وكأنني طفلة فقدت أمها للتو! جلست على الأرض أنظر إلى السفن والهواء البارد يداعب شعري. لماذا أصبح الجو باردًا هكذا؟ نحن في فصل الصيف بحق الإله! بدأ جسدي يرتعش من شدة البرد فلم أعد أحتمل الهواء الذي يلمس بشرتي بعنفٍ غريب وكأنه ينتقم مني! نظرت إلى السماء بعد سماعي لأصوات الرعد المخيفة فاتسعت عيناي دهشةً عندما رأيت جثتين معلقتين في السماء!

انعقد لساني ولم أستطع الصراخ أو قول أي شيء. حتى الطفل الرضيع سيعرف أنهما الملك ونائبه! شعرت بثقلٍ يجثم على صدري وكأن جبال العالم بأجمعها اجتمعت فوقه! لا أستطيع التنفس أو الحركة. ظهر الظل ذو القرنين في أعلى رأسه من خلف الجثتين وتقدم ناحيتي حتى اقترب مني وأمسك بعنقي وأظافره الطويلة تحيط برقبتي وأنا عاجزة عن التنفس. إنني أموت خنقًا الآن ولا أحد يستطيع إنقاذي.

قال الكائن المخيف بصوتٍ متحشرج:

- الفضول خطيئة يا لومينا، وعليكِ تحمل ثمن أخطاؤكِ!

إنني أُحتضر الآن بلا شك، والمثير للسخرية في الأمر هو أنني عشت حياتي بأسرها أخشى الموت. لو أنني فقط كنت أعرف أنني سأموت ولم أبلغ من العمر سوى واحد وعشرون عامًا فقط لكنت استمتعت بالحياة أكثر من هذا، ولم أكن لأضيعها في الخوف من شبح الموت المخيف! أنفاس الكائن تملأ صدري بالهواء الساخن القادم من الجحيم. أنفاسه كريهة لها رائحة الموتى. إن لم أمت خنقًا سأموت حتمًا من رائحة أنفاسه النتنة وبرودة المكان من حولي التي لم أعد أحتملها أكثر من هذا. كانت يده لا تزال حول عنقي وهو يمشي باتجاه حافة البرج. أصبحت الآن معلقة في الهواء وفي أية لحظة سأسقط بالتأكيد.

من خلف الكائن الشيطاني رأيت كرة نارية بيضاء اللون تنطلق ناحيته مما تسبب في إطلاقه لأعلى صرخةٍ سمعتها في حياتي.

صرخة قادمة من الجحيم! تسببت الكرة النارية التي ضربت ظهره في إجبار يده على ترك عنقي ثم سقوطي من أعلى البرج على الفور.

أسقط من أعلى البرج ولا أستطيع التفكير في أي شيء. لماذا يبدو العالم من حولي مسالم وهاديء هكذا؟

لا أعرف كيف ولا متى حدث هذا، ولكن يبدو أن هناك من أمسكني من الخلف لندخل معًا في ثقبًا أسودًا رأيت بداخله ألوانًا غريبة للغاية، ثم تلاشى كل شيء فجأة وكأنه لم يكن! فتحت عيناني ونظرت حولي لأكتشف أنني في الكهف ومن حولي الكتب متناثرة على الصخور.

قال صوت مألوف من خلفي:

- هل أنتِ بخير؟

- نعم يا سمو الأمير. لم أمت.

ساد الصمت بيننا للحظات قطعته فجأة عندما قلت:

- فقط كن صريحًا معي أتوسل إليك! هل قتلت السيدة ليلى وتلك الخادمة التي عثرت عليها نور؟

بدلًا من الإجابة تقدم مني وقال:

- من الأفضل أن نعود الآن إلى القصر.

شاهدته يصنع ثقبًا أسودًا في الهواء أمامنا بيديه المجردتين. قال:

- لا تنظري حولكِ. فقط ابقي عينيكِ على وجهي!

دخلنا الثقب الأسود معًا، ولم يستغرق منا الأمر إلا ثوانٍ قليلة بداخله حتى خرجنا منه بسلام.

لا أتذكر أي شيء بداخل الثقب سوى نظراته لي التي عنت الكثير. خرجنا معًا من الثقب ونظرت حولي لأكتشف أننا أعلى البرج، اختفت جثة الملك ونائبه من السماء.

سألته:

- هل رأيت الجثتين المعلقتين في السماء؟

قطب جبينه وقال:

- جثتان؟ لم أرَ أي شيء لأنني كنت مشغولًا في إنقاذكِ من ذلك الوحش.
- لقد كانا الملك ونائبه. لا يبدو أنه تأثر بأي شيء مما قلته.

قال:

- إن كان الملك ونائبه والسيدة ليلى جميعهم أموات فلن أندهش!

سألت باستغراب:

- ماذا؟ ألا يحزنك مقتلهم على الأقل؟ حتى وإن كنت لست ابن الملك الحقيقي؟
- اسمعيني جيدًا. أنا لا أصدق أنني لست ابن الملك والملكة وأنني ابن بروفان وذلك الخادم. أنا متأكد من أن هناك شخص يحاول قتل الأسرة الحاكمة لينتقم.
- من هو يا سمو الأمير؟ الأميرة بروفان وزوجها ليسا على قيد الحياة، وطفلهما الذي لا نعرف هل وُلد حقًا أم لم يولد من الأساس من الممكن أن يكون أنت أو شخصًا آخرًا، ولكنه ليس على قيد الحياة على الأقل. هذا إلى جانب أنك من سحرة النور يا سمو الأمير. كيف برأيك أصبحت واحدًا منهم؟ لا بد أن الملك أو الملكة سحرة لينجبا ساحرًا مثلهما، وهذا سيجعل من الأميرة شيرين ساحرة بدورها، أليس كذلك؟

لم يرد. لم أرغب في إخباره بالحديث الذي دار بيني وبين كنان، لأنه من الممكن أن يؤذيه بطريقةٍ ما. ثم أتتني فكرة عبقرية فقلت:

- مهلًا. لماذا لا تسافر عبر الزمن إلى ذلك اليوم الذي وُلدت فيه وترى بنفسك ماذا حدث لتعرف أبيك وأمك الحقيقيان؟

ابتسم وقال:

- هل تظنين أنني لم أفكر في هذا الأمر من قبل؟ لا. لن أفعل هذا أبدًا يا لومينا، السفر عبر الزمن خطير وأنا لن أخاطر أبدًا بهذا الأمر.
- هل يسعى القاتل إلى العرش يا سيدي؟
- لا أظن ذلك. إنه يسعى إلى شيءٍ أكبر من العرش بكثير.

ساد الصمت قليلًا قطعته عندما قلت:

- لا بد أن أرحل الآن. أشكرك للمرة الثانية لإنقاذك لي يا سمو الأمير.

لم ينطق بكلمة فابتسمت بحزن ونزلت الدرج إلى غرفة الخدم. استلقيت على فراشي أفكر في كل شيء. أفتقد أنس بشدة.

## ١٤

تخطت الساعة الآن منتصف الليل وهي تعلم أن الملك لا يزال في منزل نائبه. إنها تشعر بالوحدة أكثر من أي وقت مضى.

صديقها الوحيد ومؤنسها في هذه الليلة الباردة هو زجاجة النبيذ الأحمر التي تمسكها في يدها وتتجرع منها على فترات. ظلت لورا تفكر طوال الليل في كل ما حدث في حياتها. إنها بائسة تشفق على حياتها التي قضتها في هذا القصر الكئيب التي لم تشعر يومًا أنه منزلها أبدًا. تذكرت أيام طفولتها في مملكة بيورين وهي تلعب مع أبناء وبنات النبلاء وكيف كانت هي محط أنظار الجميع، ولكنها الآن زوجة مُهملة من زوجها وأبناءها. لا يفهمها أحد أو حتى يكترث لأمرها.

تذكرت والدتها فجأة فسرت قشعريرة في جسدها لا تعلم سببها، فاتجهت إلى الشرفة ونظرت إلى السماء فرأته للمرة الثانية. القمر الدموي واقفًا بشموخ في السماء ينتظر فريسته التالية.

إنها على يقين تام أنها ستدفع الآن ثمن ما فعلته في الماضي. إنها تظن أنها لن تبيت في فراشها الليلة، بل في المكان الذي تستحقه.

إنها نادمة على ما فعلته في الماضي.

ليتها فقط تعود بالزمن لتصلح أخطاءها.

"أين والدتي بحق الإله؟" تسائلت في قرارة نفسها.

حتى وإن أرسلت إليها رسالة فهي تشك أن والدتها ميتة، وأنها ستكون مثلها قريبًا.

إنها تشعر بالبرد وكأنها في فصل الشتاء. الغريب في الأمر أن قطعة من الثلج تساقطت فوق رأسها مباشرة مما جعلها تتألم قليلًا.

أمسكت بقطعة الثلج في يدها وتأملتها باستغراب.

كيف للسماء أن تندف بالثلج في فصل الصيف؟ لا بد أنها أفرطت في شرب النبيذ!

كان البرد ينخر عظامها وأنفاسها الحارة تلتقي مع الهواء البارد مكونة سحبًا أمامها، لذا دخلت إلى غرفتها وأغلقت نافذة الشرفة بإحكام.

استلقت على فراشها ورفعت الغطاء حتى رأسها تلتمس منه الدفء.

ظلت هكذا وقتًا قصيرًا، ولكنها نهضت كي تحضر غطاءً إضافيًا لعلها تشعر بالدفء الآن، ولكنها ما أن رفعت الغطاء عنها أصابها المشهد حولها بالرعب.

اختفت الغرفة تمامًا وحل محلها مكان شاسع للغاية لا يوجد به أي شيء سوى الثلوج البيضاء في كل الاتجاهات.

كانت ترتجف من البرد القارس وهي تنظر حولها مذهولة غير مستوعبة لما يحدث.

"أين أنا بحق الجحيم؟" تسائلت في قرارة نفسها.

كانت قدمها العارية لا تقو على الحركة فوق الثلج البارد فلم تطعها عندما رغبت في السير إلى الأمام لتتفقد المكان.

إنها ترى ثلاثة جثث معلقة في السماء. وضعت يدها على فمها لتكتم صرخة كادت أن تفلت منها.

السيدة ليلى والملك ونائبه معلقون في السماء وجميعهم ينزفون فتتساقط قطرات دمائهم على الثلج الأبيض من أسفلهم الذي يتحول لونه إلى الأحمر على الفور.

كانت قطرات الدم تتجه ناحية لورا ببطءٍ جعلها تتراجع بضعة خطوات إلى الخلف، ولكنها وصلت إليها في النهاية. صعدت قطرات الدم وتسلقت كأفرع الشجر على قدمها ثم رجلها لتكمل رحلتها إلى عينيها.

استحال لون عينيها إلى الأحمر فلم تعد ترى أي شيء أمامها سوى اللون الأحمر الداكن. إنها تتنفس بصعوبةٍ الآن والهواء الذي يدخل رئتيها باردًا للغاية.

هل ستموت متجمدة هنا؟ طاوعتها صرخة مدوية أخيرًا فخرجت إلى الفضاء حولها ليتكرر صداها مرارًا مما جعل الأمر مخيفًا أكثر من قبل.

تسير لورا فوق الثلج تتحسس طريقها وهي ترتجف من البرد وتنادي على مراد لعله يسمعها وينقذها ولكن ذلك أملًا مزيفًا! جلست فوق الثلج البارد تبكي وتصرخ بأعلى صوت وهي تتمتم بكلماتٍ غير مفهومة أبدًا.

تقدمت جثة السيدة ليلى من لورا وكانت لا تزال تنزف من الجرح العميق في رقبتها ثم جلست قبالتها وقالت بصوتٍ متحشرجٍ مخيف:

- لقد حذرتكِ مرارًا ولكنكِ لم تصغِ لي.

انتبهت لورا لصوت والدتها فمدت يدها تتحسس وجهها أمامها وهي تبكي وتقول:

- أمي، هل هذه أنتِ؟

لم تحبها والدتها لأن أشخاص كثيرة من حولها كانوا يصرخون وهم يقتربون من أذنها حتى صرخت لورا ليكفوا عن ذلك.

* * * *

عاد مراد إلى غرفته وهو يشعر بالاستياء مما حدث منذ قليل. إنه يعلم أنه من سحرة النور ولكنه لا يعرف كيف أصبح واحدًا منهم.

لقد قضى ستة أعوامًا من عمره لا يعرف شيئًا عن قواه ولم يكتشف أنه من سحرة النور إلا عندما ضربه داني وهم صغار، شعر بنيران الغضب تتأجج حرفيًا بداخله فكانت تخرج من جسده وكأنه يحترق ولكنه لم يشعر بحرارتها أبدًا.

لقد رحل داني قبل أن يشاهد ذلك المنظر الغريب، ولكن مراد ارتعب كثيرًا عند رؤيته لجسده وهو يحترق أمامه. ظل يصرخ كالمجانين لأن النيران البيضاء كانت تخرج من يده وتشعل أي شيء أمامه.

أخفى الأمر عن الجميع بالطبع لأنه علم مصير سحرة النور فلم يرغب في أن يكون مصيره مثلهم.

ظل هكذا طوال حياته محاولًا التأقلم مع قواه التي لم يفهمها جيدًا إلا عندما عثر في الكهف على المكتبة الضائعة لمملكة ليموريا.

المدهش في الأمر أنه لم يسخر قواه أبدًا في ممارسة الشر كما هو معروف عن سحرة النور بل على العكس تمامًا، فهو كثيرًا ما كان يستخدمها في مساعدة الناس بطريقةٍ أو بأخرى.

جلس على فراشه حزينًا يفكر في أي سحر يخلصه من الألم الذي يشعر به في قلبه.

"كيف تجرؤ على اتهامي بقتل السيدة ليلى وتلك الخادمة؟" تسائل في نفسه.

بعد كل ما فعله لأجلها لا تزال تراه ابن العائلة الملكية الجائرة، إلى جانب كونه من نسل أحد سحرة النور الذين قتلوا والدها.

ماذا لو كان الملك في عداد الموتى الآن؟ هل سيصعد على العرش الذي جلس عليه ملوك قتلوا أسلافه من سحرة النور؟ هل سيظل محتفظًا بسره إلى الأبد؟ ما الذي سيفعله أهل المملكة بل الممالك الأخرى عندما يكتشفون أمره؟ أسئلة كثيرة دارت في عقله تلك الليلة، ولا توجد إجابات واضحة تريحه من هذا العذاب.

كانت هناك دقات على الباب فتوقف عن التفكير وتقدم منه يسأل من الطارق فأتاه صوت بيري الخائف وهي تقول:

- مراد، لقد عثروا على والدك ونائبه!

فتح الباب بسرعة وهو يسألها بقلق:

- عثروا عليهما؟ ما الذي تتحدثين عنه؟

- لقد تم قتلهما بوحشيةٍ يا مراد.

عثر داني عليهما أثناء جلوسه في الحديقة!

أزاحها مراد عن طريقه وجرى وكأن الموت يلاحقه متجهًا إلى حديقة القصر، فرأى حشدًا من الخدم ومعهم داني ملتفين حول جثتين متكومتين على الأرض منظرهما بشع مقزز يثير الغثيان.

اغرورقت عينا مراد بالدموع لرؤيته لوالده بهذا الشكل، ولكنه لم يحاول إظهار ضعفه أمام الناس، فسأل داني وهو يتصنع عدم التأثر بأي شيء:

- ما الذي حدث بالضبط؟

قال داني بارتباكٍ واضح:

- لا أدري يا رجل. لقد كنت جالسًا في الحديقة أحتسي العصير عندما سمعت صوتًا غريبًا قادمًا من المقابر هناك.

اتجهت إليها كي أفهم ما الأمر ولكنني لم أرَ أي شيء، ولكنني عندما عدت إلى مقعدي في الحديقة رأيت الملك ونائبه جثتان هامدتان على الأرض.

- أين والدتي؟

- في الواقع، لم يرها أحد منذ فترة. هل تظن أن مكروهًا أصابها؟

نظر مراد إلى المقابر فرأى الرجل العجوز واقفًا هناك فنهض من على الأرض وجرى باتجاه المقابر وترك داني ينادي عليه ولكنه تجاهل كل شيء خلفه وركز اهتمامه على الرجل العجوز.

كلما اقترب مراد منه كلما شعر أن الرجل يبتعد عنه أكثر مما تسبب في توقفه عن الركض وهو يحاول التقاط أكبر قدرٍ من الهواء.

نظر حوله فوجد شواهد القبور صامتة مقبضة تثير الرعب في القلوب. كان الجو مظلمًا مخيفًا في المقابر لا يجعلك ترى أي شيء إلا بصعوبة لذا سمح مراد بخروج كرة من النيران البيضاء من يده تسير أمامه فتسمح له بالرؤية.

كان شاهد قبر عمته على شماله منتظرًا إياه.

تقدم منه وجلس على الأرض ينظر إلى اسمها أمامه. كان مكتوبًا على شاهد القبر: "هنا ترقد سمو الأميرة بروفان من عائلة أركان، الابنة المخلصة والشقيقة المحبة!"

سمع مراد أصوات خطوات أقدام من خلفه فاستدار بسرعة ولكنه لم يرَ أي شيء.

نهض من على الأرض وهو يقول:

- فقط أظهر نفسك وتحدث معي كالرجال الحقيقيين أيها الجبان!

لم يجبه سوى صوت الرياح التي هبت فجأة على المكان مما جعل المكان مرعبًا أكثر من ذي قبل. تعالت أصوات الهمسات من حوله وكأن الأموات جميعًا يرغبون في محادثته! ظل يلتفت حوله كالمجانين ينظر من أي اتجاه يأتي الصوت ولكنه فشل في تحديده؛ لأنه كان يأتي من جميع الاتجاهات، أو بالأحرى من جميع القبور!

ظل مراد ينادي على والدته وقلبه ينبض بسرعة حتى كاد أن يقفز من حلقه من شدة الرعب! لم يجبه سوى صدى صوته المرتجف والهمسات الغريبة التي بإمكانها أن تصيبه بالجنون.

من أسفله ظهرت يد وكأن صاحبها يحاول الخروج من الأرض. تراجع مراد بضعة خطوات إلى الوراء والنيران بداخله تتأجج استعدادًا للانطلاق في أي لحظة! كاد جسده أن يتوهج بالنيران لولا أنه سمع صوت والدته المختنق وهي تقول بصوتٍ متحشرج:

- أنقذوني. بربكم، أنقذوني!

تقدم من اليد وسحبها إلى الخارج فإذ به يتفاجأ بوالدته المغطاة بالوحل فقال لها بقلق:

- والدتي! ما الذي حدث لكِ بالضبط؟

تحسست لورا وجه مراد وهي تقول بعينٍ دامعة:

- مراد؟ هل هذا أنت حقًا؟

استغرب مراد من تحسس والدته لوجهه فدقق النظر في عينيها فأصابه الهلع لرؤية عينيها حمراوين كالدم.

قال لها بصوتٍ مرتجف:

- ماذا حدث لعينيكِ؟ إنهما حمراوان كالدم!

قالت وهي تبكي وتنتحب:

- لقد أصابوني بالعمى. لا أعرف ما الذي حدث ولكنني لا أستطيع رؤية أي شيء!

- من الذي أصابكِ بالعمى؟

قالت لورا ببطء وبهدوء شديدين:

- والدك ونائبه، ووالدتي.

ترك مراد يد والدته وقال وهو يبتعد عنها قليلًا:

- ما الذي تتحدثين عنه؟ ولماذا سيصيبونكِ بالعمى؟

- لأنهم ميتون. لأنهم أرادوا الانتقام مني!

قطب جبينه وسألها باستغراب:

- الانتقام منكِ؟ وما الذي فعلتيه بالضبط كي ينتقموا منكِ؟

أجهشت بالبكاء وظلت تتحسس الطريق أمامها وهي تقول:

- أعدني إلى القصر من فضلك. أنا متعبة للغاية.

فعل مراد ما أمرته به وهو يفكر فيما قالته للتو. وضع والدته في فراشها.

وقفت شيرين أمام فراش والدتها تبكي وبجانبها بيري تربت على كتفها لتهدئتها.

سألت شيرين بصوتٍ باكٍ:

- ما الذي حدث لها بحق السماء؟ لماذا يحدث كل هذا في ليلةٍ واحدة؟ والدي ووالد زوجي ثم والدتي؟ ومن التالي؟

قال مراد بحزن:

- لقد وجدتها هكذا في المقابر.
- هل هذا يعني أنها فقدت بصرها؟ ولماذا لون عينيها أحمر هكذا؟
- لا أعرف يا شيرين. سأجن من كثرة التفكير.

## ١٥

حمل الخدم جثة الملك ونائبه إلى القاعة الملكية وتركوا الأسرة الحاكمة معهما كي يودعوهما قبل مراسم الدفن. عندما علمت الملكة بأمر مقتل زوجها ونائبه لم تنتحب أو تذرف الدموع كشيرين وبيري وآدم، ولكنها وقفت بجانب جثة زوجها وانحنت وقالت له هامسة في أذنه:

- لقد حذرتك من قبل ولكنك لم تصدقني! أخبرتك ألا تنصاع لأوامر ليث. انظر الآن إلى أين أوصلك عنادك!

نهضت لورا وتركت القاعة الملكية ثم أمرت الخدم بالبحث عن جثة والدتها في كل شبرٍ من القصر.

صعدت إلى غرفتها بمساعدة وصيفتها واستلقت في فراشها وهي تبتسم لأنها تخلصت من جميع من كانوا يقفون في طريق سعادتها. إنها كفيفة الآن ولكن عزائها الوحيد هو أن من سيحكم المملكة هو طفلها الصغير الذي أرادت له هذا المصير منذ نعومة أظافره. ستفعل الآن ما بوسعها للتخلص من شقيقها في مملكة بيورين.

إنها تعلم جيدًا أن مراد ساحرًا، ولكنها تظاهرت بالجهل طوال تلك السنين ليظل الأمر سرًا. ستستغله في تحقيق أحلامها ومطامعها التي لطالما حلمت بها!

* * * *

أقام القصر الملكي مراسم الدفن وتتويج الملك الجديد في الأيام القليلة التالية للحادثة.

حلت حالة من الصمت والحزن والقلق على المدينة الملكية. صعد الأمير مراد على العرش وأصبح الملك الرسمي لمملكة الشمال.

ذيع صيت الأخبار في جميع أنحاء الممالك، فأتى الكثيرون لتعزية الملك الجديد من ناحية وتهنئته على تولي السلطة من ناحية أخرى.

كان يوم الخميس ليلًا عندما رأى مراد لومينا وتحدث معها في المكتبة وهو الذي لم يكن يتحدث معها في الأيام الماضية ولكنه كان يراها من بعيد وهي تقدم الطعام فقط دون بدء الحديث معها.

سألها وهو جالسًا على مقعده المعتاد في المكتبة:

- لماذا لم أرَكِ طيلة الأيام الماضية؟

كانت تتحدث وهي تنظر إلى الأرض وليس في عينيه؛ لأنه الآن الملك ولم يعد سمو الأمير الذي اعتادت على محادثته بكل جراءة! قالت وعيناها مثبتتان على الأرض:

- أعتذر عن ذلك يا جلالة الملك. لم تكن تسمح حالتي النفسية بالتحدث مع أي شخص بعد الأهوال التي رأيتها في تلك الليلة المشؤومة.
- بما أنكِ أتيتِ على ذكر هذا. هل حدث أي شيء غريب بعد تلك الليلة؟

- يكفي ما حدث للأسرة الحاكمة يا سيدي. بالمناسبة، أنا لم أستطع تعزيتك الأيام الماضية. أنا أشعر بالأسف الشديد لما حدث لأسرتك.

سألها بانزعاج:

- ما بال هذه الطريقة التي تتحدثين بها معي؟

سألته باستغراب:

- لا أفهمك يا سيدي.

نهض من على مقعده واقترب منها وقال:

- تتحدثين وأنتِ لا تنظرين في عيني. ألم تكتفي بعد بتعذيبي يا لومينا؟

قالت بارتباك:

- أنت مليكي يا سيدي ولم تعد سمو الأمير، وهذه هي الطريقة الأنسب لمحادثتك، ألا تظن هذا؟

- فقط انظري لي رجاءً.

لقد اشتاق إلى عينيها كثيرًا ولكنه لن يخبرها بهذا.

رفعت لومينا عينيها وتبادلا النظرات طويلًا دون أن ينطق أحدهما بحرف. قطع هذا الصمت الثقيل سؤاله:

- هل حقًا يجب أن تعودي إلى القرية اليوم؟

- اشتقت لعائلتي كثيرًا يا سيدي. أخشى أنني مضطرة إلى العودة إليها.

- ولكنني لن أرَكِ حتى يوم السبت، أنا لا أستطيع ألا أراكِ كل يوم يا لومينا.

كلما عبَّر لها عن مشاعره كلما ازدادت انزعاجًا من كلامه، لذا قالت له بحدة:

- وما نهاية هذا العشق يا سيدي؟ ألا تدرك أنك الآن ملك مملكة الشمال وأنه ينص عليك واجبك تجاه مملكتك وشعبك أن تختار لهم ملكة تنجب لهم وريثًا للعرش؟ ألا تتفق معي؟

- لا تهمني هذه الأمور في شيء. أخبرتكِ من قبل أنني سأتزوجكِ رغمًا عن أنوفهم جميعًا!

ابتسمت بمرارة ثم قالت:

- وكيف ستفعل هذا يا سيدي؟ آه، مهلًا، سيحدث الأمر كالتالي: أنت ستدخل على والدتك وتخبرها أنك ستتزوج ثم ستخبرها عني فتموت البائسة حسرةً، وهذا إن تغاضينا عن الوزراء والنبلاء وحاشيتك الذين سيقيمون عليك الحد بالتأكيد، و...

لم تكمل لأنه قاطع كلامها قائلًا:

- اسمعيني جيدًا. أنا لست والدي أو جدي. أنا مراد الذي عشق فتاة قروية جميلة، وأنا أيضًا من سيغير النظام بأكمله في هذه المملكة البائسة.
- وكيف سيحدث هذا جلالتك؟
- سترين، ستفهمين عندما ترين بعينيكِ ما سأفعله. لقد حان الوقت للجميع لكي يتساوون أمام القانون. لا أفضلية لأي شخص على آخر. من الغد ستعاد الحقوق إلى أهلها.

شعرت لومينا أن مراد يقول هذا فقط كي يظفر بقلبها، ولكنه يجهل حقيقة مهمة وهي أنه سيحارب العالم بأكمله وليس نظام مملكة الشمال فقط، لذا قالت له بقلق:

سيدي، أتوسل إليك ألا تتخذ قرارت سريعة غير مدروسة. لا تنسَ أنك من سحرة النور. لا أدري كيف لك أن تكون واحد منهم، ولكن إن علم أحد بهذا الأمر فسيقتلونك ولن يبالون أبدًا بأنك من الأسرة الحاكمة!

تجاهل كلامها وقال مبتسمًا:

- لا زلت أثق في أنني سأغير قوانين كثيرة في المملكة ومن ضمنها وجوب تزوج الحاكم من امرأة نبيلة.

فكرت لومينا في والدتها وشقيقها عندما يعلمان أن من تحبه ساحرًا كأولئك الذين قتلوا والدها.

قالت:

- لا أريد أن أتأخر عن شقيقي. سأرحل الآن.

انزعج وشعر بالحزن يعتصر قلبه لذا قال لها وهو يفتح ثقبًا أسودًا في الهواء:

- سأصطحبكِ إليه إذن!

قالت محاولةً منعه من ممارسة السحر:

- بالطبع لا. ألا تخشى أن يراك أحدهم؟ أتوسل إليك أن تخفي أمر السحر هذا بكل ما أوتيت من قوة. أنا لا أريد أن أفقدك.

ابتسم وسألها:

- هل يعني هذا أنكِ تعشقينني يا آنسة؟

انزعجت من سؤاله، ولكنها ابتسمت على الرغم من هذا وقالت:

- أراك يوم السبت القادم يا سيدي.

انحنت له ثم فتحت الباب وخرجت من الغرفة فاصطدمت بالأمير داني الذي كان مبتسمًا ابتسامته العريضة المستفزة، ولكن لومينا لم تكترث واتجهت إلى غرفة الخدم، دخل داني الغرفة وهو يتبختر ويقول:

- عزيزي مراد، لا أريد أن أفقدك. عزيزي مراد، أعشقك، عزيزي مراد، أخاف أن يعرف الجميع بأمرك!

احتشد الدم في رأس مراد ولكنه حاول أن يبدو هادئًا لذا قال وهو يغتصب ابتسامة:

- هل أنت مخمور كعادتك يا سمو الأمير؟

ضحك داني بصوتٍ عالٍ وقال وهو يمسك بأحد الكتب في يده يتفحص ما بداخلها:

- أتعلم؟ سأخبرك بسرٍ احتفظت به لنفسي طيلة حياتي. أنا لم أحبك أبدًا، ولم أشعر تجاهك بالانتماء. منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها وأنا أعرف أنك لا تنتمي إلى عائلة إلياس أو أركان من الأساس. والآن فقط عرفت لماذا شعرت بذلك الشعور على الدوام!

قال مراد بعصبية:

- ما الذي تتحدث عنه؟ هل جننت؟

ابتسم داني بسماجة وقال له:

- ما الذي يجذب فتاتين إليك؟ شقيقتي ثم تلك الفتاة الجميلة. مهلًا، ماذا كان اسمها ثانيةً؟

قال مراد بحنق:

- إياك أن تقترب منها. هل تسمعني يا داني؟ سأقتلك إن فكرت فقط في إيذائها.

انفجر داني في الضحك ثم قال وهو يصفق بيديه:

- الملك العظيم لمملكة الشمال وساحر النور المخيف قد أحيط بشباك العشق من جميع الجهات!

تغيرت ملامحه وأصبحت جادة مخيفة وهو يقترب من مراد ويقول:

- إليك ما سيحدث يا صديقي. ستبعث برسالةٍ إلى والدي تخبره فيها أنك تريد تحالفًا معه وتطلب يد شقيقتي للزواج منك، وأنا في المقابل لن أفضحك أمام الجميع.
- من تظن نفسك كي تهددني في قصري؟ أنت في مملكتي ولا يحق لك بإلقاء تهديدات كتلك لأنني أستطيع قلب عالمك رأسًا على عقب.
- وكيف ستفعل هذا يا جلالة الملك؟

شعر مراد بالغبطة وهو يقول:

- على سبيل المثال بإمكاني أن أرسل رسالة صغيرة لزوجتك لأخبرها فيها عن علاقتك الغرامية مع نور وعن طفلك الذي أمرتها بإجهاضه من قبل.

تفاجأ داني بمعرفة مراد عن علاقته بنور، ولكنه قال بثقة:

- أتعرف يا مراد؟ أنا لم أعرف أنك ضعيفًا ويائسًا إلى هذا الحد! صدقني، لن تكترث زوجتي بأي من هذا الهراء لأن كل ما يشغل بالها هو صعودي على العرش وهي بجانبي كملكة لمملكة بيورين. أنت لا تفهم نساء عالمنا مثلي أيها الهاوي!

اقترب مراد منه والنيران قد تأججت بالفعل بداخله وعلى وشك الانطلاق لتحرق داني، ثم قال:

- هل تعرف كيف تعمل قوى سحرة النور يا داني أم أنك تريدني أن أوضح لك الآن؟
- هل تهددني بالقتل يا جلالة الملك؟ هذا شيء خطير إذ بإمكانه أن يشن الحرب بين مملكتين قويتين!

تذكر مراد ما قالته لومينا له منذ قليل فحاول تهدأة نفسه وإخماد نيران الغضب بداخله، ثم قال:

- ما الذي تريده الآن؟
- كما أخبرتك منذ قليل، غدًا تكون الرسالة التي تطلب فيها يد شقيقتي أمام والدي، وليباركهما الرب على هذه الزيجة التعسة!

قالها ثم انفجر في الضحك.

اقترب من مراد وهو يمد يده له ويقول:

- سنعقد صفقة الآن.

أنت ستحتفظ بسري لنفسك وسأحتفظ بسرك لنفسي مقابل زواجك من شقيقتي وإبعادها عن مملكة بيورين إلى الأبد ثم إنجاب أطفال كثيرون يهرولون في هذا القصر البائس وبهذا نضمن اتحاد المملكتين والعمل على مصالحهما المشتركة.

- موافق. ولكن هناك شرط آخر.
- أي شيء يا عزيزي.
- إياك والمساس بلومينا. ستظل تعمل في القصر هنا حتى بعدما أتزوج من شقيقتك، ولكنك أبدًا لن تعترض طريقها.

ابتسم داني بخبث وقال:

- أيها اللئيم! ستحتفظ بها لنفسك! مرحبًا بك في عالم الملوك والأمراء!

لم يرغب مراد في الجدل مع داني أكثر من هذا، أو حتى توضيح أمر إبقاء لومينا في القصر! إنه يخشى أن يمسها السوء وخصوصًا بعد الأحداث المرعبة التي حدثت في القصر. إنها تعرف أشياء كفيلة بأن تكون السبب في هلاكها، لذا إبقائها بجانبه سيكون أفضل ما يمكن أن يفعله لها.

سأله مراد بحيرة:

- ولكن هناك ما يحيرني. لماذا تريد التخلص من شقيقتك إلى هذه الدرجة؟

ابتسم داني قبل أن يجيبه:

- هل تعلم أنني سأصبح الملك قريبًا؟ لا أظن أن أحدًا أخبركم بهذا الأمر ولكن الحقيقة يا عزيزي هي أن جلالة ملك مملكة بيورين يُحتضر ولم يتبق له سوى بضعة شهور في هذه الحياة البائسة!

تفاجأ مراد مما سمعه.

سأل:

- وما علاقة شقيقتك بهذا الأمر؟
- أليس الأمر واضحًا؟ أنا لا أريد انتقاداتها لي فيما أفعله، كما أنها ليست بفتاةٍ عادية كشيرين! إنها تريد منصب الملكة لحكم مملكة بيورين!

استغرب مراد من كلامه، فسأله:

- ما الذي تتحدث عنه؟ العرش من حقك بواجب القانون يا داني، حتى وإن كنتما توأمان!
- أنت طيب القلب حقًا ولا تعرف شيئًا عن بيري! إنها تراني ملكًا لا يصلح لحكم المملكة. لقد أخبرتني بهذا من قبل، كما أن هناك عدد من حقراء الملك لا يريدونني فوق العرش ويريدونها هي كي يتحكمون من خلالها في كل شيء فأنت تعلم أن كونها امرأة تتصف بالعاطفة ولا تفقه حرفًا واحدًا عن السلطة سيتيح لهم الفرصة في إدارة شؤون المملكة من خلالها، لذا أنا أخشى غدرهم

جميعًا. إن السبيل الوحيد لإبعاد أنفها وأنوفهم عن شؤوني هو زواجها منك ومكوثها هنا في مملكة الشمال إلى الأبد وبُعدها عن عرشي ومملكتي.

سكت ثم استطرد قائلًا:

- أتمنى ألا تشفق على حالها، فهي ترغب في الزواج منك أكثر من رغبتها في صعود عرش مملكة بيورين.

قبل أن يغادر داني استدار وقال بتهكم:

- ولكن كيف لك أن تكون من سحرة النور؟ لماذا لا تكتشف بنفسك يا عزيزي؟

غادر الغرفة وهو يضحك تاركًا مراد في حالةٍ من الغضب والحنق والخوف. شعر أن المكتبة تدور من حوله وأنه سيفقد وعيه في أي وقت.

تقدم من المكتب وفتح الدرج وأمسك بريشةٍ غمسها في الحبر الأسود وكتب على ورقة بيضاء رسالة إلى ملك مملكة بيورين يطلب فيها يد بيري منه، ثم ختمها بختم مملكة الشمال المعروف وأمر واحدًا من الخدم بتوصيلها إلى برج الحمام الزاجل لإرسالها.

* * * *

عادت لومينا إلى القرية وهي تشعر بالسعادة المشوبة بالقلق والخزي لما سيقوله أنس عندما يعلم حقيقة مراد.

احتضنت شقيقها بقوة ثم توجهت إلى فراشها لتنام.

نهضت يوم الجمعة وهي تشعر بالحيوية والسعادة التي لم تشعر بها من قبل، حتى أن أنس لاحظ هذا الأمر ولكنه لم يسألها عن سبب سعادتها.

إنه يوم السبت وقد حان وقت الذهاب إلى القصر لمباشرة عملها فيه كطاهية.

منذ اللحظة الأولى التي وضعت فيها لومينا قدميها في القصر وهي تشعر بأن هناك أمرًا خاطئًا.

كانت نظرات مراد إليها لا توحي بأن كل شيء على ما يرام.

كانت بيري تجلس بجانبه وكتفاهما متلامسان مما جعل لومينا تتسمر في مكانها وهي تراها تمسك بيده.

تسارعت نبضات قلبها واعتلت نظرة من الغضب وجهها الحزين فلم تحتمل رؤيتهما معًا فتركتهما واتجهت إلى أعلى البرج فصادفت كنان في الممر ويبدو أنه كان سيقول لها شيئًا ما ولكنها تجاهلته وأكملت في طريقها. التقطت أكبر قدر من الهواء لأنها شعرت بالاختناق ونظرت إلى الميناء الملكي وإلى السفن وهي تشعر أنها على وشك الانفجار من الغضب، جاء صوت كنان من خلفها وهو يقول:

- لقد شعرت من قبل بما تشعرين به الآن.

صدقيني لن يفعل غضبكِ شيئًا في هذه الظروف.

لم تعد لومينا تكترث لاتهامه لها بحب مراد فاستدارت وسألته بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- وما الذي سيجدي في هذه الحالة يا سيد كنان؟

تنهد كنان واقترب منها وقال مبتسمًا بود:

- سأكون كاذبًا إن أخبرتكِ أن هذا الألم الذي تشعرين به سيزول، ولكنكِ ستعتادينه كما فعلتُ! لقد قضيت عمري بأكمله أعشق تلك الفتاة الجميلة التي كانت بالنسبة إلي كاللغز أو النجم البعيد الذي لا تستطيعين الاقتراب منه. عندما علمت بأمر زواجها من صديقي شعرت أنني طُعنت في قلبي يا لومينا، ولكنني لم أتذمر؛ ففي نهاية الأمر، ما الذي سيفيده التذمر إن كان كُتب على قلبي الشعور بهذا الألم؟

- ما الذي فعلته بالضبط كي تتأقلم مع الوضع الجديد؟

اتسعت ابتسامته واقترب منها أكثر وقال وهو يمسح دموعها التي هربت من كبريائها بصعوبة:

- ما فعلته بالضبط يا عزيزتي هو أنني انتظرت! انتظرت حتى تندم بروفان على زواجها من تولين!

استغربت لومينا إجابته فسألته:

- ولكنني لا أفهم.

قال بحزن:

- انتظرت حتى تكتشف أنه شخصًا حقيرًا غير جدير بحبها.

- ما الذي تعنيه؟

ابتسم واستدار وسار باتجاه الدرج وهو يقول:

- ربما أخبركِ بكل شيء يومًا ما.

استغربت لومينا من كلامه وظلت تفكر في السبب الذي جعل تولين يتغير مع زوجته. ما الذي يعرفه كنان ولا يخبرها به؟ ما الذي اكتشفه في الماضي ولم يخبر بروفان به؟ أتى صوت مراد من خلفها ينم عن الحزن والقلق وهو يقول:

- هل أنتِ بخير؟

استدارت واغتصبت ابتسامة وقالت وهي تنحني قليلًا:

- لم أكن أفضل من الآن يا سيدي.

انزعج من طريقتها الرسمية في الكلام، ولكنه تجاهل انزعاجه وقال لها بقلق:

- لقد علم داني أنني من سحرة النور، لقد كان يتنصت على محادثتنا الأخيرة في المكتبة يوم الخميس الماضي، لذا أتمنى أن تتوخي الحذر من الآن فصاعدًا.

- شعرت لومينا بالخوف بعد سماعها لكلامه، فسألته:

- وماذا كانت ردة فعله تجاه الأمر يا سيدي؟

- لا تقلقي. لقد اتفقنا على ألا يفشي أحدنا سر الآخر.

أدركت لومينا أن مراد لعب بورقة علاقة نور بداني وربح بها، فقالت:

- صار يعلم داني أنه في مأزقٍ مثلك. هذا جيد على الأقل.

- ولكنكِ صرتِ في مأزقٍ وضعتكِ فيه دون أن أقصد!

- ما الذي تقصده بالضبط؟

اقترب منها وهو يقول بحزن:

- لقد سمع كل كلمة أخبرتكِ بها في تلك الليلة، وأنا أخشى أن يمسكِ بسوء. صدقيني أنا لن أرحمه إن فعل لكِ أي شيء!

قالت وهي تحاول منع دموعها من النزول:

- لا تخف يا سيدي، فأنا راحلة عن هذه المملكة.

سألها باندهاش وانزعاج:

- سترحلين؟ لماذا؟

- لقد سمعت أن القرويين في مملكة الجنوب ينالون قدرًا لا بأس به من المعاملة الحسنة، وهذا أفضل من لا شيء، أليس كذلك يا سيدي؟

شعر مراد أنها غرزت خنجرًا مسمومًا في قلبه فتبدلت ملامحه تمامًا، وشعر بالنيران بداخله تتأجج، ولكنه كبحها قائلًا:

- حسنًا. عندما نعثر على القاتل ونحبط هذه المؤامرة بإمكانكِ المغادرة إلى حيث ترغبين، وسأعمل على التأكد من راحتكِ هناك!

ساد الصمت بينهما وهما يتبادلان نظرات ذات معانٍ كثيرة، قطعه كلام لومينا وهي تقول:

- حسنًا. سأغادر الآن.

تركته وحيدًا ينظر إلى الميناء الملكي مراقبًا السفن وهي تسير في البحر. ظل يفكر في الخطوة التالية التي يجب فعلها. إنه يباطل طلب داني في الزواج من شقيقته؛ فهو لن يتزوجها إلا عندما يعثر على القاتل ويشعر بالاطمئنان. لقد طلب خطبتها من ملك مملكة بيورين معللًا تأجيل زواجهما بعدم استقرار الأمور في مملكة الشمال، مما جعل الملك يتفهم هذا الأمر فوافق على الفور دون أي اعتراض يُذكر.

أعلن الحراس خطبة الملك للأميرة بيري في جميع أنحاء مملكة الشمال وانتشر الخبر في جميع الممالك الأخرى في الأيام التالية.

لم يحتفل مراد بحفل خطبته كما فعلت شيرين، وحتى بيري لم تتذمر لأنها تظن أن مراد حزين بسبب موت والده.

لم تعد بيري تفارقه أبدًا مما جعل أمر التحدث مع لومينا صعبًا للغاية بالنسبة إلى مراد.

في الواقع، لم تعد لومينا تكترث لأي شيء، وكان كل ما يشغل بالها هو العثور على القاتل وحل هذا اللغز المحير كي ترحل بسرعة عن هذه المملكة.

سادت حالة من التوتر والخوف بسبب جرائم القتل مما زاد من شدة الحراسة في القصر، ولكن مراد أمر بالتكتم عنها كي لا تعم الفوضى في المملكة.

## ١٦

انتهى وقت عملي في القصر ولم يحدث أي جديد، حان الآن موعد رحيلي وذهابي لأنعم بالعطلة في قريتي. وقفت أمام البحيرة وبجانبي أنس الذي كان غاضبًا مني كثيرًا بسبب ما قلته لتوي. نظر لي بوجهٍ متجهم وقال:

- سترحلين، أليس كذلك؟ وماذا عن والدنا؟ عندما تريدين زيارة قبره، فقط أخبريني ماذا ستفعلين وقتها بالضبط لأنني تائه هنا لا أفهم شيئًا.
- لا تزيد الأمر سوءً رجاءً. أرغب في الرحيل بشدة وأريدكما معي، ولكنني أعلم جيدًا أن والدتنا لن توافق أبدًا. نحن نستحق حياةً أفضل في مكان أفضل يا أنس.
- لقد ظننت أننا كافيان ولكنكِ فقط تريدين كل شيء.
- بربك يا أنس، لا تكن أحمقًا الآن. لولا ما حدث ما كنت فكرت في الرحيل أبدًا.

استغرب أنس من كلامي فسألني بفضول:

- لولا ما حدث؟ ما الذي تقصدينه بالضبط؟

أدركت على الفور أنني بحت له أكثر مما أردت.

هل أخبره أن سبب رحيلي هو وقوعي في حب واحد من سحرة النور كأولئك الذين قتلوا والدنا؟ كيف سيكون رد فعله وقتها؟ حاولت التهرب من الإجابة ولكنه أصر، لذا قلت كذبًا:

- في الواقع يا أنس، إن رحيلي عن مملكة الشمال هو الحل الوحيد لأنني أرغب كثيرًا في ترك عملي بالقصر الملكي، ولكن الملك لن يسمح لي أبدًا، لذا سأهرب من هذه المملكة بأسرها.

أصابه كلامي بخيبة أمل لأنه قال:

- لطالما كنتِ كاذبة سيئة. من الأفضل أن تفكرين في حجة أخرى عندما تخبرين والدتنا بأمر رحيلكِ.

أنهى كلامه ورحل وتركني دون أن يكترث لأي شيء.

لحقت به على الفور حتى لا يُلحق بي الأذى في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل.

لقد مر أسبوعان على آخر محادثة لي بيني وبين مراد. إنه يوم الخميس وغدًا هو يوم العطلة بالنسبة لي، ولكنني لم أعد أشعر بالسعادة كما كنت في السابق. لقد أصبحت الحياة مملة وكئيبة، وما زاد الطين بلة هو التغيرات الغريبة في الطقس. اقتربنا من فصل الخريف ولكنه لا يبشر بالخير. الطقس بارد للغاية وهذا غريب جدًا.

أخبرت والدتي بأمر رحيلي عندما عدت إلى الكوخ، وعلى عكس ما توقعت أومأت بالإيجاب وقالت وهي تربت على كتفي:

- لن أقف أمام أحلامكِ يا عزيزتي. لو كان والدكِ على قيد الحياة لما رفض هذا الأمر أبدًا.

تدخل أنس وقال بحدة جعلتني ووالدتي نندهش من طريقته العدائية التي لم نعتدها من قبل:

- ولكنه ليس على قيد الحياة، أليس كذلك؟

ابتسمت والدتي بحزن وقالت:

- بلى. إنه ليس على قيد الحياة، ولكننا كذلك، ومن الأفضل الآن أن يحترم بعضنا قرارات البعض، ألا تظن هذا يا أنس؟

لم يجبها وتركنا وخرج من الكوخ ونحن في حيرةٍ من أمرنا، لذا خرجت مسرعةً لألحق به فنظرت حولي أبحث عنه ولكنني لم أجده في أي مكان! أين اختفى بتلك السرعة؟ نظرت إلى حقول الذرة بجانب كوخنا فسرت قشعريرة في جسدي لمجرد رؤيتها هكذا. لا أدري لماذا شعرت أن هناك شيئًا يحدث في الحقل، لذا توجهت بخطواتٍ هادئة إليه وقلبي ينبض بشدة. أزحت عدة أعواد من عيدان الذرة عن طريقي فاصطدمت بمراد! اندهشت لرؤيته في هذا الحقل وفي مثل هذا الوقت المتأخر من الليل.

سألته وأنا أتنفس بسرعة:

- جلالة الملك! ما الذي تفعله هنا في مثل هذا الوقت؟

ظل ينظر حوله وكأنه يبحث عن شيء أو شخص، ثم نظر لي أخيرًا وقال:

- لقد شعرت بالقلق عليكِ. أتيت إلى هنا كي أطمأن فقط!

قطبت جبيني مستغربةً لكلامه، فسألته:

- وما الذي جعلك تشعر بالقلق في مثل هذا الوقت؟

اقترب مني وقال بجدية:

- لومينا. لا ينبغي أن تبتعدي عن القصر الملكي في هذه الظروف السيئة. أشعر أن الشر يطير في السماء كالغربان!

- مهلًا. أنا لا أفهم أي شيء الآن. هل يمكنك أن توضح لي الأمر رجاءً؟

أمسك بيدي وقال:

- سندخل ثقبًا أسودًا الآن وسنرحل إلى القصر الملكي!

أبعدت يده عن يدي وقلت بحدة:

- ما الذي تتحدث عنه؟ هل جننت؟ هل أرحل هكذا في منتصف الليل؟ لقد وصلت للتو، وأنت تخبرني أنه من...

قاطعني قائلًا:

- أنتِ في خطرٍ يا آنسة! لا تسأليني كيف علمت أو متى، ولكن تأكدي أن وجودكِ في القصر الملكي سيكون آمنًا لكِ عن بقائكِ في أي مكان آخر.
- القصر الملكي هو أكثر الأماكن رعبًا بالنسبة لي يا جلالة الملك. هل نسيت ما حدث لي فيه؟ لقد رأيت الرعب بعيني. لقد تجسدت مخاوفي أمامي في ذلك القصر الكئيب، وأنت تقول أنه أكثر الأماكن أمنًا لي؟
- ألا تثقين بي؟

توترت من سؤاله فلم أعلق في البداية. قلت أخيرًا:

- هذا سؤال مخادع وغير منصف أبدًا. ما علاقة الثقة بذهابي إلى القصر الملكي وأنا من غادره منذ ساعتين؟

نظر حوله وتبدلت ملامحه فأصبحت جادة خائفة قليلًا، لذا قال لي وهو يمسك بذراعي بيده اليمنى ويفتح ثقبًا أسودًا بيده اليسرى:

- هلمي الآن. لا تنظري حولكِ. فقط تشبثي بي!

لم أستطع التملص من قبضة يده القوية فمشيت معه داخل الثقب رُغمًا عني وأنا لا أفهم ما يحدث.

خرجنا من الثقب فوجدت نفسي أعلى البرج في القصر! شعرت بالغضب لما فعله دون إذنًا مني، فقلت:

- هل أنت راضٍ عن نفسك الآن يا جلالة الملك؟

ضيق عينيه واقترب مني وهو يقول بحدة:

- ستفعلين ما آمركِ به من الآن فصاعدًا. هل كلامي مفهوم يا آنسة؟

اقتربت منه أكثر وقلت له بعصبية:

- لا تظن للحظة أنني أسيرة في قصرك! أنا فتاة حرة وأنت لا تأسرني أو تملكني!

قال مازحًا:

- جميعكم هنا أسرى في قصري بل في مملكتي!

ضحكت بسخرية وقلت:

- هذا ما ينبغي أن تخبر به زوجتك بيري يا جلالة الملك. لا تخبرني أنا لأنني لست كأي فتاة تعرفها! أنا وحدي من أملك نفسي!

- أنتِ ملكًا لي وحدي. فقط تذكري هذا.

قلت بعصبية وقد ارتفع صوتي قليلًا:

- لا يا سيدي. أنا لست ملكًا لأحد. أنت مخطئًا تمامًا في هذا الأمر. والآن، لتعيدني إلى حيث أخذتني رجاءً!

وضع يده على جبهته وبدا أنه يتألم. اقتربت منه وسألته:

- ما الأمر؟ هل أنت بخير؟

- لا لست بخير أبدًا. لقد انفطر قلبي عندما أخبرتني أنكِ سترحلين عن المملكة. كيف تفعلين هذا بي؟ هل أذيتكِ كي تنتقمين مني بهذا الشكل المهين؟

لم أستطع قول أي شيء. ابتعدت عنه قليلًا ونظرت إلى السفن في الميناء الملكي ثم قلت:

- أخبرتك من قبل أن هذا العشق ممنوع في عالمنا.

اقترب مني وقال:

- لنهرب إلى عالمٍ آخرٍ إذن!

ساد الصمت بيننا ونحن نتبادل النظرات التي تحمل المعاني الكثيرة.

ظل ينظر لي بحزن لوقتٍ طويل ثم استدار فجأة وقال وهو يتجه إلى الدرج:

- ستظلين هنا حتى أُمسك بالقاتل وأتأكد أنكِ بأمان، ومن ثم تستطيعين الرحيل.

لم ينتظر حتى أُبدي اعتراضي على كلامه لأنه رحل وتركني وحدي.

ما الذي ينبغي عليَّ فعله الآن؟ هل أهبط الدرج إلى غرفة الخدم كي أنام؟ ستقتلني أمي إن علمت أنني هنا في القصر!

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى كنان وطلبت منه إرسال أحد الحراس إلى والدتي لإخبارها بأمر رحيلي في الليلة الماضية ومكوثي هنا في القصر لفترة لا يعلم مدتها أحد وأن يطمأنها على حالي، فابتسم وقال لي:

- لقد أرسل الملك بنفسه رسالةٍ إلى والدتكِ.

لا تقلقي يا لومينا.

استغربت مما سمعته كثيرًا، ولكنني لم أعلّق وذهبت لاستكمال عملي في المطبخ الملكي. حل الليل على القصر المخيف فذهب الخدم إلى غرفتهم لينامو ا.

كنت مستلقية على الفراش أنظر إلى السقف من فوقي أفكر في كل ما حدث لي منذ بدئي للعمل في المطبخ الملكي حتى الآن.

لماذا يرفض مراد العودة إلى الماضي كي يكتشف حقيقة عائلته؟ ما الذي يخفيه عني ذلك الشاب؟ سمعت كنان يهمس بجانبي وهو يتحدث مع نور عن الملكة الأم. لقد استعادت قدرتها على النظر صباح اليوم، ولهذا هو مستغرب مما أصابها والذي شفيت منه فجأة. نام الكل أخيرًا وأنا لا زلت في فراشي أحملق في السقف ولا أستطيع النوم.

## ١٧

استيقظت في صباح يوم السبت على نبأ وفاة ملك مملكة بيورين.

سافر جميع أفراد الأسرة الحاكمة إلى مملكة بيورين هذا الصباح وجلس على العرش نائب الملك الجديد الذي لم أرَه سوى مرتين فقط.

لا زلت سجينة في القصر الملعون أنتظر حل اللغز الذي حيرني منذ بدء العمل. يزداد الطقس برودةً بمرور الأيام. إنني أرتعش من البرد وأنا جالسة على فراشي أحملق في السقف ليلًا. سمعت صوت باب المكتبة فاستغربت.

الملك ليس هنا بل في طريقه إلى مملكة بيورين، ولن يصل قبل يوم الجمعة القادمة! هل من يفتح الباب هو الرجل ذو العباءة السوداء؟ نظرت بجانبي أتفحص الأسرة لعلني أجد أحدها فارغًا، ولكنهم جميعًا نائمين. نهضت من فراشي وارتديت عبائتي المصنوعة من الصوف كي تمنع عني هذا الطقس المميت وأمسكت بالشمعة بجانب فراشي وذهبت إلى خارج الغرفة لأصعد الدرج إلى المكتبة.

وجدت الباب مفتوحًا على مصراعيه ولكن لا يوجد أحد بالداخل. بخطواتٍ حذرة خائفة مشيت باتجاه المكتبة أنظر إلى جميع أركانها لعلني أعثر على أي شيء.

توقفت عن السير عندما رأيتها للمرة الثانية! الفتاة ذات الشعر الأسود الطويل ظهرت أمامي فجأة في ثوبها الأسود الكئيب تنظر إلى الكتب أمامها.

استدارت الفتاة ببطءٍ مخيف ونظرت لي بعينيها الحمراوتين اللتين يدور الضوء الأزرق حول حدقتيهما ثم مرت بجانبي واتجهت إلى أعلى البرج.

تبعتها وأنا أرتجف من البرد والرعب معًا ثم توقفت عندما توقفت هي فجأة.

أشارت بيدها إليَّ كي أقترب منها ففعلت ما أرادت وكأنني مسحورة مسلوبة الإرادة. كانت المسافة قليلة بيني وبين وجهها وكلٍ منا ينظر في عين الآخر، وللمرة الثانية رأيت الأحداث تدور داخل حدقتي عينيها.

تغير كل شيء حولي فرأيت فتاة تجري في الحديقة الملكية وهي تضحك بسعادة ومن خلفها شاب في العشرين من عمره. إنه يشبه الملك السابق إلى حدٍ كبير.

يبدوان سعيدان للغاية، ولكن المرأة التي تجلس وتراقبهما من بعيد لا تبدو سعيدة مثلهما. إنها الملكة لورا بالطبع! رأيت الملكة تنظر بكراهيةٍ إليهما وهي تحمل بين ذراعيها الأميرة شيرين الطفلة الرضيعة.

أعطت الملكة ابنتها الصغيرة إلى أحد الخدم ونهضت بعصبية ومشت باتجاه القصر فاصطدمت بشابٍ وسيم للغاية. ظل الاثنان ينظران إلى بعضهما البعض فترة ليست بالقصيرة، ثم انحنى الشاب باحترام ومضى في طريقه.

تغير المشهد إلى غرفة مظلمة بها شخصان.

يا إلهي الرحيم! إنه المشهد نفسه الذي رأيته بين داني ونور، ولكنه الآن يجمع بين الملكة والشاب الوسيم الذي اصطدم بها! إنها تخون الملك.

ولكن من هو هذا الشاب؟ تغير المشهد سريعًا ليحل محله الفتاة الشابة التي كانت تضحك وبجانبها الشاب الوسيم نفسه يجلسان جنبًا إلى جنب ومن حولهما بضعة أشخاص تعلو وجوههم ابتسامات لا أدري لماذا رأيتها مزيفة. مهلًا، هل هذان هما بروفان وتولين؟ هل هذا هو حفل زفافهما؟

تغير المشهد إلى الغرفة المظلمة نفسها وفيها الملكة وهي تبكي وتقول لتولين:

- لماذا تزوجتها؟ لقد أحببتك!

أجابها تولين بحدة:

- هل سنخوض هذا النقاش للمرة الثالثة؟ حسنًا يا لورا. لقد تزوجتها كي أكون قريبًا منكِ! ألم تعلمي أن والدتكِ جعلت الملك يطردني خارج القصر؟ أنتِ تعرفين أن السبيل الوحيد لرؤيتكِ كل يوم هو من خلال بروفان. أعلم أن الأمر سخيفًا بالنسبة إليكِ، ولكنني أعتقد أن الملك سيوافق في النهاية على أن أعيش هنا معها. لقد وعدتني أنه سيوافق في نهاية الأمر على زواجي منها، وبذلك أستطيع رؤيتكِ كل يوم.

احتضنها وقبَّلها ولكنها أبعدته عنها وهي تبكي وتقول:

- أنت كاذب ومخادع! لقد أخبرتني أنني المرأة الوحيدة في حياتك ولكن هذا ليس صحيحًا أبدًا.

قال لها بعصبية:

- أظن أن الأمر بالنسبة إليكِ مشابه لحالتي إلى حدٍ كبير. أنتِ تنامين بجانب رجل آخر غيري وأنا أعلم أنكِ تكرهينه وتعشقينني، ولكن القدر له أفعال غير مبررة

أبدًا. لماذا خُلقت فقيرًا؟ لماذا أحببتكِ من الأساس؟ لماذا عشقتني تلك الفتاة الغبية التي لا أطيقها؟

- لا تطيقها؟ ولماذا حملت منك بحق الإله ما دمت لا تطيقها كما تزعم؟

ابتسم بوهن وقال:

لن أنكر أنني لم أخطط أبدًا لأمر حملها، ولكن بعد التفكير في الأمر ثانية رأيت أن هذا هو الحل الوحيد يا لورا. ألا ترين أن طفلي الذي تحمله بداخلها هو الورقة الرابحة التي سأربح بها الحرب ضد زوجكِ؟

ساد الصمت بينهما قطعه تولين وهو يقول:

- أنصتي إليَّ يا حبيبتي. ستلد الفتاة ذلك الطفل وستتعامل معه كما ستتعامل مع شيرين وابننا الذي بداخلكِ، ثم سأقتل بروفان والملك ليصعد ابننا على العرش. سأكون بجانبكِ هنا، سأكون خادمكِ وحبيبكِ وزوجكِ! سنعيش معًا وابننا مراد هو من سيجلس على العرش ونحن من نتحكم في كل شيء! هل تعلمين ماذا سيحدث لبقية الممالك عندما يعلمون أنه من سحرة النور؟ سيخشونه كما يخشون ملك مملكة الجحيم!

قالت وهي تبكي أكثر من ذي قبل:

- كفى. فلتكف عن أحلامك هذه! لقد سئمت وعودك يا تولين. أنا لا أدري لماذا أحببتك؟ إنه يصدق أن هذا الجنين هو ملك له وليس لك!
- ولكن هذا ليس صحيحًا يا لورا! لقد جعلتكِ ترين من قبل أنه يخصني. لقد رأيناه معًا عندما سافرنا عبر الزمن. إنه من سحرة النور مثلي.

ساد الصمت ثانيةً، لم يقطعه سوى صوت لورا وهي تقول:

- سأفعل ما تريد فقط لأنني لا أطيق هذه الحياة بدونك! سأتغاضى عن زواجك منها وحملها منك كي تضع هذا الطفل ومن ثمَّ سنقتلها فيضطر زوجي إلى أخذ طفلها لتربيته مع شيرين ومراد، ثم سنقتل زوجي ليصعد طفلنا على العرش.

ابتسم لها بتصنع وقبلها بحرارة. نظرتُ بجانبي فرأيت شابًا يشبه كنان يسترق النظر إليهما.

هذا إذن ما كان يعرفه كنان عن تولين ولم يخبر بروفان به أبدًا!

تغير المشهد من حولي مرة أخرى لأرى نفسي أعلى البرج وأمامي كنان يقف أمام تولين ويقول:

- لا يفترض أن يراك أحد هنا. أنت تعرض حياتك للخطر يا صديقي.
- فقط رغبت في أن أكون بجانب زوجتي. إنها مريضة وأظن أن حملها ليس على ما يرام!
- ما الذي تقصده بذلك؟
- أظنها ستلد طفلة مشوهة!

ظهر القلق على وجه كنان، فسأله:

- هل أنت متأكد مما تقول؟
- نعم يا كنان. هل كذبت عليك من قبل؟

ابتسم له كنان ابتسامة مصطنعة وقال له:

- أبدًا يا صديقي العزيز! أبدًا!

تغير المشهد مرة أخرى لأرى كنان يتحدث مع نائب الملك ويخبره بكل شيء عدا خيانة الملكة لزوجها! قال نائب الملك بتجهم:

- اسمعني جيدًا يا كنان، لن نخبر الملك أن ذلك الخادم ساحرًا، لأنه لو علم سيقتل شقيقته على الفور ظنًا منه أنه يقتل الشر بداخلها وأنا لن أسمح أبدًا بحدوث ذلك.
- إذن، ماذا سنفعل بالضبط يا سيد ليث؟

لم يرد نائب الملك على الفور.

قال بعد تفكير:

- سأخبر الملك أن شقيقته تحمل طفلة بداخلها، ولكنني لن أخبره أنها ستكون من سحرة النور، وقبل أن يتخذ الملك أي قرار في ذلك الأمر سيكون ذلك الخادم مدفونًا بجوار أسلافه!
- وماذا بعد يا سيدي؟
- سأقنع الملك بإبقاء شقيقته في القصر حبيسة غرفتها حتى تلد تلك الطفلة المشوهة!

استغرب كنان كلامه فسأله:

- ولكن يا سيدي، ستكون الطفلة مشوهة ومن سحرة النور في الوقت نفسه!
- لا تقلق يا كنان. لا يعيش أطفال سحرة النور المشوهين طويلًا. لقد رأيت ذلك الأمر من قبل.
- والأميرة بروفان يا سيدي؟
- ستكون قد تزوجت من نبيلٍ ما، وسينتهي هذا الأمر إلى الأبد!

تغير المشهد وحل محله مشهدًا مروعًا أبشع من أفزع كوابيسي! إنه مشهد وضع الأميرة بروفان للطفلة المشوهة. كان كنان بجانبها يمسك بيدها ويقول بحنان:

- سينتهي الأمر سريعًا يا عزيزتي. فقط لا تقلقي. سينتهي كل شيء.
- أين تولين يا كنان؟ لماذا ليس بجانبي؟ أريد زوجي رجاءً!

تغيرت ملامح كنان وظهر الغضب على وجهه ولكنه حاول كبته بداخله. انتهى كل شيء بالنسبة إلى بروفان. لقد أنجبت البائسة فتاة مشوهة ماتت بعد وقت قليل من ولادتها. رأيت بروفان وهي تصرخ وتأن من الألم الجسدي والنفسي معًا.

كانت تصرخ وتنادي على زوجها الخائن الحقير، ولكنه لم يسمعها أبدًا لأن نائب الملك كان قد قتله منذ فترة دون أن يخبر أحدًا.

فهمت مما رأيت أن كنان لم يخبر نائب الملك بأمر الملكة وجنينها الذي اكتشفت أنه مراد، ولم أفهم ما هو سر تكتمه في هذا الأمر الخطير إلا عندما تغير المشهد للمرة الأخيرة.

كانت بروفان تقف أعلى البرج أمام كنان وهي تبكي وتقول:

- لقد خسرت كل شيء يا كنان، شقيقي مُصر على زواجي من ذلك النبيل من حاشيته. لقد أقنعه بكتم أمر زواجي بالمال. كيف له أن يفعل هذا بي؟ إنني شقيقته يا كنان.
- إنه لا يرى زواجكِ من تولين شرعيًا. إنه يراه زنى يا سمو الأميرة!

نظرت بروفان إلى الأسفل فرأت شقيقها يجلس بجانب شيرين ويلعب معها في الحديقة الملكية.

هل هذه هي اللحظة التي سترمي فيها بروفان بنفسها من أعلى البرج؟ ولكن كنان أخبرني أنه كان يجلس مع الملك في الحديقة الملكية في ذلك الوقت.

وأخبرني أيضًا أن الملكة هي من أنجبت الطفلة المشوهة! يا إلهي! لقد كان يكذب منذ البداية!

تقدم كنان من بروفان وأمسك بيدها وهو يقول:

- أنتِ لستِ مضطرة لقبول الزواج من ذلك النبيل يا بروفان. فقط اهربي معي. إنني أحبكِ. لطالما أحببتكِ، ولكنكِ لم تبادليني المشاعر نفسها.

أبعدت يده عن يدها باستغراب وقالت بعصبية:

ما الذي يتفوه به فمك الوضيع هذا؟ هل نسيت أنني زوجة أعز صديق لك؟

نزل كلامها عليه كالصاعقة فتبدلت ملامحه على الفور وأصبحت غاضبة وهو يقول ويمسك بيدها بقوة آلمتها:

- أعز صديق للمرء لا يسمح لنفسه بالزواج من حبيبة صديقه واللعب بمشاعرها.
- ولكنه أحبني بحق السماء!

قال كنان بصوت عالٍ:

- ولكنكِ مخطئة! لم يحبكِ تولين ولا غيره. أنا فقط من أحببتكِ بصدق!
- اترك يدي الآن يا كنان وإلا أخبرت شقيقي أنك من سحرة النور، وأنت تعلم جيدًا ماذا سيحدث لأمثالك!

ظهر الخوف والقلق على وجهه، فقال:

- لا يوجد لديكِ دليل على اتهامكِ هذا.
- لا أحتاج إلى دليل يا عزيزي. كلمة واحدة مني لشقيقي وستجد نفسك مع قومك أسفل التراب!

ترك يدها ثم قال لها بنبرةٍ لم تخلُ من العتاب:

- ما الذي فعلته كي تكرهينني؟ لقد أحببتكِ وزوَّجتكِ لصديقي وكتمت سركما، بل كتمت السر الذي بينه وبين الملكة كي لا أؤذي مشاعركِ، ولكن مكافئتي دائمًا وأبدًا لم تتغير! التجاهل والتغاضي والكره وتقليل الشأن هو ما استحققته منكم جميعًا.
- ما الذي تقصده بالسر الذي بين زوجي والملكة؟

ابتسم كنان بحزن وقال بسخرية:

- أيتها الفتاة البائسة! ألم يخبركِ أحد أن تولين تزوج منكِ فقط كي يقترب من حبيبته لورا التي تحمل بداخلها جنينه؟

ظهرت الدهشة والحيرة في عينيها، فسألته وهي على وشك الانفجار في البكاء:

- أنت تكذب. أنت فقط تغار منه.
- ولماذا سأغار منه الآن؟ لقد سمحت لكما بالتقرب وساعدتكما وأنا غارق في عشقكِ. أليس أمرًا غريبًا أن أشعر بالحقد والغيرة من علاقتكما الآن خصوصًا بعد موته وموت طفلتكما؟

قالت بروفان وهي على وشك أن تفقد وعيها:

- هل مات تولين؟ هل أنت من قتله؟
- لا. نائب الملك هو من فعل.

نظرت إليه بغلٍ وكراهية وقالت وهي تمسك ببنسة انتزعتها من شعرها وهي على وشك غرزها في عنقه:

- أنت من أخبرت نائب الملك أن تولين من سحرة النور ليقتله وتتخلص منه إلى الأبد.

أمسك بيدها التي تمسك ببنسة الشعر وقال بذهول:

- ستقتلينني الآن؟ بعد كل ما فعلته لأجلكِ كل ما ترينه هو أنني كنت السبب في مقتل زوجكِ الذي خانكِ مع زوجة شقيقكِ واستغلكِ فقط كي يقترب منها ومن عرش المملكة؟

اقترب منها كنان ووضع كلتا يديه حول عنقها وهو يضغط عليها بقوة فلم تجد بروفان ما تفعله سوى الرجوع إلى الخلف حتى وصلت إلى حافة البرج وهي تحرك يدها فربما يراها أحدٌ من الأسفل. قال كنان بغضب لم أرَه من قبل:

- أتعرفين ما الذي استحققته طوال تلك السنوات أيتها العاهرة؟ استحققت الاحترام، والحب، والتبجيل.

استحققت...

لم ينهِ كنان كلامه أبدًا لأن قدم بروفان كانت قد انزلقت من على حافة البرج وبدأت في السقوط وهي تصرخ أبشع صرخة سمعتها في حياتي! كادت صرخة أن تفلت مني لولا أن الفتاة وضعت كلتا يديها على وجنتيَّ فنظرت إلى عينيها الحمراء لأجدني في مكان غريب مخيف مظلم إلى حدٍ ما مليء بالحشرات الكبيرة التي تزحف على الأرض من حولي.

تعالت أصوات أنفاسي الخائفة وأنا أنادي على تلك الفتاة التي وحده الإله من يعلم هل هي بشر مثلي أم وحش يتلاعب بمشاعري! سمعت صوت خطوات أقدام من خلفي فازدادت ضربات قلبي كالمعتاد وتعالت أنفاسي أكثر من ذي قبل حتى كدت أن أفقد الوعي. استدرت ببطءٍ وأنا على استعدادٍ تام لمواجهة ما ينتظرني خلفي، تسمرت مكاني عندما رأيته. إنه والدي أمامي وكأنه حيًا وليس ميتًا منذ إحدى عشرة عامًا!

قلت له ودموعي محتشدة في مقلتي:

- لقد اشتقت إليك كثيرًا.

لم يفعل شيء سوى أنه كان يوميء بالنفي! قطبت جبيني استغرابًا فسألته:

- ماذا؟ ما الذي تريد قوله؟

خرجت من فمه الكلمات مخنوقة بصوت متشحرج وهو يقول:

- لا تثقي به. سيدمر العالم. أريحيني من العذاب.

ازدادت دموعي وشعرت بالخوف الشديد وأنا أقول:

- ماذا؟ عمن تتحدث؟ أنا لا أفهم!

عاد يقول بصوته المتحشرج المخيف:

- لقد أنبأوني ولكنني لم أصدق. سامحوني.

لم يستطع إنهاء كلامه لأن ملامح الذعر ظهرت عليه وكأنه طفلًا صغيرًا شاهد وحشًا لتوه.

قال وهو يبكي دمًا:

- إنه قادم يا لومينا، اهربي يا عزيزتي. اهربي ولا تنظري خلفكِ!

وبغباءٍ شديد نظرت خلفي رُغمًا عني فرأيت الرجال ذوو العباءات السوداء يتقدمون من والدي وهم يمسكون بسلاسلٍ متقدة بالنيران الملتهبة ذات اللون الأحمر القاتم ويقتربون منه.

مروا بجانبي وكأنني شبحًا لم يكترثوا لأمره، ثم توجهوا لأبي وبدؤوا في تقييد قدميه ويديه بالسلاسل ثم وضعوا حول رقبته إحداها ليجروه كالحيوانات!

لم أستطع مشاهدة هذا المشهد المؤلم والمخيف فاستدرت بحثًا عن مخرجًا أهرب منه لأجد أمامي الفتاة ذات الشعر الأسود الذي أصبح وجهها قبيحًا ومخيفًا بشكلٍ لا يُحتمل. التفّت أصابعها الطويلة النتنة حول رقبتي وهي تقول بصوتها المرعب الذي لا يمت لعالم البشر بصلة:

- هل أردتِ الاستمتاع بالبحر يا لومينا؟ فلتستمتعي الآن كما تشائين!

قذفت بي في البحر الهائج الذي ظهر فجأة أمامي وكأنني حجرًا صغيرًا، ومن خلفي استطعت سماع والدي يصرخ ويقول:

- لا تثقي به. لا تثقي به! لا أجيد السباحة أبدًا، وحتى إن كنت أجيدها لا أظن أنني كنت سأنجو من هذه الأمواج الثائرة الغاضبة. أغوص الآن في الأعماق المخيفة المظلمة وأنا أصارع الموت في معركةٍ خاسرة هو المنتصر فيها مسبقًا. انهمرت دموعي في قاع البحر الهائج وأنا أفكر في مراد. لن أراه ثانية ولن أستطيع الاعتراف بحبي له. لن يسامحني أنس لأنني كتمت عنه الأسرار. ستفتقدني والدتي وستبكي كثيرًا على موتي.

مرَّ بجانبي أشخاص أو وحوش، لا أعرف في الحقيقة لأن المياه مظلمة كالقبر.

التفوا حولي وخرجت من أعينهم حزم ضوئية حمراء اللون أثارت فزعي كثيرًا.

ألم يكفهم أنني أموت غرقًا؟ إن رؤيتهم وهم حولي بأعينٍ حمراء كالدم كافية لأن توقف قلبي عن النبض تمامًا.

هل تستطيع الفتاة ذات الشعر الأسود أن تمنحني القدرة على العيش أسفل البحر؟

في الواقع أنا أُختنق حتى الموت ولكنني لا أموت.

إن هذا مؤلمًا أكثر من الموت نفسه!

بدأت أصوات مخيفة تخرج منهم.

فهمت ما يقولونه أخيرًا.

إنهم يهتفون باسمي وكأنهم يؤدون طقوس ما.

إنني الأضحية على ما يبدو.

لم أكن أعلم أن وقع اسمي سيكون مرعبًا إلى هذه الدرجة! اتخذت الحزم الضوئية الحمراء أشكال الثعابين واتجهت ناحيتي لتلتف حول عنقي.

ظلت هذه الثعابين أو الحزم الضوئية التي لا أفهم كنهها تخنق في عنقي وأنا أشاهد الوحوش من حولي وهم مبتسمون بسعادة.

لا أعرف كيف استطعت الكلام في تلك اللحظة بالذات، ولكنني عندما ناديت على مراد بأعلى صوت استطاعت حنجرتي البائسة أن تطلقه أسفل الماء، رأيت الكائنات

المخيفة من حولي تهرب مفزوعة من رؤية ضوءً أبيضًا ظهر فجأة من السطح وظل يغوص حتى وصل إلي.

لا أتذكر أي شيء بعدها لأنني وأخيرًا فقدت الوعي تمامًا بسبب ابتلاعي للمياه عندما ناديت على مراد.

هناك ألم يحرق صدري، لا أستطيع التنفس. هل أنا ميتة؟ فتحت عيني وأنا عاجزة عن الرؤية فخرجت المياه من فمي وكأنني ابتلعت البحر بأكمله! كنت أسعل وكأنني سأتقيأ حنجرتي في أي وقت.

كانت ضربات قلبي قد ازدادت عن المعدل الطبيعي بكثير.

لا أستطيع التنفس.

لا أستطيع رؤية ما حولي.

لماذا لا أسمع شيئًا؟ حاولت النهوض وأنا أبحث عن أي شيء حولي كي أسند عليه، ولكن يدًا قد أمسكت بي بالفعل وساعدتني. ثوان قليلة واستعدت السمع والقدرة على الرؤية بوضوح، ولكن يبدو أن من أنقذني قد غادر بالفعل.

نهضت من على الأرض ونظرت حولي.

لقد أنقذني شخصٌ ما من البحر الهائج وأوصلني إلى أعلى البرج، ولكن كيف؟ إن كان مراد فلماذا رحل بهذه السرعة؟

نهضت من على الأرض فشعرت بدوارٍ خفيف، ولكنني تحاملت على نفسي حتى وصلت إلى غرفة الخدم.

ارتميت على الفراش ثم نظرت بجانبي فرأيت كنان نائمًا كالأطفال! يا لك من رجل كاذب بائس! لم أحب ما حدث له من بروفان وصديقه، ولكنني لا أستطيع مسامحته لأنه كذب عليَّ. لماذا كذب عليَّ من الأساس؟ لماذا أخبرني سابقًا أن الملكة هي من قتلت بروفان؟ هل كان يخشى أن أشي به؟ ربما، ولكنه يظل كاذبًا في نظري.

بعدما تذكرت ما قاله والدي، رأيت أنه من الأفضل ألا أثق في أي شخص، حتى مراد!

# ١٨

إنه يوم الاثنين ولا يزال مراد في مملكة بيورين. لقد اشتقت إليه! إنني غاضبة من نفسي كثيرًا لأنني لا زلت أشعر ناحيته بهذه المشاعر المحرمة والتي لا جدوى منها من الأساس. كنت أجلس في الحديقة الملكية أراقب المقابر أمامي وأفكر في بروفان وما حدث لها في الماضي.

لقد كانت فتاة بائسة عديمة الحظ ككنان. هذان الاثنان تعيسا الحظ يذكراني بنفسي كثيرًا.كم هي هادئة تلك المقابر! لطالما ظننت أن من يسكنون فيها هم أكثر الناس بؤسًا، لذا كنت أشعر بالأسى والشفقة عليهم، ولكنني كنت مخطئة! نحن من يجب أن نشعر بالشفقة على أنفسنا.

لطالما طرحت على نفسي هذا السؤال:

"هل من يرقدون أسفل التراب سعيدون بمأواهم الأخير أم هم معذبون يحاولون النجاة من أخطائهم التي اقترفوها أثناء حياتهم فوق الأرض؟" أظن أنني لن أعرف أبدًا ما دمت حية!

دخلت القصر الملكي وصعدت الدرج إلى غرفة الخدم واستلقيت على الفراش لعلني أتمكن من النوم ولكنني فشلت. نهضت وصعدت الدرج إلى أعلى البرج وجلست على الأرض أشاهد السفن في الميناء. قال صوت مألوف من خلفي:

- اشتقت إليكِ كثيرًا!

بمجرد سماع صوته اندلعت حرب ضروس بين مشاعر مختلطة بداخلي لم ينتصر فيها سوى شعور الحزن. استدرت بسرعة والدموع محتشدة في عيني رافضة الخضوع لرغبتي في البكاء وإظهار ضعفي أمامه!

سألته بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- أليس من المفترض أن تكون في مملكة بيورين يا جلالة الملك؟

قال بابتسامةٍ اخترقت قلبي كالسهم:

- هذه إحدى مميزات كوني من سحرة النور يا آنسة.

- هل أصبح داني هو الملك الآن؟

تلاشت الابتسامة من على ثغره وقال وهو يومأ بالإيجاب:

- آه، داني! لقد أصبح الملك الآن بالفعل.

قطب جبينه عندما تحررت دمعة من سجن عيني فجأة فاقترب مني وسألني بقلق:

- ماذا بكِ؟ أنتِ لستِ على ما يرام.

انفجرت في البكاء فسأل بقلق:

- هل أصابكِ مكروه؟

تبادلنا النظرات طويلًا. سألته أخيرًا:

- هل أنت من أنقذني من الغرق في تلك الليلة؟

من الواضح أن سؤالي أثار اندهاشه لأنه سألني:

- ما الذي تتحدثين عنه؟ هل حدث لكِ مكروه وأنا في مملكة بيورين؟

ترددت كثيرًا في البداية، ولكنني حكيت كل ما حدث لي وهو ينصت باهتمام.

اتجه إلى حافة البرج وهو ينظر إلى الميناء الملكي، ثم قال لي باهتمام:

إذن، هذا هو ما حدث وقتها! هذا يفسر أشياءً كثيرة، ولكنني لم أظن أبدًا أن كنان من سحرة النور بل لم أشك أنه من قتل عمتي!

استغربت تجاهله حقيقة أنه ابن تولين وأن والدته خائنة، لذا سألته بحذر:

- وماذا عن والدتك يا جلالة الملك؟

استدار وقال بحدة:

- ماذا عنها؟

تلعثمت في الكلام وأنا أقول:

- أقصد... هل كنت تعلم أنها...؟

اقترب مني وتبدلت ملامحه وأصبحت مخيفة وهو يقول:

- هل كنت أعلم أن والدتي خائنة؟ هل كنت أعلم أنني ابن سفاح؟ هل كنت أعلم أنني من سحرة النور بسبب ذلك الخادم الذي سخر من والدتي وعمتي وهو من تسبب في كل شيء؟ حسنًا يا لومينا.

نعم، اكتشفت الحقيقة المريرة في العام الماضي عندما عثرت على المكتبة الضائعة لمملكة ليموريا؛ فبعد عثوري عليها فهمت قوايا وعرفت كيفية التحكم فيها ثم اكتشفت أنني أستطيع السفر عبر الزمن عن طريق الثقوب السوداء فاستخدمتها في اكتشاف حقيقة ما حدث في الماضي، ولكنني كذبت عليكِ عندما أخبرتكِ أنني لا أعرف من هي عائلتي الحقيقية. والمثير للسخرية هو أنني تجاهلت الأمر برمته وتصنعت عدم معرفتي بالحقائق من أجل والدتي التي لم تتحل أبدًا بالشجاعة لإخباري الحقيقة!

إنه غاضب لأنني أعرف بأمره وأمر والدته. لم ينبغِ علي الإفصاح له عما اكتشفته في تلك الليلة.

اقترب مني وقال نادمًا:

- معذرةً، أنا لم أقصد أن أتحدث معكِ بهذه الطريقة!
- في الواقع، إنه أنا من ينبغي أن يعتذر لأنه ليس لائقًا أن أتحدث معك في أمرٍ شخصي كهذا.

ساد الصمت بيننا لفترةٍ طويلة. قطعه بسؤالي:

- من هو؟ لا بد أنكِ رأيتِ وجهه أو سمعتي أي شيء مما قاله، أليس كذلك؟
- لم أرَ وجهه ولم أسمع صوته. لقد أنقذني وغادر وكأنه لم يكن.
- هل تظنين أنه كنان؟
- لا أدري. ولكنني لا أظن ذلك.

سألني:

- وما الذي قصده والدكِ؟

تنهدت بوهن وأجبته:

- لا أدري. أنا متعبة وأتمنى أن ينتهي هذا الكابوس قريبًا.

- ابتعدي عن كنان. سآمر أحد الحراس بمراقبته وحمايتكِ لحين أعود يوم الجمعة.

لن أستطيع الآن أن أتهمه بأي شيء لأنني لا أملك دليلًا على أنه الرجل ذو العباءة السوداء، بالإضافة إلى أن كونه من سحرة النور لا يعطيني الحق في محاكمته لأنه يعلم أنني مثله، لذا ما سنفعله الآن هو أننا سننتظر حتى يخطأ ويترك لنا خيطًا نتبعه لكي نصل إلى دليل قتله للملك ونائبه والسيدة ليلى وتلك الخادمة ومن ثمَّ نستطيع محاكمته فقط على جرائمه وليس كونه من سحرة النور.

فقط عديني ألا تذهبي بحثًا عن المتاعب ثانيةً!

ابتسمت وقلت:

- المتاعب هي من تبحث عني. صدقني لقد حاولت تجاهلها كثيرًا ولكنها دائمًا ما تجد سبيلًا للوصول إلي في كل مرة.

نظر لي طويلًا قبل أن يفتح ثقبًا في الهواء ويختفي بداخله دون إضافة أي كلمة أخرى.

في صباح اليوم التالي استيقظت على صوت كنان وهو يوقظني ويقول:

- من هي الفتاة ذات الشعر الأسود؟

نهضت مفزوعة من فراشي ووقفت أتأمل وجهه وضوء النهار يغمر الغرفة من حولي. سألته بحذر:

- عن أي شيء تتحدث بالضبط يا كنان؟

ضيّق عينيه ونظر لي نظرةً تحمل معانٍ كثيرة، ثم اقترب مني وهمس في أذني:

- هناك أشياء لا يجب العبث بها يا لومينا. فلتتذكري كلامي هذا.

فاجأني سؤالي له أكثر مما فاجأه عندما قلت:

- هل أنت من أنقذني من الغرق تلك الليلة؟

فاقت ابتسامته الغريبة كل توقعاتي. قال وهو يهم بالمغادرة:

- لا أعلم ما الذي تتحدثين عنه، ولكن نور تنتظركِ في المطبخ الملكي. من الأفضل ألا تجعلينها تنتظركِ أكثر من ذلك!

غادر الغرفة وأنا أفكر في الحديث الذي دار بيننا للتو وما عناه بسؤاله عن الفتاة ذات الشعر الأسود. ذلك الرجل خطير، ويجب أن أبتعد عن طريقه كما طلب مني مراد. دخلت المطبخ فإذ بي أصطدم بأنس، فتراجعت إلى الخلف قليلًا غير مصدقة ثم جريت نحوه واحتضنته بكل الحب الذي أكنه له.

سألته:

- هل الملك هو من أرسل إليك لزيارتي؟

- في الواقع، لقد افتقدتكِ كثيرًا فقررت القدوم إلى هنا دون الاكتراث لأي شيء، ولدهشتي لم يمانع أحدًا دخولي القصر الملكي.

نظرت إلى نور التي كانت تستمع إلى حديثنا فألقيت عليها التحية فردتها إليَّ بوهن. لماذا يبدو وجهها نحيلًا هكذا؟ تبدو مريضة للغاية.

سألني أنس:

- هل أنتِ بخير؟

أومأت دون أن أجيب، وأمسكت بيدِ شقيقي واتجهنا إلى أعلى البرج. لا أدري لماذا لم يمنعه الحراس، من المحتمل أن يكون مراد قد أمرهم بعدم اعتراض طريقه! من يدري؟

نظر أنس إلى البحر وإلى الميناء بإعجاب ثم قال بنبرةٍ لا تخل من الحسد:

- ذلك هو البحر الأزرق إذن! يا لجماله! لم يسمح لي صاحب العمل بالذهاب إليه عندما طلبت منه ذلك.

قلت بفخرٍ:

- أنا آتي إلى هنا كل ليلة.

نظر لي طويلًا نظرة لم أفهمها، ثم قال:

- أخبرتني نور عن غير قصد أنكم رجالًا ونساءً تنامون في الغرفة نفسها! كيف احتملتِ هذه الفكرة بحق الجحيم؟

أضحكني كلامه لأنني لم أنم بجانبه قط، ولكنني الآن أنام في غرفةٍ فيها عدد لا بأس به من الرجال والنساء معًا! لم أعلّق على كلامه لأنني شعرت بانتقاده في ذلك الأمر ولم أكن في وضعٍ يسمح لي بالشجار مع شقيقي.

سألني عندما يأس من تعليقي على كلامه:

- كيف حالكِ يا لومينا؟

ترددت قليلًا قبل أن أجيبه:

- بخير. كيف حال والدتي؟ كيف حالك؟

- نحن بخير، ولكننا فقط لا نفهم لماذا اختفيتِ تلك الليلة دون أن تقولين أي شيء، ثم يبعث الملك بنفسه برسالة يخبرنا فيها أنكِ لن تأتي إلى القرية إلا بعد حفل الزفاف!

قررت أن أكذب عليه كعادتي مؤخرًا، ولكنه قال قبل أن أتكلم:

- لن تكذبي هذه المرة! ستخبرينني الآن بكل شيء.

أخبرته بكل شيء ولم أكترث لرأيه كثيرًا. اقترب من حافة البرج ونظر إلى الأسفل، ثم قال:

- الحب شعور خطير يجعل المرء يرتكب الحماقات التي يندم عليها بقية حياته!

قلت بأسى:

- لا تنتقدني يا أنس. ربما تقع في غرام الشخص الخطأ يومًا ما!

سألني:

- وما الذي من المفترض أن يحدث الآن بالضبط؟

- لا أدري. أنا بانتظار عودة الملك من مملكة بيورين لاستكمال حل هذا اللغز المربك. أتمنى أن ينتهي هذا الكابوس المفزع قريبًا كي أرحل عن هذه المملكة بأسرها.
- فقط ما يحيرني هو إصرار والدنا على تحذيركِ من شخص قريب منكِ وأنتِ حتى لا تكترثين!
- لا أظن أن والدي كان يقصد مراد بكلامهِ.

لا بد أنه قصد كنان لأن صداقة طيبة كانت قد بدأت تنشأ بيننا في الأيام الماضية.

ساد الصمت بيننا قليلًا قطعه بسؤالي:

- ماذا تظنين سيحدث لهذه المملكة بعدما يتم العثور على القاتل؟
- لا تقلق يا أنس. مراد ليس كذلك الخادم وليس كالملك السابق أيضًا. سيكون أفضل ملك يحكم مملكة الشمال على الإطلاق.
- أنتِ تفكرين بعقل العاشق يا عزيزتي، ولكنني لا أتفق معكِ في الرأي. أتدرين ماذا سيحدث عندما يخبر مراد حاشيته بفتح أبواب المدينة الملكية؟ هل تعلمين ما الذي سيفعله القرويون عندما يجدون الفرصة سانحة أمامهم كي يقتحموا فردوس النبلاء؟ ستكون تلك هي بداية النهاية. ولكنكِ لن تكونين هنا كي ترين بنفسكِ.
- أنا أثق بمراد. سيفعل ما بوسعه ليحقق العدل بين القرويين وأهل المدينة الملكية!
- هذا إن لم يُقتل أولًا!

أصابتني جملته بالقلق والحنق في الوقت نفسه، لذا قلت:

- لن يُقتل. لقد وعده داني بالاحتفاظِ بسره.
- أنا لا أثق بداني ذلك.

قلت بعصبية:

- حسنًا. ما الذي تريد أن تصل إليه بكلامك هذا الآن يا أنس؟

اقترب مني وقال:

- أريد استعادة شقيقتي!

سكت قليلًا، ثم أردف:

- لم أعد أعرف من أنتِ. هل تتذكرين ما كنتِ تقولينه دائمًا؟ لن أدخل المدينة الملكية أبدًا إلا لكي أعمل وأجني المال لأهرب مع أسرتي إلى مملكة أخرى بها عدل ونظام منصفين للجميع! ولكنكِ الآن أصبحتِ لا تفكرين في أحدٍ سوى نفسكِ فقط. هل نسيتِ تلك الفتاة الصغيرة التي عثرنا عليها ترتعش من البرد بجانب صندوق القمامة؟ أم أنكِ نسيتِ تلك الأم التي مات طفلها الرضيع بعدما رفض حراس المدينة الملكية السماح لها بالعبور لزيارة طبيبًا يحاول معالجة صغيرها؟ والآن، أنا لا أرى سوى فتاة غبية تعشق واحد من أولئك الذين تسببوا في شقائنا وتعاستنا طوال تلك السنوات. وآه، لقد كدت أن أنسى! إنه من سلالة الرجال الذين قتلوا والدها! أنا حقًا أشعر بالشفقة عليكِ!

أنهى كلامه ورحل بهدوء. انفجرت في البكاء وأنا أتذكر كلامه الجارح. ولكن أكثر ما أوجع قلبي هو تذكري لمشهد تلك الأم وهي تلطم على وجهها وتحاول تقبيل أقدام الحراس كي يسمحوا لها بدخول المدينة للعثور على طبيبٍ لطفلها.

كاد قلبي أن ينخلع من صدري حسرةً وألمًا على أحوالنا التي يبدو أنني قد تناسيتها لبعض الوقت بالفعل. إن كان والدي على قيد الحياة لشعر بالاشمئزاز مني.

## ١٩

عاد مراد اليوم ومعه بيري التي كانت ترتدي السواد. كان يحاول التقرب مني والتحدث معي ولكنني كنت أتجاهله عمدًا.

مرت عشرة أيام منذ عودة مراد إلى القصر ولم نتحدث ولو لمرةٍ واحدة، حيث كان مشغولًا بأمور المملكة فلم أعد أراه إلا قليلًا، ولكن بيري لم تفارقه فلم أستطع محادثته أبدًا، حتى ذلك اليوم الذي استيقظت فيه قبل شروق الشمس بساعةٍ تقريبًا على صوت شخص يأن قادمًا من المرحاض المخصص للنساء.

ارتديت الثوب المصنوع من صوف الأغنام لأن الطقس كان سيئًا بحق في تلك الأيام ثم بحذرٍ توجهت إلى المرحاض الذي لم يكن بابه موصدًا.

تفاجأت بنور وهي تتقيأ فوق الحوض ووجهها شاحبًا للغاية وعينيها حمراء كالدم.

اتجهت إليها بسرعة وأمسكت بيدها وسألتها بقلق:

- ماذا بكِ؟ هل أنتِ محمومة؟

أومأت بالنفي وأجهشت بالبكاء بعدما جلست على أرضية المرحاض الباردة وقالت بحسرة:

- ليتني كنت محمومة يا لومينا.

لقد فهمت الآن ما بها، ولم أرغب في إخبارها بمعرفتي بما أصابها فاكتفيت بابتسامةٍ لطمأنتها ثم أمسكت بيدها ووضعتها في فراشها لتنام، سمعت صوت باب المكتبة يُفتح فعزمت على الذهاب كي أتحدث مع مراد، كان الباب مفتوحًا وهو واقفًا أمام النافذة ينظر إلى شيء ما باهتمام عندما تنحنحت، فاستدار بوجه حزين وقال:

- أين أنتِ بحق السماء؟ لماذا تتجاهلينني؟

قلت متجاهلةً سؤاله:

- نور تحمل طفل داني بداخلها!

ساد الصمت بيننا ثقيلًا لم يقطعه سوى خطوات أقدامه وهو يتجه ناحيتي ويقول:

- حسنًا. هذه أخبار سيئة وخصوصًا في هذا الوقت الحرج. سأطلب من طبيب القصر رؤيتها وتحديد موعد الإجهاض!

اتسعت عيناي من الدهشة لأن كلامه أصابني بالفزع والحنق في الوقت نفسه، لذا اقتربت منه وقلت بتجهم:

- هذا حقًا آخر شيء كنت أتوقع أن أسمعه منك!
- وما الذي كنتِ تتوقعين سماعه مني؟
- نحن رعيتك بحق الإله! أنت المسؤول عننا وعن هذه المملكة.
- وهل أنا من أجبرتها بارتكاب خطأً فادحًا كهذا؟

ابتسمت بسماجة وقلت:

- أصبحت تشبه نبلاء مملكتك يا سيدي كلما تقربت من الأميرة بيري وشقيقها الحقير!

لم يعلِّق على كلامي واكتفى بالنظر لي، فسألته بغيظ:

- لماذا تنظر إلي بحق السماء؟

اقترب مني وقال بجدية:

- هل نسيتِ الصفقة التي بيني وبين داني؟ إن لم تجهض نور ذلك الطفل فستكون الحرب بين المملكتين يا آنسة، وهذا بالإضافة إلى أمرًا آخرًا في غاية الأهمية يبدو أنكِ لم تفكري فيه.
- وما هو يا جلالة الملك؟

أجاب قائلًا:

- إن احتفظت نور بذلك الجنين فسيعلم داني بالطبع وسيظن أنه مصدر تهديدًا له، وهذا سيؤدي إلى معرفة زوجته؛ الأمر الذي سينتهي لكلينا نهاية سيئة لأن داني سيشي بأمري مما سيؤدي إلى مقتلكِ!
- أنا لا أخاف الموت!

قال بعصبية:

- ولكنني أخشى فقدانكِ بحق السماء!

حاولت ألا أبدي اهتمامي بما قاله، ثم سألته:

- ما الذي من المفترض أن تفعله تلك البائسة؟

- لا ينبغي لذلك الطفل أن يولد يا لومينا. صدقيني سنخسر جميعًا في هذه الحرب. اتركيها تتصرف كما تفعل دائمًا لأنه لو علمت بيري بأمر ذلك الطفل ستحارب شقيقها على العرش وستكون الصفقة التي بيني وبينه قد انتهت منذ مدة!

قلت بنبرةٍ لم تخل من الاشمئزاز:

- ماذا لو كنت أنا؟ ماذا لو كان هذا هو طفلك؟ هل كنت ستأمرني بقتلهِ أيضًا؟

كان سيقول شيء ما ولكنني استدرت وغادرت المكتبة واتجهت إلى غرفة الخدم وألقيت نظرةً على نور وهي نائمة بوجهها الشاحب الهزيل في فراشها لا حول لها ولا قوة. هذا هو مصير الفتيات في عالمنا البائس الظالم.

يستغلوننا لإشباع رغباتهم ثم يتبرؤون منا ومن أطفالهم! أين العدالة بحق السماء؟ نمت على فراشي تلك الليلة ونيران الغضب بداخلي تثور حتى كادت أن تحرقني! لا يمكنني أن أطلب من نور أن تجهض جنينها بالطبع ولا يمكنني أن أخبرها بمعرفتي بعلاقتها مع داني، ولكن يمكنني أن أظل بجانبها لحمايتها من أي سوء.

كانت الأيام التالية هي الأصعب بالنسبة إلي لأن حالة نور كانت تزداد سوءً بمرور الأيام. لم أرَ في حياتي حملًا مهلكًا كهذا، ما الذي يفعله ذلك الطفل بداخلها؟ إنه يلتهمها ويقتلها ببطء!

سألتها ذات مرة عن مرضها فتهربت واختلقت إجابة كاذبة عن طبيعته.

إلى متى ستحتملين الألم يا نور؟ لاحظت الملكة ذبولها فسألتها ذات يوم عما أصابها ولكن البائسة كذبت معللةً الأعراض المعروفة للجميع بمرضٍ وراثي نادر يصيب عائلتها منذ أجيال! أظن أن الملكة لم تصدقها لأنها استدعت ابنها مراد على الفور، ولكننا تركنا الغرفة ولم نسمع ما دار بينهما.

# ٢٠

ابتسمت لورا لمراد وقالت وهي تحتسي كأس الخمر:

- اشتقت إليك كثيرًا يا جلالة الملك. كيف حالك؟

أجابها وعينيه مثبتة على كأس الخمر بيدها:

- بخير. متى ستنتهين من إدمانكِ لهذا المشروب الكريه؟

- هذا؟ ليس سيئًا كما تظنه. والآن دعك من كل هذا، فهناك أمرًا هامًا أريد التحدث عنه.

- وما هو هذا الأمر المهم؟

تجرعت لورا الكأس مرة واحدة وجلست وقالت:

- هل الطفل بداخل نور لك أم لداني؟

لم يندهش من معرفتها بأمر الفتاة البائسة بقدر ما أدهشه شكها فيه، لذا قال بعبوس:

- إنه يخص داني. لا تقلقي فأنا لا أحب نور، وإن كنت أفعل فلن أسمح بإيذائها أبدًا.

- ولكن داني لا يحبها يا عزيزي. كما كان والدك لا يحب عاهراته اللاتي حملن منه طوال حياته كملك.

لم يحتمل مراد أكثر من ذلك فانفجر فيها قائلًا:

- عن أي والدٍ تتحدثين بالضبط؟ ذلك الذي جعلكِ تحملين بي أم الذي أرغمتيه على تصديق خداعكِ وكذبكِ طوال حياته؟

تلاشت الابتسامة من على وجهها وهي تنهض لتسأله بحدة ووجه متجهم:

- ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟

اقترب منها وقال والدموع محتشدة في مقلتيه:

- ستنكرين بالطبع كعادتكِ. أشعر بالشفقة عليكِ حقًا.

أغاظها كلامه فانفجرت فيه بعصبية:

- أخبرني ما الذي قصدته منذ قليل.
- ألا تتذكرين تولين؟ ذلك الخادم الذي تزوج من الأميرة بروفان واتضح أنه من سحرة النور؟

ارتبكت فور سماعها لاسميها، ولكنها سألت بتوتر:

- وماذا عنه؟ نعم أتذكره، لقد تزوجها ثم أنجبت منه طفلة مشوهة ميتة ثم لم نسمع عنه بعدها.
- هذا فقط ما تتذكرينه عنه؟

انفجرت فيه ثانيةً وهي تقول:

- فقط أفصح عما بداخلك بحق الإله.

قال والدموع على وجنتيه تسيل:

- ألا تتذكرين تولين الذي خدع بروفان كي يقترب منكِ؟ ذلك الذي تسبب في حملكِ لي، ألا يذكركِ هذا بشيء يا والدتي؟

تسارعت نبضات قلبها واحتشدت قطرات العرق فوق جبينها وازدادت سرعة نبضات قلبها.

سألت:

- ما الذي تتحدث عنه؟ أنت من عائلة أركان وستظل هكذا دائمًا.
- في الواقع، هذا ليس صحيحًا أبدًا.

ساد الصمت بينهما لوهلة. أردف مراد:

- كفاكِ عبثًا معي فأنا أعلم كل شيء. هل ظننتي حقًا أنني لن أتسائل عن مصدر قوايا؟

انفجرت لورا مرة أخرى وقالت وهي تبكي:

- حسنًا يا مراد، أنا خائنة. هل أنت سعيد الآن بهذا الاعتراف؟
- فقط... ما الذي كنتِ تفكرين فيه بحق السماء؟ لقد كان لديكِ كل شيء.
- إلا الأمان والحب، لم أشعر بهما قط. هل تعرف ماذا كان إيمار يفعله في كل ليلة؟ لقد تركني وحدي في الفراش أبكي ليالٍ طويلة ولم أجده بجانبي ولا مرة.

لم يحببني قط، كنت أنا الورقة الرابحة التي خرج بها من مملكة بيورين ليس إلا.

- هذا لا يبرر أبدًا خيانتكِ له.

اندهشت لورا من كلام ابنها فقالت والدموع تسيل على وجنتيها:

- وخيانته لي طوال تلك الأعوام؟ على الأقل ختته مع رجل واحد فقط بينما هو خانني ألف مرة مع عدة فتيات. لم أكن أعلم أنك مثل باقي ذكور مجتمعنا يا عزيزي. أنتم لا تبالون بخيانة الرجل لامرأته بينما تستشيطون غضبًا لخيانة المرأة لرجلها.
- الخيانة أمر مكروه يا أمي ولا أحد يستحق أن يخونه شريك حياته، ولكنني فقط مستاء لأنني دائمًا ما اتخذتكِ مثلًا أعلى أقتدي به، ولكن هذا بات من الماضي الآن.

كان كلامه كالخناجر في صدرها فلم تعد تحتمله، قالت وهي تبكي بحسرةٍ وندم:

- هل تظن أنني لم أندم أبدًا على ما فعلته؟ لقد كنت أبغض نفسي كل يوم وأنا أنظر في المرآة وأرى المرأة التي تنظر لي، ولكن النظر إليك كان يجعلني أهدأ قليلًا.

ساد الصمت للمرة الثانية قطعه مراد بسؤاله:

- ما الذي من المفترض أن نفعله الآن؟ هل نخبر داني سرًا بأمر طفله؟
- ما الذي تتحدث عنه؟ لن نفعل هذا بالطبع بل سنأمر تلك العاهرة بإجهاض جنينها!

استغرب مراد وصف والدته لنور بالعاهرة مع أنها فعلت بالضبط ما فعلته هي في الماضي وبالرغم من هذا هي تبرر أفعالها! لم يرغب مراد في الجدالِ معها أكثر من ذلك، فقال:

- إنه يعلم أنني من سحرة النور.

نزل كلامه عليها كالصاعقة فبدأت ضربات قلبها تزداد أكثر ولم تعد تشعر الآن برجليها فجلست على المقعد وهي تحاول التقاط أكبر قدرٍ من الهواء ثم قالت:

- رُحماك يا ربي! هذا ما كان ينقصني الآن. وما الذي هددته به ليبقى صامتًا حتى الآن؟ لا أظن أن لعلاقته بنور دخل في هذا الأمر، أليس كذلك؟
- لم أهدده ولكنني وعدته بإبعادِ بيري عن العرش بزواجي منها.
- هكذا إذن! إنه يخشى أن تقلب الجميع ضده وتستولي على العرش! لقد تحدثت معي والدتي في هذا الأمر ولكنني لم أهتم وقتها!

سكتت قليلًا ثم أضافت:

- اسمعني جيدًا يا مراد. ستأمر تلك الفتاة بإجهاض جنينها والتكتم على هذا الأمر وإلا قتلناها! نحن لا نريد لأحدٍ من المملكة اكتشاف أمرك.
- ما الذي يجعلكِ واثقة من أن داني لن يشي بي وينقض عهده؟
- لأنني أعلم أن أكثر ما يبغيه هو العرش بلا منافس له، ولكن شيرين أخبرتني ذات مرة أنها تستشعر الغيرة بين بيري وبينه وأنه من المحتمل أنها ستتصارع معه على العرش يومًا ما. على الأقل سنبقي الأمر هكذا حتى نتولى أمره ونخرسه إلى الأبد!

قال مراد وهو يبتسم بسخرية:

- هكذا إذن! أصبحنا قتلة الآن. اسمعيني جيدًا، أنا لن أجبر تلك البائسة على إجهاض جنينها ولن أقتل أحدًا.
- ما الذي يفترض أن يعنيه كلامك؟
- كلامي واضح للغاية يا أمي فقط أنتِ من لا ترغب في فهمه.
- لا تعلن الحرب الآن رجاءً. انتظر قليلًا حتى تُنشأ علاقات قوية مع بقية الممالك، فنحن المملكة الوحيدة التي ليس لها حلفاء سوى مملكة بيورين، ويعود الفضل في هذا إلى إيمار ونائبه الغبي!

- ربما لم يكن نائب الملك غبيًا كما تزعمين بل شخصًا حذر لا يحب العلاقات التي ينتج عنها قلق وشغب وتنتهي بحروب.

لم تعد لورا تحتمل ما يقوله ابنها أكثر من ذلك لذا قالت بعصبية وبنبرةٍ لم تخل من التهديد:

- اسمعني جيدًا. ستجهض تلك الحقيرة ذلك الطفل ولن تخبر أحدًا أبدًا عن هذا الأمر.

سألها مراد بحزم:

- وإلا ماذا؟

- وإلا قتلت عزيزتك لومينا!

ابتسم بسخرية وقال:

- لماذا إذن سألتي إن كان الطفل لي؟ من الواضح أنكِ تعلمين كل ما يدور بالقصر.

- أعلم حتى ما يدور خارج القصر يا عزيزي! أنتم تستخفون بالمرأة وبما يمكنها فعله ولكنكم مساكين!

- لقد أصبح الكل يستخدمها لتهديدي الآن. هذا شيء عظيم.

سكت قليلًا ثم أضاف:

- وماذا إن تنازلت عن العرش لشيرين وهربت من هذه المملكة مع عزيزتي لومينا؟

- هل تمزح معي؟ سيقبضون عليك بالطبع بتهمة التهرب من تأدية الواجب. هل نسيت؟

- ولكنهم سيعيدون النظر عندما أخبرهم أنني من سحرة النور لأنهم لن يسمحوا لساحر بتولي السلطة، أليس كذلك؟

لم تعد تحتمل ابنها أكثر من هذا لذا قالت بحنق وهي تنهض من مقعدها للمرة الثانية:

- أنت أغبى مما توقعت! هل تعلم ماذا سيحدث إن علموا بأمرك؟ إن كنت لا تعلم فأنصحك بالذهاب إلى مكتبتك الجميلة للبحث عن كتاب يتحدث عن سحرة النور وما حدث لهم في المئتي عام المنصرمين.

ربما يصدمك ما ستقرأه فيثنيك عما تفكر فيه.

إنه يعلم أنها على حق حتى لو لم يعجبه كلامها. إنه حائر لا يعرف كيف يتصرف.

اكتفى مراد بابتسامةٍ سمجةٍ أخرى وقال وهو يهم بالرحيل:

- لقد اكتفيت من هذه المحادثة. يجب أن أغادر الآن.

غادر الغرفة بسرعة تاركًا إياها في ثورةٍ من الغضب العارم.

لم تعرف لورا أن تولين كان من سحرة النور إلا بعدما وقعت في حبه.

لقد خافت منه في البداية ولكنها سريعًا ما اعتادت الأمر ولم تعره انتباهها.

حكى لها تولين كثيرًا عن سوء معاملة الناس إلى سحرة النور وإلى عائلته قديمًا فكانت تشفق عليه مما أدى إلى تلاشي خوفها منه تمامًا.

وها هي الآن أم لواحدٍ منهم، ولكنها فقط تراه ضعيفًا ولا تثق بقدراته خصوصًا وتلك الخادمة موجودة.

إنها تعلم أن الحب يُضعف المرء كما فعل معها في الماضي، لذا عليها اتخاذ قرارها بسرعة بشأن لومينا.

لا بد من قتلها في أقرب فرصة.

ستتحدث غدًا مع قاتلها المأجور كي يحل هذه المسألة دون أن يدري أحد.

لقد كان هو الجلاد الخاص بها الذي لطالما وضع حدًا للمشاكل التي تتبع أخطاء زوجها كل ليلة في منزل نائبه.

ابتسمت براحةٍ وخرجت تستنشق الهواء في شرفتها. نظرت إلى المقابر باشمئزاز وهي تفكر أنها لا بد وسترحل إليها يومًا ما.

لطالما استغربت لورا من وجود مقابر للعائلة أمام القصر.

من ذلك السمج الذي فكر في دفن عائلته أمام قصر ملكي يدير المملكة؟ مقابر عائلتها موجودة في مكانٍ بعيدٍ تمامًا عن القصر الملكي في مملكة بيورين.

كأن من قرر دفن جثث عائلته أمام القصر قد قصد هذا ليبث الرعب والكآبة في نفوس من يعيشون فيه.

لم تحتمل لورا ذلك المشهد أكثر من ذلك فأغلقت نافذتها وبينما تتجه إلى فراشها سمعت طرقات على الباب.

اتجهت إليه وفتحته فلم تجد أحدًا حتى ذلك الحارس الذي يقف طيلة اليوم لحراستها قد اختفى! "هل هذه مزحة ما؟" تسائلت بداخلها.

أغلقت الباب واتجهت إلى فراشها فسمعت الطرقات للمرة الثانية.

اتجهت إلى الباب ثانيةً وفتحته فلم تجد أحدًا للمرة الثانية، ولكنها انتفضت عندما سمعت الطرقات للمرة الثالثة.

"من أين تأتي تلك الطرقات بحق الجحيم؟"

كانت الطرقات تأتي من الخزانة فاتجهت بحذر إليها وببطء شديد فتحتها.

كان الهواء يداعب شعرها المنسدل على كتفيها وهي تنظر للغرفة التي رأتها من قبل.

مشت بحذرٍ وهي تنظر حولها تبحث عن ذلك الرجل الذي رأته في المرةِ السابقة.

كان ينتظرها بجانبِ المدفأة الكبيرة وهو يبتسم إليها ويقول:

- اشتقت إليكِ كثيرًا. هل تتذكرينني الآن؟

استغربت سؤاله، فأجابته بسؤالٍ آخرٍ:

- وهل من المفترض أن أتذكرك؟

ابتسم ثانيةً وقال وهو يتجه ناحيتها:

- وهل من المفترض أن تنسيني؟

- من أنت؟

اقترب منها أكثر وهمس في أذنها:

- لقد تحدثتِ عني كثيرًا مع مراد منذ قليل ومع ذلك لا يبدو أنكِ تتذكرينني من الأساس!

تراجعت بضعة خطواتٍ إلى الوراء وهي تتنفس بسرعة من الصدمة، ثم اغتصبت ابتسامة وقالت:

- تولين؟ هل هذا أنت حقًا؟

- ولمَ لا؟ باستطاعتي أن أكون أي شخص ترغبين فيه. ما رأيكِ أن أصبح إيمار؟

تبدلت ملامح وجهه وجسده فتحول إلى زوجها الراحل فشهقت من الصدمة والرعب وتراجعت بضعة خطوات إلى الوراء وجسدها يرتعش من البرد والخوف معًا.

قال الرجل الذي تحول إلى زوجها:

- ماذا بكِ يا لورا؟ ألم تشتاقي إلي؟

بدأت دموع الخوف والفزع تسيل على وجنتيها وهي تتراجع إلى الخلف. تغيرت ملامح وهيئة الرجل الذي كان يشبه زوجها ليتحول إلى السيدة ليلى والدتها. قالت السيدة ليلى:

- عزيزتي لورا! اشتقت إليكِ كثيرًا. ألن تأتي معي؟

مدت السيدة ليلى يدها بانتظار لورا التي كانت تهز رأسها نفيًا وهي لا تزال تتراجع إلى الخلف.

قالت لورا بصوتٍ مرتجف:

- ابتعدي عني، ابتعدي عني.

تقدمت منها السيدة ليلى أكثر وهي تقول بابتسامةٍ مرعبة:

- ألم تشتاقي إلى والدتكِ؟

تحولت السيدة ليلى إلى نائب الملك الذي كان يقول وجلده يقع أثناء تقدمه منها:

- جلالة الملكة! ألا يزال قلبكِ الحقود يكرهني؟

قالت لورا وهي لا زالت تتراجع إلى الخلف:

- لا، لم أعد أكرهك. أنا شخص بائس. رُحماك يا إلهي!

تغيرت ملامح نائب الملك وأصبح كائن مخيف له قرنان وعينان شديدتان السواد تنبعث منه رائحة كريهة نتنة كرائحة الموتى! قال الكائن المخيف بصوتٍ متحشرج أفزعها أكثر من ذي قبل:

- إلهكِ؟ هل تتذكرينه الآن؟ وأين كان إلهكِ عندما ختني زوجكِ وأنجبتِ طفلًا من رجل غيره؟ بل وأين هو إلهكِ عندما كره قلبكِ الحقود معظم من حوله؟

كان كلام الكائن المخيف يؤلمها كثيرًا.

قالت تترجى الكائن:

- أتوسل إليك. سأتوب عن كل أخطائي. سيغفر الرب لي.

تعالت ضحكات الكائن المخيف ولورا تحاول الابتعاد عنه بقدر ما استطاعت. قال الكائن بصوته المخيف:

- سيغفر لكِ الرب الآن؟ آه يا مسكينة! ألا تعرفين؟ لقد انتهت جميع فرصكِ في التوبة والغفران!

استدارت لورا وتركت الكائن المخيف خلفها لتصطدم بالرجل الذي قابلته في البداية والذي كان يشبه تولين كثيرًا.

قال الرجل:

- ألا يبدو القمر الأحمر جميلًا في السماء؟

اتسعت عيناها رعبًا عندما نظرت إلى السماء ورأت القمر الدموي كالوحش ينتظر الانقضاض عليها في اللحظة المناسبة. أبعدت لورا الرجل الذي يشبه تولين عن طريقها وجرت بكل ما أوتيت من قوة فتغير كل شيء حولها. كانت الثلوج تحيط بها من كل حدب وصوب! كانت قدميها تنغرس في الثلج الأحمر بينما الأيادي السوداء من أسفلها تحاول إمساكها والظفر بها. كانت تصرخ صرخات تصم الآذان، ولكن لم يكن هناك من بإمكانه مساعدتها أو سماع صرخاتها. استطاعت إحدى الأيادي القادمة من الجحيم

إمساكها فتسببت في وقوعها على الأرض وهي تصرخ وتضرب برجليها الأيادي التي أحاطتها من جميع الجهات وأمسكت بها وهي تقطع في لحمها مما جعلها تصرخ وتنادي على ابنها الذي لم يستمع إلى صرخاتها. ولكن ما زاد الأمر سوءً هو خروج أفعى سوداء ضخمة من أسفل الثلج أحاطت بجسدها وظلت تعتصره حتى فارقت الحياة.

# ٢١

نظرت لومينا إلى السقف وهي مستلقية فوق فراشها تفكر في نور التي كانت حالتها الصحية تسوء يومًا بعد يوم.

"كيف تغير وأصبح حقيرًا هكذا؟"

تسائلت في نفسها.

إنها غاضبة من مراد أكثر من ذي قبل.

هي لم تعد تبالِ بزواجه من بيري، ولكنها كانت تريد أن تكوِّن ذاكرة طيبة عنه في عقلها تصحبها معها إلى مملكة الجنوب يوم مغادرتها، ولكنه لم يسمح لها بفعل هذا الآن.

نظرت إلى النافذة فاتسعت عيناها فزعًا عندما رأت القمر الدموي في السماء.

لقد كان أكثر دموية من أي مرة رأته فيها سابقًا. نهضت من فراشها ثم نظرت حولها. جميعهم نائمون ولكن كنان ليس في فراشه! أثار انتباهها خيوطًا سوداء تشبه الأحبال كانت تزحف على الحائط إلى الخلف متجهة إلى خارج الغرفة.

ارتدت لومينا ثوبها المصنوع من الصوف على عجل وأمسكت بالشمعة التي بجانب فراشها وبخطواتٍ هادئةٍ مشت باتجاه الدرج كي تصل إلى المكتبة.

كان باب المكتبة مغلقًا ولكن أصواتًا مكتومة كانت تصدر من خلفه، لذا اقتربت منه واسترقت السمع.

كان صوت كنان واضحًا ولكن يبدو أن هناك رجلًا غيره في المكتبة يتحدث ولكن صوته منخفض وبعيد وكأنه يتحدث من مكانٍ آخر.

كان كنان يقول:

- لهذا السبب سألتها عن الفتاة ذات الشعر الأسود! إنهما يتحدثان عنها بلا شك.

لم تندهش لومينا واقتربت أكثر من الباب كي تسمع بوضوح.

يبدو أن الرجل الغامض قد قال شيئًا ما ولكنها لم تستطع فهم ما قاله لأن صوته كان بعيدًا جدًا.

عاد كنان يقول:

- أعلم. أعلم. أنا آسف حقًا لكننا عاجزين عن فعل أي شيء لتلك الكائنات. إنها تلهو وتعبث معنا جميعًا، وليس مع تلك الفتاة الفضولية فقط! يجب أن نفكر الآن في الخطوة القادمة.

قال الرجل شيئًا ما فعلَّق كنان قائلًا:

- لطالما رغبت في مشاهدة موتها ولكنك لم تكن لتسمح لي بذلك! إنهما يتحدثان عن موت شخص. هل لهذا علاقة بالقمر الدموي الذي رأته لومينا منذ قليل؟

عاد كنان يقول:

- لقد اقتربنا كثيرًا من فتح البوابة يا سيدي!

هل يتحدثون عن البوابة التي قرأت عنها في الكتاب الأسود الذي أعطاها مراد إياه لكي تحل لغزه؟ إنها خائفة الآن أكثر من أي وقت مضى. شعرت لومينا بالدوار فجأة، ولكن كلام كنان أعادها إلى تركيزها ثانيةً عندما قال:

- وماذا عن الفتاة الفضولية؟ إنها تعلم كل شيء.

سكت قليلًا ثم أردف:

- نعم يا سيدي. لقد عثرنا على المكتبة الضائعة بالفعل، ولكننا لم نعثر على كتاب السحر الأبيض بعد.

قال الرجل الغامض شيئًا ما فعلَّق كنان على كلامه قائلًا:

- حسنًا. سأخبره على الفور.

نظرت من ثقب الباب فلم تجد أحدًا بالداخل! كانت الغرفة مضاءة بنور الشموع ولكنها كانت فارغة إلا من الكتب والأثاث! من خلفها قال كنان بصوتٍ أجش جعلها تنتفض في مكانها:

- ماذا لو رآكِ أحد من أفراد الأسرة الحاكمة؟

كيف يقف أمامها وهي لم تَره يخرج من الغرفة؟ هل استخدم ثقبًا أسودًا في فعل هذا؟ زادت ضربات قلبها ولم تستطع التنفس ولا التحدث وشعرت أنها ستفقد الوعي من الرعب، ولكن قدوم مراد هو من أنقذها.

سأل مراد بتجهم:

- ما الذي يحدث الآن بالضبط؟ نظرت إليهما برعب ثم قالت وهي تنحني بتوتر وخوف لمراد:

- سيدي. فقط كنت أسير وأنا نائمة! سأرحل الآن.

وقبل أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام قال مراد بحدة:

- انتظري من فضلك!

تسمرت لومينا في مكانها وهي تدعو الإله بداخلها أن ينجدها من هذه المعضلة. قال مراد لكنان:

- سيد كنان. أنا لا أحب تجولك في القصر ليلًا، لذا أرجو أن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي أراك فيها أمام المكتبة بعد منتصف الليل. بإمكانك المغادرة الآن!

انحنى كنان وهو يبتسم ثم اتجه إلى أسفل الدرج حيث غرفة الخدم. تقدم مراد من لومينا وقال:

- لنتحدث في المكتبة يا آنسة.

دخلت لومينا رُغمًا عنها إلى المكتبة وكانت تنظر إلى القمر من النافذة.

لقد عاد إلى هيئته الطبيعية. هذا منطقي الآن بعد ما سمعته لومينا من كنان عن تمنيه لرؤية مشهد موت الضحية الأخيرة.

سألها مراد بحدة:

- هل هناك توضيح لما حدث منذ قليل؟
- ما الذي حدث منذ قليل؟
- ألم آمركِ بالابتعاد عن المشاكل؟ لماذا لا تشفقين على قلبي هذا؟

قالها وهو يضع يده على صدره حيث قلبه النابض ونظر إليها يترجى منها إجابة.

كانت لومينا صامتة كالتماثيل.

عاد يسألها بنبرةٍ حزينة:

- ألن تريحيني من هذا العذاب أيتها الفتاة السمجة؟ يا ليتني لم أقابلكِ! إن كنت أعلم أنني سأقع في غرامكِ في تلك المرة التي رأيتكِ فيها لأول مرة لكنت اقتلعت عيناي!

لا زالت لومينا تلتزم الصمت، مما أثار غيظه. قال وهو يقترب منها:

- هل تسمعين دقات قلبي؟ أنتِ تعذبينني. كيف تحتملين نفسكِ الآن؟

سألت لومينا فجأة:

- هل رأيت القمر الدموي منذ قليل؟

تفاجأ مراد بسؤالها وتبدلت ملامحه ثم تركها مسرعًا وهو يجري إلى غرفة والدته. طرق عدة مرات على الباب ولكنها لم تستجب إليه.

سأل الحارس الذي كان نصف نائمًا على الأرض:

- هل خرجت جلالة الملكة؟

في الواقع، هو لا يعلم إن كانت خرجت أم لا لأنه كان نائمًا طوال الوقت وهذا إلى جانب أنه ذهب لكي يحضر وجبة خفيفة من المطبخ العام استغرقته نحو النصف ساعة بعد منتصف الليل بقليل. انحنى له الحارس وهو يقول:

- لم تخرج جلالة الملكة من غرفتها بعدما تركتها جلالتك!

شعر مراد أن الحارس يكذب، فتركه وذهب إلى مكان لا يوجد فيه أحد وفتح ثقبًا أسودًا نقله إلى غرفة والدته على الفور. ظل يبحث عنها بعينيه في الغرفة ولكنها لم تكن موجودة. اتجه إلى الشرفة وفتحها فلم يجدها فيها، لذا فتح ثقبًا أسودًا نقله إلى المقابر. ظل مراد يبحث عن والدته وينادي عليها ولكنه لم يعثر عليها أبدًا.

عاد مراد إلى القصر وطلب من الحراس البحث عنها في كل مكان.

كانت شيرين قد استيقظت من نومها والتحقت بمراد ثم تبعتها بيري. وبينما الثلاثة يتحدثون أتى أحد الحراس وقال:

- لم نعثر على جلالة الملكة في أي مكان يا سيدي.

ظهر القلق على وجه شيرين وبدأ لون وجهها يشحب قليلًا.

قالت وهي تحاول التنفس بصعوبة:

- ما الذي يعنيه هذا الآن؟ هل ماتت هي الأخرى؟

ربتت بيري على كتفيها ولكن مراد لم ينتظر وذهب إلى غرفة الملكة وكسر باب غرفتها. دخل الغرفة وهو لديه حدس عن مكانها.

لقد تذكر تلك المرة التي أتى فيها الملك يخبره فيها عن تصرفات والدته الغريبة وكيف أنها كانت تتحدث مع ملابسها في الخزانة! "لا بد أنكِ هنا." قال لنفسه.

فتح الخزانة بعنفٍ وتراجع إلى الخلف من هول المشهد المقزز والمفزع في الوقت نفسه. تعثَّر مراد أثناء رجوعه إلى الخلف ووقع على الأرض وهو يحاول كتم صرخة كادت أن تفلت منه. أسرع الجميع إلى الداخل فصرخت شيرين ولم تتوقف عن الصراخ!

نظر مراد إلى جثتها التي كانت ممزقة ومتآكلة وكأن حيوان قد نهشها بأنيابه! هناك فتحة كبيرة في جسدها توحي بأن شيئًا ما قد اخترقها وعبر من خلالها! يبدو أنها تألمت. لقد كانت نظرة الذعر على وجهها توحي بالكثير.

شعر مراد بالحنق عندما تذكر كنان وما فعله مع عمته في الماضي.

نهض من على الأرض وتوجه إلى غرفة الخدم غير مبالٍ لصريخ شيرين. وقف بجانب فراش كنان الذي كان يستمتع بنومٍ هادئٍ وقال له بصوتٍ غاضبٍ جعل جميع من بالغرفة يستيقظوا مفزوعين من نومهم:

أيها القاتل الحقير! أقسم لك أنني سأعذبك كما عذبتها.

أمسكه مراد بقوة وجره على الأرض وكنان يقول بخوف:

- ما الذي فعلته؟ من فضلك يا سيدي. فقط استمع إليَّ.

لم يعره مراد انتباهه وظل يجر في جسده الضئيل حتى خرج من الغرفة وأمر الحراس بتكبيل يديه ورجليه ورميه في السجن بينما لومينا تشاهد باستغرابٍ وخوف.

انتشر خبر وفاة الملكة في جميع الممالك الأخرى والغريب في الأمر أن داني ترك مملكة بيورين كي يحضر جنازة عمته. مر أسبوع على تلك الحادثة ومراد متقوقعًا في غرفته رافضًا التحدث مع أحد.

## ٢٢

كانت نور جالسة أعلى البرج تتحدث مع لومينا عندما نهضت نور فجأة لتتقيأ ما بداخلها فوقفت لومينا بدورها لتساعدها على الوقوف.

في تلك اللحظة صعد مراد إليهما ورأى هذا المشهد، فتنحنح وقال:

- أود أن أتحدث معكما.

حاولت نور الانحناء وهي في هذه الحالة التي يرثى لها ولكن مراد لم يسمح لها بالانحناء عندما قال:

- هذا ليس مهمًا الآن يا نور. لتتحدث في المكتبة رجاءً.

هبط الثلاثة الدرج ودخلوا المكتبة فأمرهما مراد بالجلوس.

قال:

- أعلم أنكِ تتألمين يانور.

نظرت نور إلى لومينا باستغراب.

استطرد مراد:

- أعلم بأمر طفلكِ، لا تخافي من فضلك. أنا لست مثل داني. أريد فقط أن أساعدكِ.

نزلت نور على الأرض أسفل قدميه وقالت وهي تبكي محاولةً تقبيلهما:

- سامحني يا جلالة الملك. لقد أخطأت. المغفرة يا سيدي!

تفاجأ مراد بما فعلته فانحنى ومد يده إليها وساعدها على الوقوف ثم قال لها:

- لا أستطيع أن أغفر لكِ يا نور لأنني لست من أحاسب المرء على أفعاله. فلتطلبي المغفرة من الإله. أنا متأكد من أنه سيخلصكِ من هذا المأزق.

ابتسم لها مما زاد من بكائها فأضاف مراد:

- فقط أخبريني كيف أساعدكِ.

ابتسمت نور والدموع تسيل على وجنتيها وهي تقول:

- لقد ساعدتني أكثر مما تتخيل يا سيدي.

تنهد مراد بارتياح وابتسم لها ثم سألها:

- هل ترغبين في الاحتفاظ به؟

تفاجأت لومينا بسؤاله أكثر من نور التي سألته غير مصدقةً:

- وهل يحق لي الاختيار يا سيدي؟

- بالطبع. هذا طفلكِ وأنتِ من ستقررين ما ستفعلينه معه.

فكرت نور قليلًا قبل أن تقول:

- أنا لست على استعداد لخسارة طفل آخر يا سيدي. ولكنني فقط لا أعرف كيف سأحتفظ به. إن علمت عائلتي بهذا الأمر فسيقتلونني دون تفكير، بالإضافة إلى

أنني لا يمكنني المكوث هنا طوال فترة الحمل؛ فأنا أخشى أن تفضحني بطني الكبيرة وقتها.

شعر مراد أن الغرفة تدور به. إنها معضلة حقًا. قال وهو يغتصب ابتسامة موجهًا كلامه إلى لومينا:

- حسنًا. ما الذي تقترحينه يا آنسة لومينا؟

لم يكن عندها إجابة لسؤاله، لذا قالت:

- ليس عندي فكرة يا سيدي.

قال:

- إذن. سأقترح الآن عليكِ يا نور حلًا لهذه المشكلة قد أراه مناسبًا ولكنني يجب أن أطمأن بنفسي أنكِ توافقينني عليه.

قالت نور باستسلام:

- سأوافق على أي شيء تراه مناسبًا لي يا سيدي.

- حسنًا. أفضل شيء يمكنني التفكير فيه الآن هو ذهابكِ إلى مملكة الجنوب والعيش فيها هناك مع طفلكِ.

اندهشت نور من اقتراحه فقالت بخوف:

- ولكن يا سيدي، هل سأترك عائلتي هنا وسأهرب ببساطةٍ هكذا؟

- أعلم أنه أمر صعب، ولكنني لا أستطيع التفكير في حلٍ مناسبٍ أكثر من هذا. ألا تتفقين معي يا آنسة لومينا؟

قالت لومينا لنور وشبح ابتسامة حزينة قد ارتسم على ثغرها:

- عزيزتي. أظن أن هذا هو الحل الأمثل. أعلم أنه سيكون صعبًا، ولكنكِ ستتخطيه. كما أنني سألتحق بكِ قريبًا. سأذهب إلى مملكة الجنوب وسأعيش هناك دائمًا.

نظر مراد للومينا نظرة ذات معنى ولكنها تجاهلته.

قال مراد لنور:

- ما قولكِ يا آنسة؟

هزت رأسها بيأس وقالت:

- يبدو أنه لا يوجد حل سوى هذا. حسنًا. سأفعل يا سيدي وسأسافر إلى مملكة الجنوب.
- سأرسل معكِ حارسًا أثق فيه وسآمره بشراء كوخ لكِ في القرية تعيشين فيه مع طفلكِ لتبدآ حياة جديدة بعيدة عن كل هذا. ولا تقلقي من ناحية المال، فسيكون معكِ ما يكفيكي حتى تستعيدي صحتكِ للعمل بعد الولادة.

لم تصدق لومينا أو نور ما يقوله مراد.

بدا لهما أنه ملاك هبط من السماء ليحل مشاكل القرويين البائسين. خرجت نور من المكتبة وهي تشعر بالسعادة والحزن في الوقت ذاته، بينما وقفت لومينا تنظر إلى مراد وهي ترغب في الاعتذار عن كل ما بدر منها، ولكنها فقط لم تعرف من أين تبدأ.

قال مراد بوجهٍ متجهم:

- ما الذي كنتِ تفعلينه مع كنان في المكتبة في تلك الليلة؟

استسلمت لومينا لرغبته في معرفة ما حدث وقتها وبدأت في سرد الأحداث وهو ينصت إليها بتركيز.

عندما انتهت قال لها:

- إذن، هناك رجلًا آخرًا يساعد كنان!
- أظن هذا.

ساد الصمت بينهما قطعته لومينا بسؤالها:

- هل أنت بخير؟

نظر إليها بعينين حزينتين وقال:

- لا يهم إن كنت بخير أم لا، فما حدث قد حدث وانتهى كل شيء.
- لا أظن أن الأمر انتهى يا سيدي بل بدأ لتوه.

- ستكون الأيام القادمة مظلمة للغاية يا آنسة. أريدكِ أن تتوخي الحذر بكل ما أوتيتي من قوة.

أرادت لومينا الرحيل فقالت وهي تنحني:

- ليلة طيبة يا سيدي.

لم يعلق على انحناءها فهو سئم مما تفعله معه، فابتسم لها بوهن وقال:

- ولكِ أيضًا.

قبل أن تخرج من الغرفة استدارت وسألته فجأة:

- جلالة الملك.

هناك أمرًا محيرًا أود التحدث معك بشأنه.

- وما هو؟

لم ترد لومينا على الفور.

قالت بعد وهلة:

- إن كان كنان من سحرة النور حقًا فلماذا لم يستخدم قواه لفتح ثقبًا يخرجه من السجن؟ ألا تجد ذلك غريبًا بعض الشيء؟

فكر مراد في كلامها ثم قال:

- هذا لأنه ليس من سحرة النور! ولكنكِ سمعتي بروفان وهي تتهمه بأنه واحدًا منهم، أليس كذلك؟

- ماذا لو كانت بروفان مخطئة؟ ماذا لو أنها استنتجت أنه من سحرة النور بسبب عصا الظلام؟ ماذا لو كانت عصا الظلام تخص تولين ولكنه سرقها منه بعدما وشى به؟

ساد الصمت قليلًا قطعه مراد:

- وهذا يعني أن من يساعد كنان هو ساحر النور.

كانت أفكار كثيرة تدور في رأسه الآن ولا تعرف لومينا عنها شيئًا واحدًا. قال لها:

- ليلة هنيئة يا آنسة.

غادر الغرفة بسرعة واختفى في الممر المظلم فغادرت لومينا المكتبة وهبطت الدرج وهي تفكر في هوية القاتل.

* * * *

في اليوم التالي توجه مراد إلى السجون التي أسفل القصر كي يقابل كنان. قال للسجان:

- كيف حال السجين؟

انحنى السجان إلى مراد وقال:

- لا يكف عن الصراخ يا سيدي، وعندما نسأله إن كان مريضًا أو يتألم يظل يبتسم دون أن يجيب، لذا لم نعد نكترث له ولا لصراخه.

نظر مراد إلى كنان المتكوم في ركنٍ بعيدٍ من الزنزانة، ثم اقترب من قضبانها وقال:

- أعلم أنك لست من سحرة النور.

اتسعت ابتسامة كنان وهو يقول:

- لقد أخبرته أنك أذكى مما يتصور، ولكنه لم يصدقني.

- من؟ الرجل ذو العباءة السوداء؟

- هل هكذا تدعونه الآن؟

- فقط أجب عن سؤالي ولا تتحاذق الآن.

اقترب من القضبان وارتسمت على وجهه ملامح مخيفة وهو يقول:

- أنا أحبذ أن أدعوه بالساحر الواعد. كما ترى يا سيدي، هذه المملكة البائسة تريد تطهيرًا. هذا ما سيحدث في الأيام القادمة. ولكنني أشعر بالأسف لأجلك لأنك لن تكون حيًا لترى بنفسك!

- هذا ما ستفعلونه إذن! ستطهرون المملكة البائسة من نجاستها، أليس كذلك؟

ابتسم كنان ولم يعلّق، فأضاف مراد:

- وهل تستطيع أن تخبرني كيف ستفعلان هذا بالضبط يا سيد كنان؟

أصابت كنان نوبة من الضحك الهستيري وهو يقول:

- احترس من مخاوفك يا سيدي، فهي قادمة إليك وحدك.

سأله مراد بحنق:

- ما الذي ستفعلانه يا كنان؟ أخبرني وسأخفف الحكم عنك. أعدك بهذا.

تعالت ضحكات كنان أكثر من ذي قبل وهو يقول:

- إنهم قادمون. إنهم قادمون.

أمر مراد السجان بفتح الزنزانة ففعل ما أُمر به فدخل مراد يمشي بين الجدران المتسخة والمتآكلة وهو ينظر إليها باشمئزاز، مما أثار غيظ كنان فقال:

- هل تُشعرك الزنزانة التي بناها أفراد عائلتك بالاشمئزاز يا جلالة الملك؟ هذا عجيب.
- وما هو العجيب يا سيد كنان؟
- العجيب هو أنك تشعر بالاشمئزاز من المكان الذي عذّب فيه نائب الملك السابق أسلافك السحرة! إن كنت مكانك لشعرت بالحنق وليس الاشمئزاز.

انزعج مراد من كلامه فقال وهو يمسك بذراع كنان بقوة ضاغطًا عليه:

- لقد سئمت هرائك يا كنان. فلتخبرني الآن عن هوية الرجل ذو العباءة السوداء وإلا جعلتك تتمنى الموت من هول ما ستعيشه من تعذيب بين هذه الجدران التي حقًا أجدها مثيرة للغثيان مثلك!

صرخ كنان في مراد غير مباليًا لقوته وللسجان الذي كان بانتظار أمر مليكه بالانقضاض على السجين:

- سيقتلك وسيأخذ عزيزتك لومينا.

سأل مراد بعصبية:

- من الذي تقصده بكلامك يا هذا؟

تعالت ضحكات كنان ثم بدأ يصرخ كالمجانين مما جعل السجان يتدخل بسوطه الذي هبط على جسد كنان وأصابه بعدة جروح وكدمات.

أمر مراد السجان بالتراجع، ثم همَّ بالرحيل وكنان يصيح:

- سيأتون إلى عالمنا. سيموت الكثيرون يا مراد. فلتتذكر كلماتي هذه فربما تحتاجها يومًا.

ألقى مراد نظرة أخيرة على السجين ثم صعد إلى القصر مرة أخرى وهو يشعر بالحيرة والضياع أكثر من ذي قبل.

بينما كان يسير إلى المكتبة اصطدم بداني الذي قال بابتسامته المستفزة:

- مرحبًا جلالتك. هل اشتقت إلي؟

تفاجأ مراد عندما رآه ولم يكن سعيدًا برؤيته أبدًا، لذا سأله بتجهم:

- متى وصلت إلى هنا؟ وما هو سبب قدومك؟
- أهكذا تستقبل ملك مملكة بيورين يا ساحر النور؟

تأفف مراد لذكره السر الذي حاول إخفاؤه ثم قال:

- هل هناك داعٍ حقًا لذكر هذا الأمر؟

ضحك داني بطريقة مستفزة وقال:

- لقد أتيت كي أطمئن على شقيقتي ولن أرحل إلا عندما أراها متزوجة منك، فوصية والدنا هي الاعتناء بها!

رفع مراد حاجبه مستغربًا من كلامه ولكنه ابتسم بسماجة وهو يقول:

- يا لك من شخصٍ طيب القلب!

لم تفارق الابتسامة المستفزة وجه داني الوسيم مما أثار غيظ مراد الذي جاهد في إخفاءه.

اقترب داني من مراد وسأله:

- كيف حال عزيزتك لومينا؟

تبدلت ملامح مراد على الفور لذا اقترب منه فأصبحت المسافة بين وجهيهما قليلة للغاية وهو يقول بحدة:

- أخبرتك من قبل أن تبتعد عن طريقها.
- وهل تراني أقف في طريقها؟
- فقط... لا تجبرني على إعادة النظر في أمرك!
- هل هذا تهديد بالقتل يا ساحر النور؟

بدأ جسد مراد يتوهج بالضوء الأبيض المميز لنيران سحرة النور ولكنه كبح جماح قوته قبل أن يثور جسده متمردًا عليه لتخرج النيران التي بإمكانها أن تحرق كل ما حولها دون توقف.

اتسعت ابتسامة داني وهو يصفق بكلتا يديه ويقول:

- هذا عرض جميل للغاية، لقد استمتعت حقًا بمشاهدته.

قال مراد بنفاد صبر:

- فقط ابتعد عن طريقي وعن طريقها وإلا كانت العواقب وخيمة يا داني!

لم يعلّق داني واكتفى بالابتسام ثم همَّ بالرحيل تاركًا مراد يفكر في ما يمكن أن يحدث إن أساء داني للومينا بأي شكلٍ من الأشكال وفي عواقب أفعاله الحقيرة مع نور.

* * * *

صعدت لومينا الدرج متجهةً إلى أعلى البرج ولكن مراد سألها بقلق:

- ما الذي تفعلينه في هذا الوقت المتأخر؟

تنفست لومينا الصعداء ثم أجابته بحرج:

- لا أستطيع النوم.
- هل أنتِ بخير؟
- نعم جلالتك.
- هناك ما أود أن أخبركِ إياه.

دخلا إلى المكتبة فأخبرها مراد بقدوم داني فشعرت لومينا بالقلق على صديقتها لذا سألت:

- هل يعلم أنها تحمل طفله بداخلها؟

- لا أدري.. ربما، ولكنه أكد لي أنه لن يرحل إلا بعدما يتأكد أنني تزوجت شقيقته.

قالت لومينا على الرغم من الألم الذي يعتصر قلبها:

- لتتزوجها يا سيدي كي يرحل ذلك الثعبان عن المملكة. يكفينا ما نعانيه بالفعل!

لا يرغب مراد في سماع هذا الكلام من الفتاة التي يحبها قلبه بجنون.

ربما كان يريدها أن تقول فلنرحل عن هذه المملكة ولنترك كل شيء خلفنا وألا نلتفت إليه أبدًا، ولكنها لم تقل هذا قط. حاول مراد تغيير الموضوع بسؤاله المفاجيء:

هل لديكِ أدنى فكرة عن مكان العصا التي كان يستخدمها كنان في ممارسة السحر؟

استغربت سؤاله ولكنها أجابته على كل حال:

- لا أعلم شيئًا عنها، ولكن...

سكتت قليلًا فسألها:

- ولكن ماذا؟

- أظن أنه كان من الممكن أن يكون قد هرب بينما نحن نتكلم بواسطة تلك العصا إن كانت معه في السجن ولكنه لم يفعل، وهذا معناه أن تلك العصا لا تزال هنا في القصر، ألا تتفق معي؟

- ولكنني أمرت الحراس بالبحث عنها فلم يجدوا شيئًا.

لم يكن لديها شيئًا لتضيفه فاستأذنت للذهاب إلى غرفة الخدم فسمح لها على مضض.

* * * *

# ٢٣

لا بد أنني غفيت بضعة ساعات قبل أن أستيقظ على صوت يهمس باسمي! لا يزال القمر في السماء منيرًا.

كم الساعة الآن؟ عاد الصوت يهمس باسمي ثانيةً. إنه قادم من المكتبة بالطبع.

نهضت من الفراش ثم أشعلت الشمعة وقبل أن أخرج من الغرفة ألقيت نظرة على نور النائمة كالأطفال على فراشها ثم خرجت من الغرفة.باب المكتبة مغلقًا.

لماذ توقعت هذا الأمر؟ اقتربت من الباب فاقترب الصوت كثيرًا، ولكنني لم أتنصت هذه المرة بل فتحت الباب مباشرةً غير مكترثة لما من الممكن أن أراه بالداخل. الغرفة مظلمة وباردة للغاية، بحيث الهواء الساخن الخارج من فمي كان يكوِّن سحبًا أمامي! يبدو أن شمعتي بدأت في الاحتضار الآن. ماذا سأفعل إن انطفأت فجأة؟ انطفأت الشمعة بالفعل فلعنتها في سري وعزمت على الاستمرار حتى إن كنت لا أرى شيئًا أمامي. لا زلت أسير! هل أصبحت غرفة المكتبة كبيرة إلى هذا الحد؟ أنا لا أتذكرها كبيرة هكذا.

لماذا لا زلت أسير فيها دون الاصطدام بأي شيء من أثاثها؟ بدأت ضربات قلبي تضطرب وهي تنبض بخوفٍ وبسرعة بينما أسير إلى الأمام.

ما يجبرني على التقدم هو اقتراب الصوت الهامس باسمي كلما سرت أكثر ناحيته. أصبحت المسافة بيني وبين الصوت لا تتعدى السنتيمترات، لذا تحسست طريقي أمامي لعلني أهتدي إلى مصدر الصوت. يبدو أن هناك شيء أو شخص ما واقف أمامي مباشرةً. هناك خيط ضعيف من الضوء جعلني أرى ما كان أمامي.

إنه شخص يرتدي عباءة سوداء. كان المشهد مرعبًا إذ وجدت نفسي في منتصف مكان يشبه الغابة كثيرًا ولكنه مظلم يجعلك بالكاد ترى ما حولك ولكن بدلًا من

الأشجار وقف أشخاص يرتدون عباءات سوداء بجانب بعضهم البعض يمينًا ويسارًا مني. سرت في المنتصف بينهم متجاهلةً الرجل الذي كان يقف أمامي ودقات قلبي لم أعد أشعر بها.

هل أنا ميتة؟ مشيت إلى الأمام لوقتٍ قليل ثم رأيت شيئًا يشبه عرش الملك لونه أسود متفحم يجلس عليه كائن بشع المنظر له قرنان طويلان أعلى رأسه.

تراجعت إلى الخلف وقلبي يخفق بسرعة من الخوف.

التفتت جميع الرؤوس ناحيتي ثم أشاروا إلي وتقدموا مني بينما أصرخ كالمجانين.

استغرق مني الأمر الكثير من الوقت كي أدرك أنني أصبحت وحدي فجأة!

أصبحت وحيدة الآن لا أعرف أين أنا.

من خلفي سمعت خطوات شخص قادم نحوي فاستدرت بسرعة لأجد أبي أمامي واقفًا كالمسحورين. كان يتمتم بكلماتٍ لم أفهمها أبدًا.

سألته عما يقصده ولكن يبدو أنه لا يراني أو يسمعني.

أصدر الكائن صوتًا مرعبًا فاستدرت لأنظر إليه ولكنه اختفى فاستدرت ثانيةً ولكنني لم أجد أبي لأنه اختفى بدوره ومعه الرجال ذوو العباءات السوداء.

أصبحت وحدي ثانيةً، ولكنني حقًا أرغب في الرحيل الآن عن هذا المكان الموحش.أصبح الجو أكثر برودة عن ذي قبل.

كان البرد ينخر في عظامي الآن لذا من الأفضل أن أرحل عن هذا المكان البغيض.

جريت في جميع الاتجاهات أبحث عن مخرجًا فلم أجد. أصبتُ بالذعر وبنوبةٍ من البكاء والرعب لم تتوقف. كنت أبكي بصوتٍ واضحٍ ومسموعٍ ولا أحد يسمعني.

صرخت من فرط الغضب والرعب كالمجانين ولا أحد يكترث لأمري.

شعرت بشيء يدفعني إلى الأمام كأنه قوة خفية حتى دخلت الثقب الأسود.

أتذكر جيدًا أنني كنت في غرفة المكتبة قبل أن أذهب إلى ذلك المكان البشع، ولكن بعد خروجي منه رأيت أنني خارجها.

بجانبي مدت نور يدها لتساعدني على النهوض فنظرت إليها بتردد وخوف ولكنني أمسكت بها في النهاية.

قالت بارتباك:

- تبدين وكأنكِ رأيتِ الموت بعينكِ!

- ليس لديكِ فكرة عما رأيته منذ قليل.

- هلمي. هناك ما أود أن أريكِ إياه!

أمسكتُ بيدها فإذ بها تقتادني إلى أعلى البرج.

نظرت إلى الميناء الملكي فصعقني مشهد النيران المشتعلة في السفن ودخانها المتصاعد إلى السماء. سألتها بقلق:

- ما هذا بحق السماء؟

- هذا هو ما أيقظني من النوم يا لومينا. لقد سمعت جلبة خارج غرفة الخدم أيقظتني من النوم فسألت أحد الحراس فأخبرني أن النيران اشتعلت في السفن في الميناء الملكي لذا صعدت إلى هنا لأرى بنفسي ثم سمعت صوتكِ وأنتِ تصرخين فهبطت الدرج حتى وجدتكِ هنا.

الغريب في الأمر أنكِ لم تكوني على فراشكِ بل محتجزة داخل شيء غريب لم أره من قبل ولكنني سمعت عنه الكثير، لذا أجيبيني بصراحة، هل أنتِ من سحرة النور؟

نظرت إليها غير مستوعبة لما تقوله ثم قلت بعبوس:

- مزاحكِ سيء يا نور.

قالت بحزم:

- لست أمزح يا لومينا وأنتِ تعلمين هذا.

ساد الصمت بيننا، ولكنها أردفت أخيرًا:

- فلتخبريني بالحقيقة الآن. هل أنتِ من سحرة النور؟

قصصت عليها كل شيء وهي تنصت باهتمامٍ وبتركيز. أنهيت كلامي فقالت نور بقلق:

- ولكن كيف تثقين بواحدٍ منهم؟ حتى وإن كان الملك فهؤلاء السحرة ليسوا بمحل ثقة يا لومينا.
- ليس مراد مثلهم.
- هذا قلبكِ الذي يتحدث!
- صدقيني يا نور. ليس لحبي علاقة بحقيقته. عندما يعثرون على القاتل سترين أن هذه المملكة البائسة ستشهد فجرًا جديدًا من العدالة والمساواة بين الجميع.

كانت تنظر لي باهتمام، فأضفت:

- ذلك الشاب كل ما يشغل باله هو رعيته. صدقيني إنه الأمل الوحيد لترى هذه المملكة نور الحرية من جديد. هل نسيتِ ما سيفعله لأجلكِ؟

ابتسمت لي وكأنها تخبرني أنها تثق به وتصدق كلامي.

لم يكن عندي أصدقاء طوال حياتي، ولكنها أصبحت الوحيدة المقربة من قلبي الآن.

* * * *

في اليوم التالي استيقظنا على أنباءٍ سيئة! توقف العمل في الميناء الملكي بالطبع فانعزلنا عن العالم تمامًا، مما أثار غيظ مراد لعدم تمكنه من السيطرة على الأحداث المؤسفة التي تشهدها مملكة الشمال.

الغريب أن هذا كله يحدث فقط فور وصول داني إلى هنا! الملك مشغول في المناقشات الحادة مع نائبه وحاشيته مما جعلني أشعر بالحزن لأجله.

رأيته مرات قليلة في الأيام التالية لحريق الميناء الملكي وكان يبدو حزينًا وكأنه يحمل هم العالم بأكمله فوق ظهره.

* * * *

تفاقمت الأعمال في المطبخ الملكي بسبب مرض نور فأصبحت أرى مراد قليلًا. تكونت صداقة طيبة بيني وبين نور فصرنا لا نفترق أبدًا. غريبة هي هذه الحياة! تجعلك تحب اليوم من كرهته بالأمس، وتكره غدًا من أحببته اليوم!

ذات مرة كنت أجلس بصحبة نور أعلى البرج عندما قالت وهي تنظر إلى السفن في الميناء الملكي:

- لومينا. هناك ما أود التحدث معكِ بشأنه.

لا أدري لماذا توقعت الأمر الذي تود التحدث فيه معي، لذا قلت لها بابتسامةٍ حزينة:

- أعلم ما يدور بعقلكِ يا نور. عليكِ فقط أن تدركين أن زواج الملك من الأميرة بيري هو أمر مفروغ منه ولا يوجد حل آخر سوى هذا، حتى وإن لم يبادلها المشاعر نفسها. على الأقل أثق أن قلبه سيميل إليها يومًا ما بعدما أغادر هذه المملكة.

- أتعلمين أنني أدركت أنه يعشقكِ قبل حتى أن تدركا أنكما واقعان في الحب!

زاد كلامها ابتسامتي حزنًا وأنا أسألها:

- هل كنا واضحين هكذا لمن يرانا؟ الغريب في الأمر أنه ربما عرف الجميع أننا عاشقان إلا نحن الاثنان! كنا نكابر ونتجاهل مشاعرنا طوال الوقت.

- إنه ليس كداني بحق الإله! ليس من العدل أن تكون نهاية هذا الحب هي الفراق والوجع.

قلت:

- الحياة ليسة منصفة يا نور. لا تنتظري العدل في عالم يموت فيه الأطفال جوعى أو مرضى أو كلاهما معًا! عندما أتذكر ما يعانيه القرويون أشعر أن مشكلتي لا شيء أمام المشاكل الحقيقية كالمرض والفقر!

ساد الصمت قليلًا قطعته بسؤالي:

- لماذا تودين الاحتفاظ بالجنين هذه المرة؟

تنهدت نور بتعب وقالت:

- إنه طفلي رُغمًا عن أنف داني وجميع سكان مملكته! لقد انصعت لأوامره في المرة السابقة لأنه قد وعدني بأخذي إلى مملكة بيورين والعمل في قصره فيتمكن من

رؤيتي كل يوم! العشق يجعلنا نقترف أسخف وأغبى الأخطاء على الإطلاق! في ماذا كنت أفكر عندما صدقت كلامه وانتظرت ذلك اليوم؟

- ما الذي كنتِ تتوقعينه من رجل متزوج من فتاة من أسرة نبيلة وأصبحت الملكة لمملكة بيورين بل وتحمل طفل الملك بداخلها؟

التمعت عيناها في ظلام الليل فشعرت بالغباء لطرحي هذا السؤال السخيف عليها. قالت بحزن:

- كان القرب منه ورؤيته كل ليلة هو أقصى ما تمنيته وقتها.

سكتت قليلًا ثم أضافت:

- أعلم أن ما فعلته لا يُغتفر ويعتبر خيانة لزوجته التي لا ذنب لها. كان من الممكن أن أكون مكانها، وصدقيني عندما أخبركِ أنني لم أكن لأوافق أبدًا أن يخونني زوجي مع امرأة أخرى. المؤلم هو أنني صدقت أنه يحبني وأن زواجه منها كان مجرد تحالف لتبادل المصالح بين المملكتين ولكنني كنت مخطئة. ذلك الرجل أوجعني بكل ما أوتي من قوة وأنا لا أنوي مسامحته أبدًا.

انتهت من كلامها فلم يكن عندي ما أقوله لها فرأيت أن أفضل شيء لفعله الآن هو هبوط الدرج كي ننام.

## ٢٤

الطقس يبرد ويسوء أكثر وأكثر مما زاد من ارتفاع معدل الأمراض بيننا. سمعت نائب الملك ذات يوم يقول أن الأمراض في القرية قد انتشرت بشكلٍ مبالغٍ فيه كما لم يحدث من قبل.

شعرت بالقلق على شقيقي ووالدتي.

هل هما بخير؟

كنت أقف أعلى البرج أنظر إلى الميناء الملكي الذي كان مصدرًا لسعادتي يومًا ما، ولكنه الآن يتسم بالسواد ولا زالت السحب الدخانية تتصاعد منه! وضعت يدي في جيب عباءتي ألتمس منها الدفء فإذ بي أُفاجأ بورقةٍ فيه.

أخرجتها وفتحتها فتذكرت ذلك اليوم الذي رأيت فيه والدي. كنت أرتدي العباءة نفسها عندما رأيته.

لا بد أنه وضعها في جيبي في تلك الليلة.

فتحتها وقرأت ما فيها.

في الواقع لم يكتب فيها شيء سوى جملة واحدة تقول "لا تثقي به."

كررها أبي طوال الصفحة بحبر لونه أحمر داكن أو دمًا لست متأكدة في الحقيقة.

لا أثق بمن يا أبي؟ لو أنك فقط تخبرني!

* * * *

كنت أسير في الممر المؤدي إلى غرفة المكتبة بعد انتهاء عملي في المطبخ الملكي متجهة إلى أعلى البرج عندما سمعت صوت نور قادمًا من الغرفة نفسها التي رأيتها فيها مع داني سابقًا. كان الباب مغلقًا ولكن صوتها كان واضحًا وهي تقول:

- لم أعد أكترث لأنني راحلة.

قال داني بنبرة غريبة لم أفهمها:

- اسمعيني جيدًا. فور تأكدي من زواج مراد من شقيقتي سأطلب منه أن تأتين معي لتقيمي في مملكة بيورين وستعيشين في كوخ خاص بكِ في القرية مع طفلنا. كيف لكِ أن تتصورين أنني كنت سأطلب منكِ أن تجهضيه؟ ما الذي فعلته كي تسيئي بي الظن يا عزيزتي؟

قالت نور بغضب:

- لأنك طلبت مني أن أجهضه من قبل يا جلالة الملك. هل نسيت ذلك الآن؟

قال بنبرة تنم عن الدهشة:

- هل حقًا فعلت؟ يا لدنائتي!

هذا الشاب مستفز للغاية. هل يسخر منها بإنكاره طلبه إجهاض الجنين في المرة السابقة؟ هذا الشاب أصبح غريب الأطوار حقًا! لم أحتمل سماع كلمة أخرى من هذا الوغد فقررت إخبار مراد بهذا الأمر لذا هبطت الدرج بسرعة واتجهت إلى الدرج الآخر المؤدي إلى غرفته غير مبالية لأي شيء فأوقفني الحارس وهو يقول:

- ما الذي تفعلينه هنا أيتها الخادمة؟

قلت له وأنا أحاول التقاط أنفاسي:

- أريد رؤية الملك. إنها مسألة حياة أو موت.

- الملك مع الأميرة بيري في الحديقة الملكية!

لم أستطع تحديد شعوري وقتها لأنني لم أفكر سوى في التحدث مع مراد عن كل ما حدث لي في هذه الليلة.

انتظرت في المكتبة لعل الحارس يخبره أن هناك من أراد التحدث معه بشأن أمر هام فيأتي إلى المكتبة ولكن ذلك لم يحدث. نظرت من النافذة فرأيته يجلس مع بيري يتحدثان ويبدو أن الموضوع مهم إذ ظهرت ملامح الجدية على وجهيهما.

بلا أية مقدمات انطفأت جميع الأنوار الموجودة في المملكة فلم أعد أرَ أي شيء من حولي عدا القمر في السماء الذي أصبح لونه كلون الدم! سمعت صراخ وهمسات وأصوات في الأرجاء تبدو مضطربة ومذعورة.

لا أعرف كيف أتصرف في هذه اللحظة.

هل أتحسس طريقي إلى الخارج أم أظل مكاني لعل مراد يأتي وينقذني من هذا الموقف المرعب؟ وقفت أنظر إلى القمر الدموي وأفكر في فريسته التالية التي سيلتهمها بوحشية! مشيت ببطء وبخوف باتجاه باب الغرفة التي حفظت معالمها عن ظهر قلب وخرجت منها أتحسس طريقي بيدي.

إن انعطفت يمينًا سأتجه صعودًا إلى أعلى البرج أو سأهبط الدرج إلى غرفة الخدم، بينما إن انعطفت يسارًا فسأتجه إلى القاعة الملكية أو خارج القصر لذا سأنعطف يسارًا.

ضربات قلبي تزداد كلما خطوت خطوة إلى الأمام. شعرت لوهلة أنني لست وحيدة في المكان! هناك من يتنفس بجواري.

الظلام يغلف المكان من حولي مما جعل الرؤية مستحيلة تمامًا. أظن أنني أرى شيئًا ما قادمًا من بعيد ينبعث منه ضوءً أزرقًا.

كالمسحورين اتجهت إليه دون وعي فاكتشفت عند وصولي إليه أنه ثقبًا أسودًا يدور حول محوره ضوء أزرق فدخلت فيه غير مبالية لأي شيء.

خرجت من الثقب الأسود لأجد نفسي في كوخ من أكواخ القرية ولكنه قديم وأثاثه مهترىء للغاية. نظرت حولي أبحث عن أي شخص فاندهشت عندما رأيت امرأة مستلقية على الفراش تحتضن طفل رضيع وتقبل جبهته الصغيرة ويجلس بجانبها رجل يبدو أنه زوجها.

تقدمت منهما وقلت بصوت مرتعش:

- مرحبًا. من أنتما وأين أنا بالضبط؟

رفعا الاثنان عينيهما ونظرا إلي بخوفٍ فقطبت جبيني مستغربة، ولكنني فهمت لماذا ارتسمت نظرة الخوف على وجهيهما.

لقد عبر رجل من خلالي فشعرت وكأن هناك من اعتصر روحي حرفيًا ثم اتجه بوجهٍ مذعور ناحيتهما وهو يقول:

- إنهم في طريقهم إلينا. تناقشت معهم وأقسمت أنكما لستما من سحرة النور ولكنهم لم يصدقونني. ما الذي سنفعله الآن بحق الإله؟

اقترب الزوج من الرجل وقال بحزن:

- سيعثر علينا نائب الملك عاجلًا أو آجلًا ولن يرتاح إلا وحبل المشنقة ملفوفًا حول رقابنا. فقط خذهما إلى صديقنا، وسيعرف ماذا يفعل معهما.

قال الرجل بغضب ممزوج بحزن عميق:

- ما الذي تقوله بحق السماء؟ كيف تستسلم هكذا بلا مقاومة؟ لا أفهم لماذا لا تستخدم قواك وترحل...

قاطعه الرجل:

- لا مكان لسحرة النور في هذا العالم يا صديقي. سأسلم نفسي إلى نائب الملك كي أؤخرهم قليلًا عن اللحاق بأسرتي. فقط ارحل معهما ولا تنظر خلفك أبدًا.

نظر الزوج إلى زوجته التي كانت تبكي ألمًا وتحتضن رضيعها فاقترب منها ثم قبَّل جبينها وقال:

- لا تخافي. ستنعمون بحياةٍ كريمةٍ آمنةٍ معه. فقط عديني ألا تنتظرين عودتي وأن تمضي قدمًا من أجلنا.

انهمرت دموع الزوجة أكثر من ذي قبل فاحتضنها الرجل وقبّلها ثم قبّل الطفل الرضيع وخرج من الكوخ.

أخذ الرجل الطفل الرضيع وحمله بذراعه اليمنى وباليسرى تأبطت به المرأة التي كان الدم يسيل من بين ساقيها وهي تسير.

ارتسمت قطرات الدم على الأرض لتكوِّن لوحة كئيبة ومخيفة رسمها فنان يتألم!

خرج الرجل والمرأة مع رضيعها وسارا ناحية البحيرة فتبعتهم. بدا الإرهاق والإعياء على وجه المرأة فساعدها الرجل كي تجلس على الأرض لكي تأخذ قسطًا من الراحة.

من بعيد سمعت أصوات حوافر الجياد وصهيل السيوف فنظرت للرجل فرأيت الرعب في عينه وعين المرأة.

قالت له المرأة بصوتٍ واهن:

- ارحل. لن أستطيع الهرب. ارحل الآن أتوسل إليك.

سألها الرجل برجاء:

- ألا يمكن أن تصنعين ثقبًا أسودًا لنهرب جميعًا؟

- لن تعمل قوايا وأنا بهذا الضعف. فقط خذه إلى صديقنا وهو سيتولى أمره.

لم ينتظر الرجل أكثر من ذلك ورحل بالفعل مع الطفل الرضيع ثم اختفى داخل الغابة المظلمة.

نظرت إلى الجياد المخيفة وإلى الجلادين ونائب الملك الذي لم أحبه أبدًا وهم يتقدمون من المرأة الجالسة على الأرض تبكي من الألم والخوف معًا.

نظر إليها نائب الملك وقال بشراسة:

- ها أنتِ ذا. لقد أخبرني زوجكِ أنكِ لم تتمكني من النجاة أثناء الولادة. آه يا عزيزتي، كان لا بد أن تري نظرة الرعب والذل في عينيه وهو يتوسل إليَّ كي أتركه على قيد الحياة! لم تنبس المرأة ببنت شفة وظلت دموعها تنهمر دون توقف.

اقترب منها نائب الملك وانحنى ثم أمسك بشعرها بقوة فتألمت المرأة ثم قال:

- وأين هو الطفل؟

لم ترد المرأة مما أثار غيظ نائب الملك فأمر أحد الجلادين بإحضار حبل ففعل ما أُمر به.

أخذ نائب الملك الحبل ووضعه حول رقبة المرأة وكبل يديها ورجليها ثم ركب فوق جواده وأمسك بالحبل الذي كان يجر المرأة. كان الجلادون والحراس يضحكون لمنظر المرأة التي كان يجرها الحصان ودمائها تاركة آثار فوق التراب.

لم يحتمل جسدها الواهن فماتت قبل حتى أن تدخل المدينة الملكية.

ترجَّل نائب الملك ووقف بجانبها وقال باشمئزاز:

- دائمًا ما يموتون بسرعة قبل أن أتلذذ بتعذيبهم! لم أعد أحتمل أكثر من هذا.

شعرت بالامتنان كثيرًا عندما رأيت الثقب الأسود بجانبي في انتظاري فدخلت فيه بسرعة وخرجت لأجد نفسي في الممر المؤدي إلى المكتبة.

* * * *

# ٢٥

دار نقاشٌ حادٌ بين مراد وبين الأميرة بيري عندما أخبرته عن نيتها في محاربة داني على العرش بعدما علمت أن نور تحمل طفله بداخلها.

لم تكن بيري تحب مراد كما تفعل لومينا، فهي تحب صداقتهما ولكم تمنت لو كان هو شقيقها وليس داني.

وافقت بيري على الزواج منه بناءً على رغبة والدها فهي لم ترفض لأنها تعلم أنه مريض وربما يموت في أي وقت فلم ترغب في التسبب له بالحزن قبل موته! بعدما مات والدها صارحت مراد بنيتها في رفض الزواج منه كما أخبرته عن نيتها في الاستيلاء على عرش مملكة بيورين ولكن مراد حاول منعها ولكنها لم تصغِ إليه.

إنها تعلم أن داني لا يصلح للحكم، وتعلم أنها لو قبلت بالزواج منه لن تتمكن أبدًا من العودة إلى مملكة بيورين كملكةٍ لها.

شعر مراد بالخوف عندما انتهى من محادثته لبيري وفكر في التنازل عن العرش لشقيقته قبل اكتشاف أهل المدينة أنه من سحرة النور. فكر في الهروب مع لومينا ليعيشا بعيدًا عن كل شيء.

وقف مراد أمام قبر والدته وهو يفكر في هوية الرجل ذو العباءة السوداء وعن سبب قتله لأسرته.

لا بد أنه ينتقم من أجل جميع سحرة النور، ولكن ما لم يفهمه مراد حتى الآن هو علاقة لومينا بالأمر. لماذا يصر ذلك الغريب على إشراكها بالأمر بطريقةٍ أو بأخرى؟

لمح مراد الرجل العجوز ذو العباءة البيضاء يقف خارج المقابر.

"لقد طفح الكيل يا هذا!" قال مراد بصوتٍ عالٍ ثم جرى ناحيته ولكن شواهد القبور ارتفعت فجأة من تحت الأرض فأغلقت مدخلها! إنه مشهد غريب للغاية

للشواهد التي من المفترض أنها ليست بذلك الارتفاع. لقد ارتفعت من أسفل الأرض إلى الأعلى حتى عشرة أمتار ليصبح مراد سجين الآن.

الغريب أنه لا يستطيع حتى أن يصنع ثقبًا أسودًا يُخرجه من هذا المأزق فهو عاجز عن التحكم في قواه، وهي المرة الأولى التي تحدث له.

بدأت شواهد القبور من حوله تدور ببطء في البداية ثم بسرعة جنونية وهو في المنتصف يحاول أن يستوعب ما يحدث من حوله.

أصوات همسات من حوله تنطق بكلمات غريبة مخيفة لم يفهم منها كلمة واحدة. كاد دوران شواهد القبور بهذه السرعة الغريبة أن يفقده عقله قبل وعيه، ولكن ظهور الرجل ذو العباءة البيضاء فجأة جعله يصب كل تركيزه عليه ويتجاهل شعور الغثيان الذي يشعر به.

كان الرجل عجوزًا للغاية يغزو الشعر الأبيض رأسه ولحيته. وضع الرجل العجوز كلتا يديه الباردتين على جبين مراد فأصبحت عيناه بيضاء تمامًا.

تغير كل شيء حولهما فرأى مراد نفسه أمام شاب في الثلاثين من عمره يقف أمامه. كانا يقفان في فضاءٍ شاسعٍ تغزوه النقاط البيضاء الصغيرة وبعض الثقوب السوداء التي يدور حول محورها الضوء الأزرق. نظر مراد إلى عيني الشاب الزرقاء وقال له:

- من أنت؟ أين ذهب العجوز؟ أين نحن بالضبط؟
- نحن في متاهة الزمن الآن يا ساحر النور! إنها الطريقة الوحيدة كي نتواصل بها. والآن اسمعني جيدًا. الحرب على وشك البدء في مملكة الشمال. ستكون الحرب بينكم وبين سكان مملكة الجحيم، ولكنك وحدك من يمكنك إيقافها!

عقد مراد حاجبيه باستغراب وسأله:

- ولكنني شخصًا واحدًا أمام سكان مملكة الجحيم والنكرومانسر!
- ولكنك ستكون قادرًا على مواجهتهم عندما تبحث في الماضي عن الإجابات في كتاب السحر الأبيض!

- لقد بحثت عنه كثيرًا ولكنني لم أعثر عليه. ابحث في الماضي فقط يا ساحر النور.

سأله مراد:

- هل تقصد أن أسافر عبر الزمن إلى مملكة ليموريا؟ ولكنهم سيتمكنون من رؤيتي، فوحدهم سحرة النور يستطيعون رؤية المسافر عبر الزمن، أليس كذلك؟
- أعرف جيدًا القوانين يا ساحر النور، ولكن هذا ليس مهمًا الآن. اعثر في الماضي على الإجابات قبل أن يعثر عليك النكرومانسر!

سأله مراد بقلق:

- ما الذي يريده النكرومانسر؟
- إنه يريد كتاب السحر الأبيض كي يتمكن من الخروج من مملكة الجحيم إلى الأرض في هيئته الحقيقية، لأنه إن خرج منها وهو على شكله الحالي لن يتمكن أبدًا من استعادة هيئته الحقيقية فوق الأرض! لهذا السبب ستكون هيئته الحالية هي مجرد ظل يتبع خادمه فوق الأرض حتى يتمكن من استعادة جسده البشري! كما أنه يرغب في الاستيلاء على عرش مملكة الشمال ثم ركوع جميع الممالك الأخرى له. سيستعبدهم جميعًا، وحوشًا كانوا أم بشرًا، ولكنك ستمنع هذا بأية طريقة!
- ولماذا لا أعود إلى مملكتي لمواجهته؟ لم تُفتح البوابة بعد.
- أخشى أن الأوان قد فات على منعك لفتح البوابة! سيتم فتحها سواء شئت أم أبيت. هذا أمر حتمي يا ساحر النور.
- ولكن...

لم يستطع مراد إنهاء جملته لأن الشاب دفعه داخل أحد الثقوب السوداء! فتح مراد عينيه فلم يجد أثرًا للشاب أو العجوز.

رأى المقابر حوله ثانيةً ولكنها عادت إلى طبيعتها.

لم ينتظر مراد كثيرًا ففتح ثقبًا أسودًا بيده اليسرى ودخل فيه كي يسافر عبر الزمن إلى مملكة ليموريا!

* * * *

كانت لومينا تبحث عن نور في كل مكان في القصر ولكنها لم تعثر عليها مما أصابها بالخوف والقلق معًا.

إنها تخشى أن يمسها سوء خصوصًا بعد أن شاهدت القمر الدموي في السماء. بعد فترة طويلة من البحث عثرت لومينا عليها أخيرًا في الحديقة الملكية فتقدمت منها واحتضنتها وهي تقول:

- أنتِ بخير. لقد كدت أن أجن من شدة القلق عليكِ.

لم تفهم نور ما تقصده صديقتها فعقدت حاجبيها استغرابًا وسألتها:

- عن ماذا تتحدثين بالضبط؟ أنا لا أفهم.
- لقد رأيت القمر الدموي منذ قليل لذا قلقت عليكِ. هذا كل شيء.
- لقد رأيته بدوري وشعرت بالقلق مثلكِ.

نظرت لومينا إلى بطن صديقتها التي أصبحت أكبر حجمًا عما كانت عليه سابقًا ثم قالت:

- فقط لا تبتعدين عني. ابقي بجانبي.

أومأت نور بالإيجاب فابتسمت لها لومينا بحب، ولكن ابتسامتها تلاشت عندما سمعا الاثنان صرخة عالية قادمة من داخل القصر. نظرا الاثنان بخوف إلى بعضهما البعض.

سألت نور:

- هل تلك الصرخة تعني أن هناك جثة أخرى؟
- يبدو ذلك. اسمعيني جيدًا، لا تتحركي ولا تذهبي لأي مكان. سأذهب لأتفقد الحال بالداخل ثم سأعود إليكِ على الفور.
- حسنًا. فقط توخي الحذر رجاءً.

ابتسمت لها لومينا ثم تركتها واتجهت إلى القصر الذي كانت حالة من الفوضى تسوده.

سألت إحدى زميلاتها عن مصدر تلك الصرخة فكانت المفاجأة؛ لقد عثروا على آدم، ابن نائب الملك السابق وزوج الأميرة شيرين، غارقًا في دمائه! كانت شيرين في حالةٍ يرثى لها.

بحثت لومينا عن مراد ولكنها لم تجده وسط الحضور مما أثار استغرابها وقلقها معًا.

توجهت إلى المكتبة فلم تجده، فأكملت طريقها إلى أعلى البرج فلم تعثر عليه أيضًا.

"أين أنت بحق الإله؟" سألت بصوتٍ منخفض ينم عن القلق.

بينما تشاهد الميناء الملكي الذي لا يزال الدخان يتصاعد منه إلى السماء انطفأت جميع مصادر الضوء في المملكة للمرة الثانية! رفعت لومينا عينها إلى السماء فرأت أن القمر استحال لونه إلى الأبيض وعاد إلى طبيعته مما جعل الرؤية ممكنة قليلًا. الطقس بارد للغاية بحيث أنها لم تعد تشعر بيديها وقدميها. نظرت إلى السماء ثانيةً بعدما رأت النور الأبيض المميز للبرق والذي تبعه أصوات الرعد المخيفة.

"ما الذي يحدث الآن؟" تسائلت بداخلها. السماء تندف بالثلوج التي غطت المملكة بأسرها بسرعةٍ جنونية! "إنه فصل الخريف بحق الإله!" قالت لومينا بصوتٍ مخنوق.

## ٢٦

حرر الحارس الرسالة القادمة من مملكة بيورين من قدم الطائر وأخذها مسرعًا إلى القصر الملكي وسلمها إلى الأميرة بيري.

تجمع النبلاء والوزراء والخدم والحراس في القاعة الملكية بعدما أضاؤوا المصابيح والشموع مرةً أخرى ينظرون إلى نائب الملك الذي كان يقول بحزم:

- اهدؤوا جميعًا. نحن لا نعلم مكان الملك حاليًا، ولكننا سنتابع البحث عنه.

قال أحد النبلاء:

- وماذا عن القمر الدموي وتلك الجثث التي عثرتم عليها في القصر؟ متى ستقبضون على القاتل؟

تعالت أصوات الحضور وصيحاتهم مما أصاب نائب الملك بالغيظ فصاح فيهم:

- اصمتوا جميعًا بحق الجحيم!

شعرت بيري بالملل مما يفعلونه فقررت الذهاب إلى المكتبة لأخذ قسطًا من الراحة.

جلست على المقعد الذي اعتاد مراد الجلوس عليه وفتحت الرسالة وقرأتها.

اتسعت عيناها دهشةً وخفق قلبها بشدة بعدما قرأت الرسالة.

وقفت فجأة وهي تضع يدها فوق فمها كي تمنع صرخة كادت أن تفلت منها. إنها ترغب في رؤية مراد على الفور لتخبره بمحتوى الرسالة التي أكدت ظنونها وشكوكها.

أخذت الرسالة واتجهت إلى أعلى البرج لعلها تجد مراد ولكنها تفاجأت بوجود لومينا. إنها تعلم أنهما عاشقان.

تقدمت بيري من لومينا وقالت:

- لا بد أنكِ تعلمين مكانه، أليس كذلك؟

تفاجأت لومينا من سؤالها.

قالت لها وهي تنحني:

- مرحبًا يا سمو الأميرة. عمن تتحدثين بالضبط؟

- أين مراد؟

استغربت لومينا أنها تسألها عن مراد، لذا سألتها بقلق:

- هل هو مفقود يا سمو الأميرة؟

- متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟

لم تعرف لومينا بماذا تجيبها.

لاحظت أن الأميرة تمسك برسالةٍ في يدها اليمنى ويبدو على وجهها القلق.
سألتها لومينا بقلق:
- هل كل شيء على ما يرام يا سمو الأميرة؟
لم ترد بيري واكتفت بإيماءة من رأسها تدل على أن هناك مصيبة ستحدث. هبطت الدرج واتجهت إلى المكتبة ووضعت الرسالة على المكتب ثم جلست تنظر إلى البرق في السماء خارج النافذة.
سمعت صوت خطوات أقدام قادمة من خلفها فاستدارت لعله يكون مراد ولكنها تفاجأت بشقيقها الذي قال بابتسامةٍ غريبة:
- تبدين وكأنكِ رأيتِ شبحًا!
زادت نبضات قلبها وهي تنظر إليه.
أغمضت عينيها لثوانٍ وحاولت أن تبدو طبيعية بقدر الإمكان، ولكن صوتها بدا مهزوزًا قليلًا وهي تسأل:
- هل رأيت مراد؟
اقترب منها داني وهو يتحسس شعرها الذهبي ثم قال:
- أنتِ جميلة للغاية!
شعرت بيري في هذه اللحظة أنها على وشك البكاء كالأطفال، ولكنها تماسكت وهي تقول:
- نحن توأمان يا عزيزي. أنت أيضًا وسيم للغاية!
اتجه إلى النافذة ثم ابتسم وهو ينظر إلى انعكاس وجهه فيها وقال:
- هذا صحيح!
نظرت بيري إلى انعكاس وجهه في النافذة فشعرت بالخوف، لذا قالت:
- أشعر بالتعب. من الأفضل أن أذهب إلى غرفتي الآن.
قبل أن ترحل أمسك بيدها وقال بطريقةٍ مرعبة أصابتها بالخوف:

- لماذا تسألين عن مراد؟

قالت بصوتٍ مرتعش:

- أردت فقط أن أُناقش أمر الحفل معه. هذا هو كل شيء.إنه يعلم أنها تكذب. إنه يعلم أنها خائفة لسببٍ ما. ترك يدها وقال وهو يبتسم:

- بالطبع يا عزيزتي، الراحة هي أفضل شيء لكِ في هذا الوقت بالذات!

لم تفهم ما يعنيه ولكنها لم تهتم. غادرت الغرفة بخطواتٍ واسعةٍ واتجهت إلى غرفتها وجلست على السرير وانفجرت في البكاء بصوتٍ مسموع. انتشلتها أصوات الطرق على الباب من هذه الحالة فاتجهت تفتحه فلم تجد أحدًا.

سألت الحارس بحدة:

- هل أنت من طرق الباب؟

أجابها الحارس باستغراب وهو ينحني:

- لم يطرق أحد الباب يا سمو الأميرة!

ضيَّقت عيناها متسائلة ولكنها لم ترغب في أن تتناقش معه، لذا أغلقت الباب وأسندت ظهرها إليه.

انطفأت الشموع التي تضيء غرفتها فجأة وسكتت جميع الأصوات من حولها.

إنها لا ترى سوى ضوء القمر المخيف في السماء. إنها لا تسمع شيئًا.

حاولت التحدث ولكن أذناها لا تسمعان صوتها على الإطلاق! إنها خائفة.

حاولت أن تفتح باب الغرفة ولكن مقبضه لا يستجيب.

"ما هذا الهراء؟" هكذا تسائلت في عقلها! جلست على الفراش وظلت تبكي لدقائق. إنها خائفة وترغب في رؤية مراد بشدة.

بدأت أذناها في العمل مجددًا عندما سمعت صوت شيرين وهي تقول:

- يا إلهي! هذا كثير للغاية. أنا لم أعد أحتمل ما يحدث. فلتعثروا على ذلك القاتل الحقير. اعثروا عليه وسأعطي من يسلمه لي ما يشاء!كان الصوت يأتي من داخل

الخزانة فاتجهت بسرعة إليها وفتحتها فكانت المفاجأة! إنها غرفة مطابقة لغرفتها في كل شيء.

كانت شيرين تجلس على فراش بيري وهناك جسدًا مستلقيًا بجانبها.

اقتربت بخطواتٍ متثاقلة وقلبها ينبض بشدة.

إنها ترى جسدها مستلقيًا على الفراش.

هي ليست ميتة فهي ترى صدرها يعلو ويهبط وهذا معناه أنها تتنفس، ولكنها ليست واعية لما يحدث حولها.

كيف يحدث هذا؟ انهمرت الدموع على وجنتيها وظلت تصرخ ولكن صوتها لا يطيعها لهذا لا يستطيعون سماعها.

لا أحد يعرف ما يحدث لها.

قال نائب الملك:

- يبدو أنها لن تستيقظ أبدًا يا سمو الأميرة. إنها ليست ميتة وليست حية!

سألت شيرين بصوت مخنوق:

- وما الذي يفترض أن يعنيه هذا الكلام؟

أمسك نائب الملك بيد شيرين وقال وهو يربت على كتفها:

- هذا يعني أنها بين يدي الإله يا ابنتي! لنتمنى لها النجاة!

كانت شيرين تبكي بقلب منفطر وهي تفكر فيما حدث ولا يزال يحدث لعائلتها.

سألت نائب الملك وهي لا تزال تبكي:

- ألم تعثروا على شقيقي بعد؟

أجابها بحزن:

- لا.

- وما الذي يفترض أن يحدث الآن؟

- سأحل محل الملك حتى يعود!

سألت شيرين بحدة تشوبها الحزن والقلق:

- وإن لم يعد يا سيدي؟

لا يرغب نائب الملك في إجابتها.

اكتفى بوضع يده فوق كتفيها ثم اقتادها إلى غرفتها كي ترتاح.

غادر الجميع غرفة بيري تاركين جسدها مستلقيًا بلا حركة.

وقفت بيري بجانب فراشها تنظر إلى جسدها بذهول.

حاولت أن تمسك يدها ولكنها شعرت بالذعر عندما رأت أن يدها شفافة بحيث تمكنت من رؤية جسدها المستلقي على الفراش من خلالها! إنها شفافة وغير مرئية!

خرجت بيري إلى الشرفة وحاولت الصراخ، ولدهشتها طاوعها صوتها أخيرًا فخرجت منها أعلى صرخة بإمكانها أن تصيب المرء بالصمم!

# ٢٧

عندما سألتني الأميرة بيري عن مراد وبدا عليها القلق والخوف أدركت على الفور أن المسألة خطيرة. ما يحيرني الآن هو اختفاء مراد هكذا دون أن يعلم بمكانه أحد. ماذا لو أن الرجل ذو العباءة السوداء قد قتله؟

شعرت بغصة في قلبي وأنا أتخيل الحياة بدونه! الغريب هو أنني أصريت على الرحيل إلى مملكة الجنوب بعد العثور على القاتل وانتهاء هذا الكابوس على الرغم من أنني لا أحتمل فكرة الابتعاد عنه! مشاعر مختلطة تتصارع بداخلي، ولكنني لا أعلم أي شعور سينتصر في النهاية.

هبطت الدرج فلاحظت أن داني متجهًا إلى الدرج المؤدي إلى القاعة الملكية. دخلت المكتبة لعل مراد يأتي إلى هنا في أي وقت.

جلست على المقعد الذي اعتدت الجلوس عليه وهو معي.
كنت أنظر إلى كل ركنٍ من أركان الغرفة.
إنها غرفة رائعة بحق.
لفت نظري ورقة مطوية موضوعة فوق المكتب.
نهضت من مكاني واتجهت إليها وأمسكت بها.
إنها الرسالة نفسها التي كانت في يد الأميرة بيري! هذا غريب جدًا.
لماذا تضع هذه الرسالة بإهمال هكذا إن كان ما كُتب فيها مهمًا وخطيرًا كما أوحى لي وجهها؟ هل أفتحها وأقرأ ما بداخلها؟ سأعترف أن الموقف بأسره مغرٍ للغاية.
ما الضرر الذي سيقع إن فتحتها طالما أنها قد سبقتني في فعل ذلك؟ لن يلاحظ أحد أنني قرأت ما بداخلها.
جلست على المقعد ثانيةً وفتحتها ببطءٍ وقرأت ما بداخلها.
لوهلةٍ ظننت أنها مزحة ما، ولكنني تذكرت وجه بيري الخائف وهي ممسكة بها فأدركت على الفور أنها لا يمكن أن تكون مزحةٍ أبدًا.
لقد كُتب في الرسالة جملتين فقط: "عثرنا على جثة شقيقكِ.
عودي إلى المملكة لتتولي السلطة قبل أن يتولاها ابنه الذي لم تنجبه والدته بعد!"
عثروا على جثة الملك؟ جثة داني الذي رأيته منذ قليل؟ ما هذا العبث؟ تسارعت نبضات قلبي وشعرت أن الكون يدور من حولي.
والآن يجب أن أفكر بهدوء. إن كان داني ميتًا فمن ذلك الذي يتجول في القصر؟ أين أنت يا مراد بحق الإله؟
تذكرت ما رأيته في كتاب السحر الأسود عندما كنت في المكتبة أتلصص على الرجل ذو العباءة السوداء.
لقد كانت هناك رسمة لرجل يشرب شيئًا ما فيصبح شخصًا آخرًا! هل هذا ما حدث؟ هل انتحل الرجل ذو العباءة السوداء شخصية داني؟ هل قتله واستخدم

السحر الأسود لكي يرتدي وجهه حرفيًا؟ إن كان ما أفكر به صحيحًا فيبقى السؤال المهم هو لماذا؟ ما الذي يجعل الرجل ذو العباءة السوداء يذهب إلى مملكة بيورين كي يقتل داني ويشرب شيئًا ما لانتحال شخصيته؟ لماذا كل هذا العناء بحق الإله؟ والسؤال الأهم هنا من هو ذلك الرجل؟ لا يزال كنان في السجن.

أنا أعلم أن شخصًا من خارج القصر يساعده، ولكنني لا أعرف من هو. لا يمكن أن يكون مراد لأنني رأيت داني معه بالأمس. من أنت بحق الإله؟

تذكرت فجأة المشهد بين الزوج والزوجة والطفل الرضيع! ما علاقة ذلك المشهد بكل ما يحدث؟ لحظة واحدة! الطفل الرضيع من سحرة النور.

ماذا لو كان ذلك الطفل الرضيع هو الرجل ذو العباءة السوداء وهو أيضًا من ينتحل شخصية الملك داني؟ ولكن هناك شيئ محير في الأمر.

ما علاقتي به على كل حال؟ لماذا كان أبي يحذرني من الوثوق به؟ هل أعرفه؟ لا يمكن أن يكون كنان أو مراد.

هل هي نور؟ هذا مستحيلًا.

لو كان شقيقي معي لكنت... مهلًا! شقيقي؟ نهضت من مكاني وكأن ثعبانًا لدغني! وقفت أتنفس بصعوبةٍ وأنا أربط الأحداث ببعضها.

لا أستطيع التنفس الآن.

لقد كان هو منذ البداية! إنه الرجل ذو العباءة السوداء بلا شك! من غيره يكره النبلاء لدرجة قتلهم بدمٍ بارد؟ لقد تذكرت الآن إخباري له بكل شيء رأيته في القصر بما في ذلك ذهابي إلى الكهف مع مراد ومشاهدة المكتبة الضائعة! هكذا إذن تتضح الصورة كاملةً! لقد فهمت كيف عثر كنان على المكتبة الضائعة عندما أخبر الصوت الذي يتحدث معه في المكتبة أنهما عثرا عليها! لقد كنت أنا من اقتادتهما إليها!

اغرورقت عيناي بالدموع ثم سالت على وجنتي.

إنه شقيقي الذي أحببته حبًا جمًا! كيف تجرؤ يا أبي أنت وأمي على خداعي طوال تلك السنوات؟ كيف يجرؤان على إخفاء الحقيقة عني بل واستمرار والدتي في الادعاء والتظاهر أنه ابنها حتى بعد وفاة والدي؟

ألم يعلم أنس؟ لا أظن، فلا بد أنه تسائل عن مصدر قواه فكانت الإجابة على سؤاله هي أنه ابن أحد سحرة النور. لماذا تحمل أبي عناء تربية طفل ليس من لحمه ودمه؟ لماذا أخفيا الأمر عني؟ هل خشيا أن يُفتضح أمره؟

ما الذي سيحدث إن اكتشف أحدهم أمره؟ إنه ليس فقط ساحرًا ممارسًا للسحر الأسود بل هو أيضًا القاتل الذي قتل العائلة الملكية! كونه قاتلًا أسوأ بكثير من كونه ممارسًا للسحر الأسود.

أين أنت يا مراد؟

كان أنس يحاول منعي من العمل في القصر ولكنني لم أهتم بالأمر وقتها. لم يكن يرغب بوجودي فيه أثناء ممارسته للسحر الأسود وارتكابه لجرائم القتل! لماذا يا أنس؟ ما الذي تسعى إليه؟ ولماذا انتحلت شخصية داني؟ تذكرت الأميرة بيري وهي خائفة. هل قتلها هي الأخرى؟ وإن كان قد انتحل شخصية داني فهل يعني أن الطفل في بطن نور يخصه؟

طويت الرسالة ووضعتها في جيب سترتي ثم خرجت بسرعةٍ من المكتبة واتجهت إلى غرفة الخدم فرأيت نور تتحدث مع صديقتها. عندما رأتني نهضت وقالت بقلق:

- لن تصدقي ما حدث!

توقعت أن تقول لي أن الأميرة بيري عُثر عليها مقتولة، ولكنها قالت بدلًا من ذلك:

- الأميرة بيري نائمة ولكنها لا تستيقظ من سباتها العميق!

استغربت كثيرًا أنه لم يقتلها ولكنني شعرت بالراحة لأنها لا تزال حية حتى وإن كانت نائمة في سبات عميق فهو خير من أن تكون ميتة! هل هو من تسبب في هذه الحالة بممارسة السحر الأسود؟ هل اكتشف أمر الرسالة؟ إنه ينتحل شخصية

شقيقها فلا بد أنها ذهبت إليه كي تسأله عن الرسالة فأسكتها بوضعها في سباتٍ عميقٍ لا تستيقظ منه! ولكن لماذا لم يقتلها؟

سألتني نور بقلق:

- هل أنتِ بخير؟

نظرت إليها طويلًا دون أن أنطق بحرفًا ثم سألتها متجاهلةً سؤالها:

- هل تعرفين مكان داني؟

استغربت سؤالي وتجاهلي لسؤالها.

أجابتني:

- لقد سمعته يتحدث مع الخادم منذ قليل عندما أمره بإحضار العصير إليه في الحديقة الملكية. ولكن لماذا تسألين عنه؟

لم أبقَ كي أجيبها عن تساؤلاتها لأنني خرجت بسرعة من الغرفة واتجهت إلى الحديقة الملكية. إنه يجلس فوق المقعد يراقب السماء باهتمام.

وقفت بجانبه وسلَّمته الرسالة وأنا أقول:

أرادت مني الأميرة بيري أن أسلمك هذه الرسالة!

عقد حاجبيه وضيق عينيه ثم قال لي بابتسامةٍ مصطنعة:

- لماذا سترسل بيري هذه الرسالة معكِ؟ أليس المطبخ الملكي هو مكان عملكِ؟

- قلت بملامحٍ جامدة:

- أصرَّت الأميرة بيري على أن أسلمها إليك بنفسي!

يبدو أنه لم يقتنع بكلامي، لذا قال بقلقٍ:

- لنقرأها إذن!

تغيرت ملامح وجهه وظهر عليها الخوف فور انتهائه من القراءة. كان على وشك أن يقول شيء ما ولكنني قاطعته بسؤالي:

- كيف تفسر ما كُتب هنا برأيك؟

سألني بحدة:

- كيف تجرؤين على التحدث معي بهذه الطريقة الوقحة؟

اقتربت منه للغاية وقلت له بغضبٍ مكتوم:

- فلتجيبني الآن قبل أن أذهب بهذه الرسالة إلى نائب الملك!

- إنها مزحة سخيفة.

- وهل المزحة السخيفة تأتي بالختم المميز لمملكة بيورين؟

سألني بتجهم:

- ما الذي تحاولين إثباته هنا؟

- أشعر بالسعادة لأنك ذكرت هذا الأمر! ما أحاول إثباته هنا هو أنك لست داني.

سألني بابتسامة بسمجة:

- إن كان كلامكِ صحيحًا، فلماذا لا تخبرينني الآن من أكون؟

- أنت الرجل ذو العباءة السوداء والذي يصادف أيضًا أنه شقيقي في الوقت ذاته!

ابتسم لي ثم ضحك وقال:

- لديكِ خيال واسع يا آنسة!

- لنرى إذن ماذا سيكون رأي نائب الملك في أمر هذه الرسالة!

كنت على وشك الرحيل ولكنه أمسك بذراعي بقوة وقال بتجهم:

- لماذا لا نذهب إلى المكتبة لنتحدث قليلًا في هذا الأمر؟

سرنا معًا إلى المكتبة دون أن ينطق أحدنا بكلمةٍ واحدة.

بمجرد أن أغلقت باب المكتبة نظرت إليه فاغرورقت عيناي بالدموع فسالت على وجنتي عندما لم أستطع كبح جماحها.

قال لي بابتسامةٍ أصابتني بالغيظ:

- لقد أخبرت كنان أنكِ لست غبية كما يظن وأنكِ ستكتشفين أمرنا ولكنه لم يصدقني!

صفق ببطءٍ واستطرد:

- هنيئًا لكِ! لقد حللتِ اللغز الذي حير جميع من بالقصر الملكي!

انفجرت فيه:

- لماذا؟ لماذا قتلتهم؟ ما الذي فعلوه بك؟

سألني باستغراب:

- ما الذي فعلوه بي؟ لماذا قتلتهم؟ بربكِ! أنتِ من بين الجميع تعرفين الأسباب التي جعلتني أتلذذ بقتلهم!

اغرورقت عيناي بالدموع أكثر وأنا أقول:

- ما فعلوه بسحرة النور خاطيء ولا يُغتفر ولكنك لست الإله كي تحاسبهم!
- سحرة النور؟ هل تظنين أنني قتلتهم جميعًا انتقامًا منهم لما فعلوه بسحرة النور في الماضي أو خوفًا من اكتشافهم لأمري مستقبلًا؟ لا يا عزيزتي. هذا ما هو إلا سببًا واحدًا من ضمن عدة أسبابٍ أخرى!
- وما هي الأسباب الأخرى بحق الإله؟

اتجه إلى النافذة ونظر إلى السماء وهو يقول:

- هل تعرفين ما هو الشيء المشترك بين سحرة النور والقرويين؟ ربما ستكون إجابتكِ هي الفقر، ولكنها ليست بالإجابة الصحيحة!

استغربت كلامه. ما الذي يقوله هذا الأبله؟

استطرد قائلًا:

- الضعف! هذه هي الصفة المشتركة بين ساحر النور والقروي! على الرغم من امتلاك ساحر النور لقوى خارقة لا يتميز بها البشر إلا أنه ضعيفًا كالقروي الفقير الذي يقف أمام أهل المدينة خائفًا مسلوب القوة والإرادة!

سألته بصوتٍ مبحوحٍ:

- ما الذي تتحدث عنه؟ أنت قاتل بحق الإله!

سألني بتجهم:

- وماذا عن الملك السابق ونائبه؟ ألا تعتبرينهما قتلة مثلي؟

قلت أتوسله:

- أنس. اسمعني جيدًا. إن علم أحدهم بأمرك سيقتلونك على الفور. سيأمر مراد بسجنك وقتلك ليس لأنك من سحرة النور بل لأنك قتلت عائلته.

أنا لن أستطيع العيش في هذه الحياة بدونك!

- ولماذا ستعيشين فيها بدوني؟ هل تظنين أن ساحر النور الذي أحببته سيتمكن من هزيمتي؟ أنتِ لا تعرفين شيئًا عني! بالمناسبة، أين هو؟ هل تعرفين مكانه؟

جلست على الكرسي ونظرت خارج النافذة إلى السماء.

للمرة الأولى في حياتي أشعر بالعجز. ماذا سيحدث الآن؟ ما الذي سيفعله مراد عندما يعلم أن قاتل عائلته هو شقيقي.

سألته بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- أنت تسألني عن مكان مراد. هل هذا يعني أنك لم تقتله؟

ابتسم وأجابني:

- أنتِ لا تفهمين شيئًا.

نهضت وقلت له بعصبية:

- إذن لماذا لا تجعلني أفهم سبب قتلك لهم وممارستك للسحر الأسود؟

ساد الصمت قليلًا قبل أن يقول:

- كنت في السادسة من عمري عندما اكتشفت أنني مختلفًا عنكِ وعن بقية الأطفال. أخبرت والدكِ بهذا الأمر فحكى لي كل شيء. كانا أبي وأمي من سحرة النور يعيشون بالقرية حياة هادئة في مملكة ظالمة. عندما علم نائب الملك بأمرهما أمر بقتلهما على الفور وقتل طفلهما الرضيع.

اتجه أبي إلى نائب الملك وضحى بحياته كي تهرب والدتي وصديقهما الذي حملني طوال الطريق، ولكن نائب الملك كان أسرع منهما فأمسك بوالدتي وقتلها بوحشية.
نظر إلي واستطرد:

- ذهب ذلك الصديق إلى والدكِ وأخبره بكل شيء. تفهّم والدكِ الموقف وحزن لموت صديقيه ثم أقسم على حمايتي وتربيتي كابنٍ له. لم يكن قد رُزق بكِ وقتها. فرحت والدتكِ كثيرًا فهي كانت تعتقد أنها لن تنجب أبدًا، ولكن القدر أثبت لها العكس عندما حملت بكِ. لم أشعر أبدًا أنني غريب بينكم. عندما بلغت السادسة وبدأت في اكتشاف قواي أخبرني والدكِ كل شيء، ولكنه جعلني أقسم أنني لن أخبر أحدًا أنني لست ابنه أو أنني من سحرة النور. زرع والدكِ في قلبي عن غير قصد كره أهل المدينة والملك ونائبه عندما حكى لي ما فعلوه لسحرة النور طوال الأعوام الماضية.

صمت قليلًا ثم استطرد قائلًا:

- كنت أتألم عندما أرى الأطفال يموتون بسبب الأمراض ولا أحد يهتم. تألمت كثيرًا عندما عثرنا على الجثة الملقاة بجانب القمامة. هذه المملكة ترانا عبئًا لا بد التخلص منه. إنهم لا يقتلوننا مباشرةً ولكنهم يتركونا للفقر والمرض والجوع لينهشوا في أجسادنا! كنت ساخطًا طوال الوقت حزينًا أشعر بالبؤس. مات والدكِ فشعرت أنني وحيدًا. لم يهتم أهل المدينة بموت والدي. لم يهتم أحد سوانا مما أصابني بالحنق، حتى أتى ذلك اليوم الذي عثر فيه عليَّ!

جلس على الكرسي الذي اعتاد مراد الجلوس عليه واستأنف كلامه:

- كنت أقف على شاطيء البحيرة أتذكر مقتل والدكِ عندما حدثني الصوت. صوتًا مخيفًا بعيدًا قادمًا من مملكة الجحيم. أخبرني أنني أستطيع تخليص العالم من شر النبلاء وأهل المدينة الملكية. كنت خائفًا في البداية، ثم أدركت أن سيدي، النكرومانسر، هو المُخلِّص. طلب مني أن أعثر على كنان الذي يملك عصا

الظلام التي تملك قوى سحرة النور بداخلها. ما أراده النكرومانسر مني ومن كنان هو فتح البوابة التي تسجنهم في باطن الأرض. إنه الخلاص يا لومينا.

إنه هو من سيقف الجميع أمامه سواسية فلا فرق بين ضعيف أو قوي، غني أو فقير،مريض أو معافى!

سكت قليلًا ثم أضاف:

- هل تعلمين أن تولين كان يرغب في فعل ما أفعله الآن؟ لقد عثر عليه النكرومانسر في الماضي وأهداه عصا الظلام الذي أعطاها إلى كنان ولكن الأخير أفسد كل شيء عندما تسبب حبه للأميرة بروفان وغيرته من تولين بفشل الخطة بأكملها! ثم مات تولين عندما وشى به كنان وماتت الأميرة بروفان ففقد المسكين رغبته بالحياة وعاش سكّيرًا في الحانات. أمرني النكرومانسر بالعثور عليه وتجنيده ثانيةً ففعلت! بعد انتهائي من العمل في محل الإسكافي توجهت إلى الحانة التي يتردد عليها كنان ثم نشأت بيننا صداقة قوية. كنا نجلس في حانةٍ في المدينة الملكية بعد انتهائنا من عملنا فاحتسى المسكين الكثير من الخمر حتى ثمل تمامًا. بدأ يتحدث عن أشياء غريبة لم أفهمها في البداية ولكنني انتبهت إلى شيء ما قاله غيَّر كل شيء. لقد تحدث عن عصا كان يملكها صديقٍ له في الماضي تجعله يفعل أشياءً لا يستطيع غيره فعلها، إلا شيئًا واحدًا وهو القدرة على تغيير الأحداث، فوحده ساحر النور هو من يقدر على ذلك! انتبهت لكلامه وسألته عن مكانها فأخبرني أنه يحتفظ بها في خزانته مع مذكراته. كنت أعلم أنه يريد العودة إلى الماضي كي يغير ما حدث لبروفان. لقد أراد البائس أن ينقذها من السقوط من أعلى البرج. أخبرت النكرومانسر فأمرني أن أعِدُ كنان أنه إن ساعدنا في فتح البوابة سيكافئه بتغيير الماضي وإنقاذ محبوبته من الموت وتخليص روحه من العذاب!

ساد الصمت بيننا ثقيلًا. قطعته بسؤالي:

- لماذا قتلتهم؟
- عندما أخبرتيني أنكِ ستعملين بالقصر الملكي شعرت بالقلق؛ سأمارس السحر الأسود في القصر كي أفتح البوابة التي يُصادف وجودها في المكتبة في بُعدٍ آخرٍ! أخبرني كنان أنه سيحاول إقناع الملك بطردكِ في أي وقت، ولكن مراد اعترض طريقه. لا أظنه الحب فقط هو من جعله يرغب باستمراركِ بالعمل في القصر بل كان هناك سببًا آخرًا وهو ماجعلني أتراجع عن كتابة اسمه في قائمة الذين أنوي قتلهم!

استغربت كلامه كثيرًا. سألته:

- وما هو ذلك السبب يا تُرى؟
- لقد كان يرغب بشدة في أن يثبت لكِ أنكِ مخطئة بشأنهم! لهذا السبب عدلت عن فكرة قتله بالإضافة إلى كون النكرومانسر يرغب في الحصول على كتاب السحر الأبيض ووحده مراد من يعرف طريقه.

ابتسمت بسخرية وقلت:

- ليس معه. لقد بحث عنه كثيرًا في الكهف ولكنه لم يعثر عليه أبدًا.
- سيعثر عليه. إنهم يعثرون عليه دائمًا!
- وماذا عن بيري؟ لماذا لم تقتلها؟
- لأنني أحتاجها. ستصبح ملكة مملكة بيورين بعد انتهائي من فتح البوابة إلى مملكة الجحيم. سيحتاجها النكرومانسر في إقناع الممالك الأخرى بالخضوع فهي الآن ملكة أقوى مملكة على الإطلاق!

سكت عن الكلام لوهلة ثم استطرد:

- استمريتِ في العمل في القصر ولكن فضولكِ دفعكِ إلى معرفة ما يحدث، بل أن فضولكِ هذا جذب وحشًا من مملكة الجحيم إليكِ! إنها تلتهم فضول الآخرين يا لومينا. كانت تجعلكِ ترين الحقائق والأحداث الماضية دون حتى الاستعانة

بعصا الظلام أو قوى سحرة النور. إنها تختار فرائسها من البشر بعنايةٍ. لكنتِ ميتة الآن لولا أنني أنقذتكِ من الغرق في تلك الليلة. لقد قتلتها وجازفت بغضب أهلها في مملكة الجحيم، ولكن النكرومانسر أقنعهم بالصمت! أخبرت النكرومانسر أن تلك الفتاة المخيفة ستجعلكِ تتوصلين إلى الحقيقة ولكنه لم يكترث. أخبرني أنه لا بد أن تعرفين يومًا ما. لولا بقائكِ في القصر لما قتلت شخصًا كان سيلحق الأذى بكِ.

تفاجأت بكلامه فأكمل موضحًا:

- لقد كانت ترغب الملكة في قتلكِ كي لا يتشتت انتباه مراد عن المصير الذي أرادته له. كانت الحمقاء ستستخدمه في التحكم في الممالك الأخرى. كانت ترغب في أن تحكم العالم معه!
- وماذا عن السيدة ليلى؟
- السيدة ليلى يا عزيزتي رغبت في صعود حفيدها الأحمق على العرش ووالده لا يزال على قيد الحياة! بغض النظر عن كل شيء، فهو لا يصلح للولاية أبدًا! عَلِمْتُ أن بيري ترغب في إطاحته لتتولى هي السلطة فأرحتها من المحاولة وقتلته وانتحلت شخصيته كي أتجول بحريةٍ في القصر خصوصًا بعد سجن مراد لكنان مما جعل التواصل معه مستحيلًا. لقد كنت أستدعي كنان بالخيوط السوداء على السقف فكان يحضر إلى المكتبة لنمارس معًا طقوس السحر الأسود لنفتح البوابة، ولكن بسجنه لم يعد هذا ممكنًا. وعندما تعلمين لماذا قتلت ابن نائب الملك فستكونين ممتنة لأنه أراد قتل مراد كي تصعد زوجته...

قاطعته بسؤالي:

- هل هذا يعني أن الطفل بداخل نور هو لك؟

تعالت ضحكاته مما أثار غيظي. قال:

- لقد قتلت داني وانتحلت شخصيته في ذلك اليوم الذي أشعلت فيه النيران في الميناء الملكي! لم أرغب في قدوم أحد من مملكة بيورين إلى هنا كي لا يكتشفوا أمري، ولكن عثورهم على الجثة مبكرًا هو ما فضحني!
- هذا معناه أن الطفل ليس لك. ولكن لماذا قتلت الملك ونائبه؟
- ولماذا لا أقتلهما؟ لقد ابتُلينا بهذين الأحمقين اللذين لا يعرفان شيئًا عن إدارة المملكة! كان لا بد من قتلهما لكي يصعد مراد على العرش. كان لا بد من قتل السيدة ليلى كي تتمكن بيري من تولي السلطة وإلا لكانت وقفت في طريقها فهي أقوى وأغنى منهم جميعًا! كان لا بد من قتلهم جميعًا كي تصعد دمائهم إلى القمر الدموي كي يتمكن سيدي النكرومانسر وجيشه من العبور وتحقيق العدل والمساواة!

رغبة بداخلي ألحت عليَّ أن أصفعه على وجهه لعله يفيق من هذا الجنون ويعود إلى رشده، ولكنني تذكرت أن الأوان قد فات على تصحيح الأمور.

دفنت رأسي بين يديَّ ثم بكيت وبكيت حتى تعالت أصوات بكائي! نهض من على المقعد وتقدم مني ووقف بجانبي يربت على كتفي وهو يقول:

- إن كنت مكانكِ لشعرت مثلكِ، ولكنكِ ستعتادين الأمر. أعدكِ بهذا.

رفعت نظري إليه بغلٍ ثم وقفت فأصبحت المسافة بيننا قليلة.

قلت له بعصبية:

- سأعتاد على ماذا بحق الإله؟ سأعتاد على أن الشخص الوحيد الذي كنت أعتبره والدي وليس مجرد شقيقًا لي هو قاتل مخبول ممارس للسحر الأسود؟ سأعتاد على أن هذا الشقيق جن جنونه ويظن أن السحر الأسود والنكرومانسر هما الخلاص لهذه المملكة البائسة؟ هل تعتقد حقًا أن النكرومانسر سيفي بوعده لك ولكنان؟ هل حقًا أنت غبي إلى هذه الدرجة كي تظن أن هناك مستحضرًا للأرواح يفي بوعده!

لم يعجبه كلامي بالفعل لأنه همَّ بالرحيل ولكنني أمسكت ذراعه بقوة وقلت:

- إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟

- لا تعطليني أكثر من هذا. لقد تأخرت على كنان! اتركي يدي الآن.

سألته بحنق تسبب في ارتفاع صوتي كثيرًا:

- لماذا سأتركك؟

انفجر في قائلًا:

- ستتركينني لأنني لم أعد أحتمل موت طفل آخر وأطفالهم ينعمون بالصحة والدفء بينما أطفالنا يموتون جوعى ومرضى! ستتركينني لأنني كرهت تلك النظرة البغيضة التي ينظرون بها إلينا وكأننا طفيليين نتغذى عليهم! ستتركينني لأنني سئمت رائحة القرية التنة التي جعلتهم يضعون أياديهم على أنوفهم كي لا تزعجهم رائحتنا! ستتركينني لأنني سئمت ذهابنا إلى حروبهم بالنيابة عنهم! ستتركينني لأن الفرسان القرويون يعودون من معاركهم جرحى خاسرين لجزء من أجزاء أجسادهم ولكن النبلاء يحتمون في مدينتهم الفاضلة بعيدًا عن الدماء! ستتركينني لأنكِ وقعتِ في غرام واحد منهم!

تركت يده على الفور ونظرت إليه باندهاش. لقد فقد عقله تمامًا! قلت بحزن ووهن:

- لقد أعمى الكره قلبك!

- هذا لا يهم الآن، سأذهب وأكمل ما بدأته ولكنكِ ستبتعدين عن طريقي فأنا لا أريد تشتيتًا من أي نوع!

تركني ورحل.

إما سأفقد الوعي الآن أو سأتسبب في قتل نفسي لكي أرتاح من هذا الكابوس. شعرت أن الغرفة تضيق من حولي وتضغط عليَّ وكأنها تريد عصري وخنقي! لم أعد أحتمل أي شيء.

عشت حياة بائسة بعد وفاة والدي ولكنني كنت ممتنة لشقيقي الذي هوَّن عليَّ الأمر.

والآن الحياة لا تزال تثير دهشتي باعتراف أنس لي بأنه القاتل! الكون كله يدور من حولي. أرغب في استنشاق الهواء لذا صعدت أعلى البرج وجلست على الأرض ونظرت إلى السماء ودموعي منهمرة على وجنتيَّ.

كنت أتوسل الإله كي يقبض روحي الآن! تذكرت الطفل الصغير الذي كان يمثل لي الشقيق والصديق وكل شيء.

كان أنس يمثل لي العالم بأجمعه، ولكنني لا أستطيع التعرف عليه بعد الآن.

تذكرت أوقات اللعب مع شقيقي بجانب الكهف عند البحيرة، ثم تذكرت تلك الليالي الكئيبة التي كنت أبكي فيها حزنًا وشوقًا لوالدي بينما أنس يربت على كتفي ويحتضنني لتزول آلامي على الفور! أعلم جيدًا أن مصيره إما الموت أو السجن مدى الحياة.

هل سيكرهني مراد عندما يعلم أن شقيقي هو من قتل عائلته؟ تساؤلات كثيرة بداخلي ولكنني عاجزة عن إيجاد إجابات لها.

## ٢٨

استغرق الأمر من مراد بضعة ثوانٍ حتى خرج من الثقب الأسود. وجد نفسه على شاطيءٍ تكسوه الرمال البيضاء والكثير من الأشجار المتراصة بجانب بعضها البعض في منظرٍ بديع.

نظر خلفه للبحر الأزرق ذو الأمواج الهادئة وابتسم لهذا المشهد الذي لم يرَه في أية مملكة من قبل! لاحظ أن هناك فتى وفتاة ينظران إليه بخوف. أشارت الفتاة بإصبعها إليه وقالت بحذرٍ:

- أنت لست من هنا!

ابتسم مراد وأومأ قائلًا:

- هذا صحيح. أنا من مملكة الشمال.

سأل الفتى:

- لماذا يرتدي ملابس غريبة؟

يبدو أن الطفلان شاهدا مراد وهو يخرج من الثقب الأسود ففهما على الفور أنه ليس من هذه المملكة.

تقدم مراد ببطءٍ منهما ولكن الطفلان تراجعا في خوفٍ إلى الخلف.

قال مراد بهدوء محاولًا أن يبدو مسالمًا لأقصى درجة:

- لا داعي للخوف. أدعى مراد، وأنتما؟

ضيَّق الفتى عينيه وقال للفتاة:

- يجب أن نخبر ساحر النور الأعظم.

سأل مراد:

- هل تعرف مكانه؟

سألته الفتاة:

- لماذا تريد أن تعرف مكانه؟

انحنى مراد فأصبح في مستوى نظرهما وقال بابتسامةٍ ودودة:

- اسمعاني جيدًا. هناك أطفال في مثل أعماركم في مملكتي. أحب أن ألعب معهم كثيرًا، ولكن هل تعرفون ما يحزنني؟

أومأ الطفلان بالنفي، فاستطرد مراد:

- ما يحزنني هو أن هناك وحشًا شريرًا يريد تدمير مملكتي فلن أستطيع أن ألعب مع أصدقائي الصغار إن انتصر.

قالت الفتاة:

- هذا سيء للغاية. إذن، ما الذي تريده كي تنقذ أولئك الأطفال؟

ابتسم مراد بحماس وأجابها:

- أريد مقابلة ساحر النور الأعظم.

فكر الفتى قليلًا ثم نظر إلى الفتاة وقال:

- حسنًا. سنصطحبك إليه.

سار الفتى والفتاة معًا باتجاه الأشجار فتبعهما مراد بحماس.

مشوا جميعًا فوق جسر مصنوع من الألماس يصل بين الشاطيء وبوابة مملكة ليموريا الضخمة المصنوعة من الذهب! بمجرد أن وقعت عينا مراد على المشهد أمامه وقع في حب المملكة الجميلة النظيفة التي لم يرَ لها مثيلًا من قبل. لم تكن منازل سحرة النور مثل منازل النبلاء المصنوعة من الطوب الأبيض ولا كأخواخ القرويين المصنوعة من الأخشاب.

كانت منازل سحرة النور مصنوعة من الذهب وبها شلالات مياه تصب في حفرة كبيرة للغاية أسفلها! وصل مراد إلى نهاية الجسر ونظر إلى الأسفل فرأى نورًا قويًا للغاية يشع منها.

رفع نظره إلى المنازل المصنوعة من الذهب أمامه وتأمل المشهد الرائع.

لاحظت الفتاة اندهاشه وإعجابه بما يراه فقالت بفخرٍ:

- منازلنا عائمة فوق حفرة الخلود. إنها مصدر قوتنا وهي السبب في أن منازلنا تطفو فوقها دون أن تسقط!

ابتسم مراد دون أن ينطق بحرف.

خرجوا جميعًا من البوابة ومشوا فوق جسرًا آخرًا يصل البوابة بأحد المنازل الضخمة ثم توقف الطفلان فجأة واستدارا.

قالت الفتاة:

- هذا هو منزل ساحر النور الأعظم. اصعد درجات السلم وانتظر!

سأل مراد باستغراب:

- أنتظر ماذا؟

قال الفتى:

- هل تريد رؤية ساحر النور الأعظم أم ماذا؟

استغرب مراد من طريقة الفتى العدائية ومع ذلك ابتسم لهما وقال:

- أنا ممتن للغاية لمساعدتكما.

لم ينطق الطفلان بحرفٍ آخرٍ. استدارا باتجاه البوابة فشاهدهما مراد وهما يسيران فوق الجسر ثم اختفا خلف الأشجار.

نظر مراد أمامه إلى درجات السلم المصنوعة من الذهب ثم أخذ أولى خطواته في الصعود. بمجرد أن وطأت قدميه أولى درجات السلم تحرك المنزل بدرجاته وبدأ يرتفع ويدور في السماء.

كادت قدم مراد أن تنزلق ولكن شخصًا من خلفه أمسك به وقال بصوتٍ أجش:

- ما الذي تفعله هنا يا ساحر النور؟

نظر مراد إلى مصدر الصوت فتفاجأ بالشاب الذي رآه في متاهة الزمن. سأله مراد:

- ألا تتذكرني؟ أنت من أرسلني إلى هنا!

قطب الشاب جبينه وسأله بحذر:

- أرسلتك إلى هنا؟ متى؟

- لقد كنا معًا في متاهة الزمن ثم أخبرتني أنه يجب عليَّ أن أبحث في الماضي عن الإجابات!

مدّ الشاب يده إلى مراد وقال له:

- فلنصعد معًا إلى المنزل.

أمسك مراد بيده ثم نهض. كان مراد يشعر بالغثيان بسبب دوران المنزل حول نفسه. سأل مراد متوسلًا:

- هل سيظل المنزل يدور حول نفسه هكذا؟ أنا على وشك أن أتقيأ جميع ما تناولته في حياتي بأكملها!

- لن تشعر بدورانه وأنت بداخله!

انفتحت أبواب المنزل على مصراعيها بمجرد أن وقف الشاب أمامها فصعد مراد الدرج بصعوبةٍ ثم دخل خلف الشاب فانغلقت الأبواب بسرعة! كان الشاب يقول الحقيقة عندما أخبره أنه لن يشعر بدوران المنزل وهو بداخله لأن مراد لم يعد يشعر بالغثيان بل كان يشعر بالحيوية والسعادة مما أثار استغرابه كثيرًا.

يبدو أن الشاب قرأ أفكاره لأنه قال له:

- ما تشعر به الآن مصدره حفرة الخلود التي يدور المنزل فوقها.

إنها مصدر قوتنا وقوتك بالطبع!

كان مراد يشعر بالانبهار من كل شيء يراه حوله؛ سقف المنزل وجدرانه مزدانة بالرخام الأبيض ولكن أرضيته مزدانة بالرخام الأزرق.

لاحظ مراد أشياء غريبة أسفله مرسومة على الرخام الأزرق؛ هناك دائرة كبيرة لونها أسود يدور الضوء الأزرق حولها وأخرى لونها أبيض تدور حول محورها، وهناك نقاط صغيرة بيضاء اللون تشبه النجوم في السماء، وهناك شيء كروي به ألوان متعددة كالأزرق والأخضر ويقف بعيدًا عنه جسم كروي أصغر منه لونه رمادي به بعض الدوائر السوداء الباهتة وجميعهم يدورون حول محورهم.

نظر مراد بانبهارٍ وإعجابٍ لهذه اللوحة الفنية وسأل بحماس:

- ما هذا بالضبط؟

تحدث الشاب بهدوء:

- الجسم الكروي الأزرق هناك يسمى بالكوكب! إنه حيث نعيش جميعًا. الدوائر السوداء بالطبع هي الثقوب السوداء الموجودة في الكون والتي منها ننتقل بين الأزمنة والأمكنة. النقاط البيضاء هي النجوم المتلألئة في السماء. أما ذلك الجسم الكروي الصغير ذات اللون الرمادي هو ما نسميه بالقمر!
- وماذا عن الدائرة البيضاء هناك؟ هل هي متاهة الزمن؟

اتجه الشاب إلى حوض مستطيل تملؤه المياه التي تحتوي في أعماقها على أشياء تلمع ثم جلس على حافة الحوض وسأل مراد بترقب:

- ما الذي تعرفه عن متاهة الزمن؟
- في الواقع، أنت من يفترض أن تجيب على هذا السؤال فأنا لم أعرف عنها شيئًا قبل أن تقودني إليها!
- هل تقول أنني كنت أقف معك في متاهة الزمن وأخبرتك أن تبحث في الماضي عن الإجابات؟
- هذا بالضبط ما حدث.

نهض واستدار لينظر إلى الأشياء اللامعة في الحوض الكبير ثم قال:

- لا أحد يعرف شيئًا عن متاهة الزمن.

سأله مراد:

- ولكنك تعرفها، أليس كذلك؟

نظر إليه الشاب طويلًا ثم سأل:

- ما نوع الإجابات التي تبحث عنها في مملكة ليموريا؟
- أرغب في العثور على كتاب السحر الأبيض كي أبحث فيه عن طريقةٍ لهزيمة النكرومانسر!

اتسعت عينا الشاب خوفًا ودهشةً مما سمعه.

اقترب من مراد وقال بصرامة:

- اسمعني جيدًا يا ساحر النور القادم من المستقبل! كتاب السحر الأبيض هو أخطر كتاب موجود على هذا الكوكب!

عقد مراد حاجبيه استغرابًا. سأله بتهكم:

- أخطر كتاب على هذا الكوكب؟ ألا يفترض للسحر الأبيض ألا يكون خطيرًا؟ ظننت أن مهمته هي التصدي للسحر الأسود!

اقترب الشاب منه كثيرًا وقال بتجهم:

- لا تسخر مني يا ساحر النور. أنا أعرف ما أتحدث عنه بالضبط.

شعر مراد أنه يضيِّع الوقت في التحدث مع هذا الشاب الذي يبدو أنه نسى أنه الذي أمره بالسفر عبر الزمن إلى مملكة ليموريا.

قال له مراد بنفاد صبر:

- أتوسل إليك. لا يوجد لديَّ وقت لهذا الحديث عن مدى خطورة السحر الأبيض! هناك حرب قادمة لمملكتي وأنا لا أريد الهلاك لأهلها.

- إذن، ما الذي تريده بالضبط؟

- أريد مقابلة ساحر النور الأعظم.

استغرب الشاب فسأل بابتسامةٍ سمجةٍ:

- وما الذي يجعلك تظن أنك لا تتحدث إليه الآن؟

استغرب مراد من سؤال الشاب. سأله بدوره:

- لقد ظننت أن الرجل العجوز ذو العباءة البيضاء هو ساحر النور الأعظم!

سأله الشاب بحيرةٍ:

- العجوز ذو العباءة البيضاء؟ لقد أتاني حلمًا كان فيه عجوز يرتدي عباءة بيضاء اللون.

- ماذا حدث في الحلم؟

- كان يحذرني من شيء لا أفهمه.

فهم مراد أن الرجل العجوز كان يحذر الشاب من الحرب التي ستدمر مملكة ليموريا، ولكنه لم يرغب في إخباره بهذا الأمر بالطبع.

عاد مراد يتوسله:

- إن كنت ساحر النور الأعظم، فلا بد أنك أرسلتني إلى هنا لأجل شيء ما يساعدني في إنقاذ مملكتي من الدمار.

- أنا لم أرسل أحدًا!

قال له مراد بنفاد صبر:

- أقصد أنك سترسلني يومًا ما إلى هنا. لماذا لا نسافر معًا إلى تلك اللحظة لترى بنفسك كي يطمأن قلبك؟

اتجه الشاب إلى الباب وفتحه ثم بإشارةٍ من يده توقف المنزل عن الدوران وعاد إلى مكانه الطبيعي.

سمع مراد صوت فتى وفتاة يضحكان في الخارج. دخلا الطفلان اللذان ساعدا مراد على الوصول إلى هنا وهما ينظران إليه.

قال الشاب:

- هذا هو ابني باسل، وهذه هي ابنتي ريناد. لقد أخبراني أنكم تقابلتم منذ قليل.

أومأ مراد بالإيجاب دون أن ينطق.

تعلقت الفتاة برقبة أبيها واحتضنته بحب في حين ركض الولد إلى الحوض الكبير ونظر إلى المياه بانبهار وقال:

- لقد وُلد نجمًا جديدًا يا أبي!

اتسعت عين الفتاة والشاب دهشةً ثم اقتربا إلى حيث كان يقف الولد ونظرا بانبهارٍ إلى الأشياء المتلألئة في قاع الحوض.

قالت الفتاة لأبيها:

- إنها المرة الأولى التي أشاهد فيها ولادة نجم!

نظر إليها الشاب وقال بحنانٍ:

- أعدكِ أنها لن تكون الأخيرة أبدًا!

- سمعتك مرة تقول أن هذه النجوم تملك قوى عظيمة لمن يستطيع فهمها، أليس كذلك يا أبي؟

ابتسم إليها الشاب ولم يعلِّق.

شعر مراد بالحزن لأن أولئك الأشخاص سيُحرمون من هذه اللحظة الساحرة. ستتدمر مملكتهم مما سيضطرهم إلى التجول في جميع الممالك مشردين بلا وطن.

أدرك مراد أن عدم معرفة ما سيحدث في المستقبل هي نعمة يجهلها الكثيرون!

تقدم الشاب من مراد وقال بطريقةٍ ودودة أكثر من ذي قبل:

- ما يشغل بالي هو رفاهية شعب مملكتي، والأهم من هذا كله هو طفليَّ الصغيرين.

ابتسم له مراد بحزنٍ، فسأله الشاب:

- هناك ما يثقل كاهلك يا ساحر النور. فلتكشف عنه الآن.

قال مراد بتردد:

- فقط... لماذا لا ترى أننا متشابهان كثيرًا؟ من الواضح أنك تحكم هذه المملكة بطريقةٍ أو بأخرى ولديك طفلين تريد حمايتهما، وأنا مثلك عندي مملكة ورعية مسؤولون مني ولدي عائلة أريد حمايتها، ولكن ما يحيرني هو أنك لا ترغب في مساعدتي لأحقق ما تحاول جاهدًا لتحقيقه!

شعر الطفلان بجوٍ من التوتر في الحديث الذي يدور بين مراد وبين والدهما، لذا اقتربت الفتاة من والدها وأمسكت بطرف سرواله تلتمس منه الأمان!

عاد مراد يقول:

- ما الذي ستفعله إن كنت مكاني؟ إن كان هناك خطرًا يهدد أمن مملكتك وأمن طفليك، فهل ستقف ساكنًا بلا حراك؟

لم ينطق الشاب.

أضاف مراد:

- أريدك فقط أن تتخيل أن هذه الفتاة الرائعة في خطر! أريدك أن تتخيل أن هذا الحوض الجميل لن يكون له وجود بسبب حرب ستدمر كل شيء!

قال الشاب:

- لا ينبغي أن نغير الأحداث الماضية أو المستقبلية؛ فهناك دائمًا ثمنًا في المقابل إن حاولنا تغييرها! أنت ترغب في إقناعي بإعطائك كتاب السحر الأبيض، ولكنك أتيت متأخرًا كثيرًا لأنني دمرته بالفعل!

وقع كلام الشاب على أذني مراد كالصاعقة! سأله مراد بقلق:

- دمرته؟ ولكن... إن كنت دمرته فلماذا أرسلتني إلى هنا في المقام الأول؟

فُتح باب المنزل ثم قال الشاب وهو يتجه إليه:

- الماضي والحاضر والمستقبل هم أمور حتمية لا بد من حدوثها كما هي دون التلاعب بأحداثها أو تغييرها وإلا وقعت الكوارث، لذا تذكر دائمًا أن ثمن التلاعب بالمسار الزمني هو الدم! أتمنى أن تجد الإجابات التي تبحث عنها في مكان آخر فلا يوجد شيء لك هنا!

نظر مراد إلى الشاب بخيبة أمل ثم نظر إلى الطفلين وابتسم لهما رغم شعوره بالحزن. خرج من المنزل فتبعه الشاب.

قال له مراد:

- أعلم أنك دمرت كتاب السحر الأبيض ليس لأنه أخطر كتاب على وجه الأرض كما ادعيت، بل لأنك اكتشفت أسراره ولا تريد مشاركتها مع أحدٍ سواك!

قال الشاب بارتباك:

- أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه!
- حقًا؟ إذن، لماذا أنت أقوى ساحر نور على الإطلاق؟ أنا لا أذكر أنه كان هناك ساحرًا يسمى بساحر النور الأعظم سواك، وهذا معناه أنك الفريد من نوعه، ولكن لماذا؟

يبدو أن كلام مراد استفزه لأن الشاب قال بحدة:

- لأنني وحدي من تمكنت من النزول إلى حفرة الخلود!
- وكيف عرفت طريقة دخولها برأيك؟
- من الأفضل أن تذهب الآن كي لا يفوتك العرض الدموي في مملكتك!

لم يعلِّق مراد على كلامه المهين فاكتفى بابتسامةٍ حزينة، ولكنها تحولت إلى ابتسامة ودودة عندما قدمت الفتاة الصغيرة ومدت يدها لمراد تعطيه قلادة بها كرة زجاجية صغيرة بها مياه وشيء يلمع لونه أبيض يسبح بداخلها.

قالت له بابتسامة:

- سررت بالتعرف عليك يا ساحر النور.

فلتقبل هذه الهدية مني لتتذكرني عندما تعود إلى مملكة الشمال.

ابتسم مراد إلى الفتاة الصغيرة وأمسك بيدها ووضع قبلة فوقها وقال:

- لن أنساكِ أبدًا يا مليكتي!

وضع القلادة في جيب سرواله ثم هبط الدرجات المصنوعة من الذهب وهو يشعر بالهزيمة والاستسلام واليأس.

قبل أن يصنع ثقبًا أسودًا قال الشاب من خلفه:

- استخدم متاهة الزمن لسجن أعدائك يا ساحر النور.

خصوصًا أولئك الأقوى منك!

استدار مراد وهو ينظر إليه بعدم فهم، ثم قال:

- ولكنني لا أعرف طريقة الدخول إليها!

- إن كنت سافرت إليك فعلًا إلى المستقبل فستعرف حتمًا كيف أدخلتك فيها!

أغلق الشاب باب منزله في وجه مراد الذي كان يحاول تذكر كيف أحضره ساحر النور الأعظم إلى متاهة الزمن.

صنع ثقبًا أسودًا وقبل أن يدخل فيه نظر إلى المكان الجميل من حوله وهو يتألم لأن مصيره سيكون قاع البحر الأزرق عندما يُغرقه الساحر الأسود.

شعر بغصةٍ في قلبه عندما تخيل الفتاة الصغيرة وهي خائفة أثناء الحرب بين الساحر الأسود وجيشه وبين مملكة ليموريا. دخل في الثقب أخيرًا وخرج منه بعد دقيقتين ليجد نفسه غارقًا في ظلامٍ تامٍ في مملكة الشمال.

# ٢٩

يحتاج أنس إلى صديقه كنان كي يبدآ الاثنان في تأدية الطقوس لفتح البوابة. بعد انتهاءه من الحديث مع شقيقته، ذهب أنس إلى الغرفة المخصصة لداني ونزع وجه الأخير وجسده عنه كأنه ينزع ملابسه! ارتدى العباءة السوداء التي لطالما شاهدته لومينا يرتديها ووضع غطاءها فوق رأسه ثم فتح ثقبًا أسودًا إلى السجون أسفل القصر وخرج منه فاستقبله صديقه بابتسامةٍ على وجهه وهو يقول:

- لماذا تأخرت يا صديقي؟

كان أنس منشغلًا بالحارس الذي وقف ينظر إليه برعبٍ واستغرابٍ واضعًا يده اليمنى على غمده استعدادًا لاستلال سيفه في أي لحظة.

سار أنس ببطءٍ إلى باب الزنزانة وابتسم للحارس وهو يقول:

- إن كنت مكانك فلن أفعل يا صديقي!

قبل أن يستل الحارس سيفه من غمده كان أنس قد أطلق كرة من النيران البيضاء التي عبرت من خلال صدر الحارس الذي وقف مشدوهًا غير مستوعبٍ لما حدث له. سقط جسده على الأرض وعينيه مفتوحتان عن آخرهما في رعبٍ واندهاش. بمجرد أن سقط الحارس على الأرض تعالت الهمسات من الزنازين الأخرى يتسائلون عما حدث له.

فتح أنس ثقبًا أسودًا دخل فيه مع كنان وخرجا منه ليجدا نفسيهما في المكتبة.

سأل أنس:

- أين عصا الظلام؟

أجابه كنان وعلى وجهه ابتسامة خبيثة:

- عندما علمت أن ذات الشعر الأسود كشفت للومينا ما حدث بالضبط لبروفان شعرت باقتراب الخطر لذا خبأتها بجانب النافورة!

- سأحضرها الآن.

دقيقة واحدة بداخل الثقب الأسود ثم عاد أنس إلى كنان ومعه عصا الظلام. أخذها كنان واستعد مع صديقه لفتح الثقب الأسود المؤدي إلى المعبر الأحمر الذي من خلاله سيتمكنان من ممارسة الطقوس كي يفتحا البوابة.

وجَّه كنان عصا الظلام ناحية المكتبة فاختفت وانفتح الثقب الأسود ومن داخله ظهر المعبر الأحمر المؤدي إلى بوابة مملكة الجحيم.

سارا الاثنان داخل الممر الأحمر في صمتٍ وحماس.

كانا يسيران إلى الأسفل بسبب انحدار الممر وميله بشكلٍ كبير.

كلما اقتربا من بوابة مملكة الجحيم شعرا بزيادة الحرارة.

كان الأمر سهلًا على أنس ولكن كنان لم يحتمل فتوقف فجأة وأخبر صديقه أنه لن يتمكن من الاستمرار وسينتظره هنا فاستكمل أنس طريقه إلى الأسفل.

وصل أخيرًا إلى نهاية الممر حيث كانت بوابة ضخمة تسد الطريق مكتوب عليها "مملكة الجحيم."

نظر أنس أمامه مبتسمًا ثم نزع عنه العباءة السوداء فأصبح عاري الجزع.

بدأت الخطوط السوداء المرسومة على جسده تتحرك خارج جسده إلى الأمام باتجاه البوابة فاندمجت معها وسارت فوقها حتى وصلت إلى ثقب الباب الذي يدخل فيه المفتاح ودخلت بدلًا منه. وقف أنس ينظر إلى البوابة وهي تُفتح وإلى الكائنات المخيفة والوحوش التي خرجت منها تجري وتطير في الممر الأحمر مارةً بكنان الذي تملكه الخوف فور رؤيتهم. لم تبالِ كائنات الجحيم بكنان ومضوا في طريقهم إلى خارج الثقب الأسود حيث المكتبة، ما كان يميز هذه الكائنات هو اللون الأسود؛ شعورهم سوداء وملابسهم سوداء، كان بعضهم له بشرة متفحمة سوداء والبعض الآخر له بشرة شاحبة فاتحة اللون، كانت نيران المصابيح تتلاشى بعد عبور هذه الكائنات بجانبها أو فوقها.

وقف أنس أمام البوابة ينظر بسعادةٍ وفخرٍ إلى الوحوش وهي تندفع خارجها.
هذا هو ما تمناه طوال الأشهر الماضية. لقد كان ينتظر هذه اللحظة بالذات بفارغ الصبر.
"إنه يوم الحساب لمملكة الشمال." قال هذا الكلام لنفسه.
طوال الأشهر الماضية كان أنس يتدرب في المكتبة على فتح البوابة من خلال كتاب السحر الأسود. الطريقة الوحيدة لفتحها هي برسم الخيوط السوداء على ظهره وهي تعاويذ مكتوبة في كتاب السحر الأسود ثم دخولها في ثقب بوابة مملكة الجحيم لتفتحها.كانت عشرات من الكائنات المخيفة والوحوش تخرج من القصر الملكي متجهةً إلى منازل النبلاء.
كان سكان أهل المدينة غارقون في سباتٍ هاديءٍ عميق قبل أن يسمعوا أصواتًا مرعبة تشبه أصوات الرعد كثيرًا.
استيقظوا وخرجوا من منازلهم ينظرون إلى السماء ليتفاجؤوا بالمشهد المفزع. المدينة بأكملها غارقة في الظلام بينما السماء من فوقهم لونها أحمر كالدم. كانت الوحوش تحلق فوقهم كالطيور، ولكنها أسرع بكثيرٍ منها.
بدأت الوحوش تصدر أصواتًا مرعبة غير محتملة أبدًا مما أصاب الحيوانات والبشر معًا بالرعب وعدم السيطرة على أجسادهم التي كانت تتلوى من الألم.
توقف صوت الرعد ليحل محله أصوات الغربان التي كانت بانتظار الوليمة التي على وشك الحدوث. راحت الوحوش تطير فوق سكان المدينة الملكية المذعورين وتقذف عليهم نيرانها الحمراء التي كانت تحرق أجسادهم بلا رحمة وبلا تمييز بين كبير أو صغير! انتشرت صرخات الألم في الهواء ليسمعها جميع سكان المدينة والقرويين الذين وقفوا خارج بوابة المدينة الملكية يستمعون باستغراب ورعب للأصوات الصادرة من خلف السور العالي.
أكثر ما أخافهم أنهم لا يعرفون شكل التهديد الذي يجعل أهل المدينة يصرخون في ألمٍ بهذ الشكل.

وقفوا جميعًا بالخارج في انتظار استفسارٍ ما من أي شخص بالداخل، ولكن هذا لم يحدث!

اتسعت فجوة كبيرة للغاية في السماء يدور حول محورها هالة من الضوء الأزرق يصدر منها صوتًا مرعبًا أكثر من أصوات الوحوش والرعد والغربان مجتمعين! كان ما بداخل الفجوة أسود كئيب ومخيف.

ابتلعت الفجوة الجثث التي كانت تغوص في عمقها دون أن يراها سكان المدينة الواقفين فوق الأرض. أثارت أصوات الذعر والألم بداخل المدينة الملكية الرعب في نفوس القرويين الذين كانوا يستمعون إلى الأحداث بقلوبٍ نابضةٍ بالخوف!

قال واحدٌ منهم:

- رُحماك يا إلهي! ما الذي يحدث لهم؟

قال آخرٌ يبدو عليه عدم التأثر بأي شيءٍ يسمعه:

- أيًا كان ما يحدث بالداخل فهم يستحقونه.

قال الرجل الأول:

- يوجد أطفال بالداخل يا رجل. فليكن في قلبك بعض من الرحمة!

- وماذا عن أطفالنا الذين لقوا حتفهم بسبب إهمالهم وتجاهلهم؟

قالت امرأة مذعورة:

- أيًا كان ما يحدث بالداخل فهو ضخم ومخيف. نحن لسنا منيعين وأظن أن ما يحدث لهم سيطولنا في نهاية الأمر.

قالتها المرأة وجرت مسرعة إلى كوخها حيث جلست فوق فراشها واحتضنت طفلها الرضيع ووضعت فوقهما الغطاء تلتمس منه الحماية!

* * * *

كان الناس في الميناء الملكي يصرخون وهم يقفزون في البحر والنيران مشتعلة في أجسادهم، فمنهم من مات متأثرًا بالحروق ومنهم من غرق على الفور أسفل المياه التي أصبحت أمواجها ثائرة ومضطربة بشكلٍ مفاجيء.

كانت لومينا تشاهد المشهد من أعلى البرج وهي تشعر أنها عالقة في كابوس مرعب وسخيف. تسائلت عن مكان مراد واختفاءه بهذا الشكل المفاجيء. قالت لنفسها بصوتٍ عالٍ:

- لقد نجح أنس في فتح البوابة. ألا يخشى ما سيحدث لي ولوالدتنا؟ كيف يثق في تلك الكائنات الخبيثة؟

كانت المملكة مظلمة لا ينيرها إلا النيران التي تقذفها الوحوش وهي تحلق في السماء. لا يمكن أن تقف لومينا عاجزة هكذا دون فعل أي شيء، لذا قررت التحدث مع شقيقها.

هبطت الدرج إلى المكتبة حيث أدركت من محادثتهما الأخيرة أن البوابة سيتم فتحها من خلالها. أثناء اتجاهها إلى المكتبة كانت ترى جثث بعض الخدم والحراس وهي ملقية على الأرض محترقة منظرها يثير الهلع في القلوب.

تذكرت نور فشعرت بالرعب عندما تخيلتها كبقية الجثث فغيرت مسارها واتجهت إلى غرفة الخدم وهي تنادي على صديقتها ولكن الصرخات المنتشرة في كل مكان كانت هي من تجيبها.

أخذت الشمعة الموضوعة بجانب فراشها وأشعلتها ثم اتجهت إلى القاعة الملكية وهي تسأل كل من تراه عن صديقتها.

لم يكن هناك أحد يجيب فالكل مشغول بمحاربة الكائنات المخيفة أو الهروب منها.

وقفت لومينا في الحديقة الملكية وهي تشاهد الثقب الأسود في السماء الذي كان يبتلع الجثث وكأنه وحش أسطوري.

سألت لومينا نفسها:

- أين أنتِ يا نور؟

نظرت إلى المقابر التي لم يقترب منها أي كائن من الكائنات المتوحشة ففكرت أن تبحث عن صديقتها فيها لعلها اختبئت هناك.

جرت مسرعةً إلى المقابر وهي تمسك بالشمعة التي انطفأت شعلتها بسبب الهواء وظلت تنادي على صديقتها بأعلى صوت تمكنت حنجرتها من إخراجه.

توغلت أكثر في المقابر وهي تسبح في ظلامٍ تام.

شعرت لومينا بالرعب بسبب الظلام، ولكن أشد ما أثار هلعها هو صوت الكائنات المخيفة التي تحلق فوق القصر الملكي مع صوت صراخ الناس الذين يعيشون فيه.

توقفت لومينا عن الركض لكي تلتقط أنفاسها وعندما هدأت قليلًا بدأت تنادي بصوتٍ عالٍ على صديقتها، ولكنها يأست في العثور عليها وبدأت تبكي بصوتٍ عالٍ وكأن ما مرت به هين أمام فقدانها لصديقتها!

## ٣٠

خرج مراد من الثقب الأسود ليجد نفسه في المقابر كما كان منذ ساعات مضت ولكنها كانت غارقة في الظلام تمامًا، خرجت من يده كرة من النيران البيضاء وأنارت له الطريق أمامه.

كانت الكرة تتقدمه ولكنها توقفت عندما استدار مراد بعدما سمع صوت أنثوي من خلفه. سار مراد باتجاه مصدر الصوت فتقدمته الكرة النيرانية فأضاءت له الطريق أمامه.

كانت لومينا تبكي بصوتٍ عالٍ ولكنها توقفت عن البكاء عندما سمعت صوت خطوات أقدام من خلفها ثم رأت كرة من النيران البيضاء تتحرك أمامها ففزعت وتسارعت نبضات قلبها ولكن صوت مراد أطفأ نيران الخوف بداخلها عندما قال:

- هل هذه أنتِ؟

استدارت لومينا ونظرت إلى مراد وقالت وقد انفجرت في البكاء:

- لقد ظننت أنك ميت!

قال بقلقٍ واضح:

- سافرت إلى الماضي لمملكة ليموريا لأحصل على كتاب السحر الأبيض ولكنني فشلت. عندما خرجت من الثقب الأسود رأيت المقابر غارقة في الظلام وسمعت صراخًا قادمًا من القصر الملكي ولكنني تجاهلته عندما سمعت صوتكِ! ما الذي حدث هنا بالضبط يا لومينا؟

حكت لومينا كل شيء وهي تبكي بينما مراد يستمع إليها بذهول.

قال وهو يضع يده على جبينه:

- هذا يفسر ما شعرت به في تلك الليلة في حقل الذرة بجانب كوخكِ عندما أردت أن آخذكِ إلى القصر رُغمًا عنكِ!

سألته بصوتٍ واهن:

- وما الذي حدث بالضبط في مملكة ليموريا؟

أجابها بخيبةِ أمل:

- لم يحدث شيء! لم يرغب ساحر النور الأعظم في مساعدتي!

قطبت جبينها وسألته باستغراب:

- ولكنني ظننته رجل نبيل بعدما قرأت المخطوطات.

- المخطوطات كاذبة على ما يبدو! أنا حتى لا أصدق أنه من كتبها في المقام الأول!

- إذن من كتبها؟

أخرج من جيب سرواله القلادة التي أعطتها إياه الفتاة الصغيرة وقال وهو يضعها حول عنق لومينا:

- هذه هي ما حصلت عليه من مملكة ليموريا. مجرد نجمة تسبح بداخل كرة زجاجية صغيرة!

تأملتها لومينا بتعجب وهي تفكر في فائدتها. أضاف مراد:

- أظن أن الفتاة التي أعطتني هذه القلادة هي نفسها من كتبت تلك المخطوطات!
- أنا لا أفهم!
- إنها ابنة ساحر النور الأعظم. إنها طفلة ذكية للغاية وبها من الشجاعة ما لم أرَه في والدها!
- ولماذا ستكتب تلك الطفلة المخطوطات مستخدمةً اسم والدها؟

أجفل مراد عند سماعه إلى الصراخ القادم من خارج المقابر ثم أجابها:

- إنها تعلم أن والدها ليس كما يظنه الناس.

إنه شخص أناني يرغب في امتلاك القوة لنفسه وهو من تسبب في دمار مملكة ليموريا! بالضبط كما فعلت العائلة الملكية مع سحرة النور مما أدى إلى ظهور قاتل مثل شقيقكِ يرغب بالثأر! لهذا السبب أرادت ريناد أن تظل صورة والدها كما آلفها الناس حتى بعد وفاته.

سألته لومينا بقلق:

- ما الذي سنفعله الآن؟
- سأحارب شقيقكِ بالطبع!

اقتربت منه وقالت بقلق:

- ولكنك لست مستعدًا لمقابلته بعد! سيقتلك يا مراد!
- لن يقتلني قبل أن يعثر على كتاب السحر الأبيض.
- ولكنه ليس بحوزتك!
- إنه يظن أنني أعرف مكانه وأنني أخفيه في مكانٍ ما.
- ولكنه ليس معك. سيقتلك عندما يكتشف ذلك.

قال بنفاد صبر:

- وهل هناك سبيل آخر لإنهاء هذا الكابوس؟ أنا لا أعلم حتى إن كانت شقيقتي لا تزال على قيد الحياة أم لا!

ازدادت الصرخات القادمة من خارج المقابر فازداد مراد قلقًا وخوفًا على أهل المملكة فقال للومينا:

- لا أظن أن أنس سيهاجم القرية، لذا سآخذكِ إلى كوخكِ لكي تمكثي مع والدتكِ حتى تكوني بعيدة عن هذه الحرب!

تفاجأت لومينا بكلامه، فقالت باندهاش:

- ماذا؟ هل تتوقع مني أن أنتظر في القرية وأنت هنا تحارب أنس؟ بل هل تتوقع أن أترك نور وحدها؟ أنا سأبحث عن صديقتي وسأجدها حتى وإن كلفني الأمر حياتي!

تأكد مراد أن كلامه لن يقنعها ولن يفيد في شيء الآن فهي مُصرة على البقاء في القصر الملكي.

قال لها باستسلام:

- لا تنزعي هذه القلادة أبدًا. لا أدري لماذا أشعر أنها ستحميكي بطريقةٍ أو بأخرى!

- وماذا عنك؟

قال وهو يفتح الثقب الأسود ويستعد للدخول فيه معها:

- هيا بنا قبل فوات الأوان.

دخلا معًا الثقب الأسود ثم خرجا فوجدت لومينا نفسها في المكتبة. نظرت إلى الثقب الأسود الذي كان بداخله المعبر الأحمر الذي يؤدي إلى البوابة فشعرت باضطرابٍ في معدتها.

قالت له لومينا قبل أن ترحل للبحث عن صديقتها:

- توخِ الحذر رجاءً.

أومأ ثم قال:

- أعلم أن أنس لن يسمح لأحدٍ بإيذائكِ ولكنني أريدكِ أن تكوني حذرة على كل حال!

أومأت بالإيجاب ثم تركته واتجهت إلى القاعة الملكية كي تبحث عن صديقتها بينما مراد دخل الثقب الأسود وظل يسير باتجاه الأسفل حتى وصل إلى كنان الذي يبدو أنه فقد الوعي من شدة الحرارة. تركه مراد واستمر إلى حيث كان يقف أنس. كان جسد مراد يتوهج بالتدريج بالنيران البيضاء إلى جانب كرة من النار كانت يده تمسك بها وعلى استعداد لأن تُقذف ناحية أنس. يعلم مراد أن نيرانه لن تحرق أنس لأنه مثله من سحرة النور، ولكنها ستضرب به عرض الحائط مما يعطيه الأفضلية عليه قليلًا.

قال له مراد بصوتٍ أجش:

- أنس. توقف عن هذا الهراء الآن، فأنت لا تدرك خطورة ما تفعله!

تراجعت الخيوط السوداء التي كانت تفتح البوابة إلى مملكة الجحيم إلى ظهر أنس فعادت لطبيعتها وكأنها أوشام على جسده! انغلقت البوابة بعد انسحاب الخيوط فتوقفت الوحوش عن العبور.

استدار أنس وهو يقول بابتسامة ظافرة:

- ها هو ذا! وأنا من ظننت أنك لن تظهر أبدًا! يبدو أنني كنت مخطئًا بشأنك مجددًا!

- لمَ لا نذهب إلى مكانٍ مريحٍ أكثر من هنا كي نتحدث كرجلين ناضجين؟

ابتسم أنس ثم حرك يده اليمنى حركات دائرية فدارت الجدران حولهما ليجد مراد نفسه أعلى البرج! نظر مراد حوله باندهاش وهو يقول:

- لقد نقلتنا عبر ثقبًا أسودًا ونحن بداخل واحدًا بالفعل! كيف فعلت هذا؟

قال أنس بحدة:

- لا يوجد وقت لهذا يا جلالة الملك! أخبرني الآن أين هو كتاب السحر الأبيض وإلا قتلتك!

قال له مراد بابتسامة ساخرة:

- هل تظن حقًا أنني أهتم؟
- كفاك ثرثرة وأخبرني الآن عن مكانه.
- ما رأيك أن نعقد صفقة بيننا؟ لتأمر وحوشك بالتوقف عن مهاجمة المدينة الملكية وليكن الصراع بيني وبينك.
- ولماذا سأفعل هذا بالضبط؟
- إن كنت حقًا ترى نفسك شخصًا ذو مبادىء فلتفعل ما اقترحته عليك! على الأقل ستكون المواجهة بين قوتين متساويتين وليس بين تلك الوحوش وسكان المدينة الضعفاء!

قال أنس بتجهم ونفاد صبر:

- كفاك تضييعًا لوقتي وأخبرني الآن مكان كتاب السحر الأبيض وإلا لن يعجبك ما سأفعله.
- لنواجه الحقيقة يا أنس. أنت بحاجةٍ إليَّ لكي تحصل على كتاب السحر الأبيض، أليس كذلك؟ لذا لا أظنك ستقتلني إلا عندما تجده أولًا. ولهذا السبب بالذات أقترح عليك أن نخوض المعركة نحن الاثنان فقط. قوتان متساويتان. لنوقف بحيرات الدماء الآن حتى ينتصر أحدنا. ما رأيك؟

شاهد مراد ظلٍ غريبٍ لكائنٍ يقف خلف أنس كان يهمس في أذنه. استغرب مراد مما يراه وظهرت علامات عدم الفهم على وجهه.

يبدو أن الظل قد أقنعه بالموافقة على كلام مراد لأن أنس ابتسم مرحِّبًا بالفكرة أخيرًا وقال وهو يتقدم من مراد:

- لقد صار بيننا اتفاق الآن!

يعلم مراد جيدًا أن أنس أقوى منه بسبب السحر الأسود الذي يمارسه، لذا كانت فرص انتصاره عليه ضئيلة للغاية ولكنه رغب في المحاولة حتى إن مات في سبيل

ذلك. إنه لا يمتلك كتاب السحر الأبيض ولكنه يرغب في سجن أنس في متاهة الزمن كما أخبره ساحر النور الأعظم في مملكة ليموريا، ولكنه فقط لا يعرف كيف.
أصبحت ملامح وجه أنس مخيفة وهو ينظر إلى مراد استعدادًا للهجوم عليه.
خرجت الخيوط السوداء من جسده واتجهت إلى مراد كي تحاول تقييده ولكن الأخير تحرك من مكانه واتجه ناحية حافة البرج ثم قفز.
بينما يسقط من علٍ فتح مراد بيده ثقبًا أسودًا في الهواء دخل فيه ثم خرج منه لأعلى البرج ثانيةً ولكنه كان يقف خلف أنس الذي كان يقف على حافة البرج ينظر إلى أسفله باستغراب.

خرجت حزم من الضوء الأزرق من يد مراد واتجهت إلى جسد أنس فقيدته، ولكنه استطاع أن يفك قيده بسهولة مما أثار اندهاش مراد وتوتره. خرجت الخيوط السوداء من جسد أنس واتجهت إلى مراد فقيدته ثم رفعته إلى الأعلى في الهواء.
قال أنس وهو يبتسم بوحشية:

- لماذا لا تنضم لنا يا ساحر النور؟ ألست غاضبًا مما فعله أهل المدينة مع أمثالنا طوال تلك السنوات الماضية؟ لقد كان والدك قروي مثلي. ما الذي تنتظره بالضبط؟

قال مراد وهو يحاول التخلص من القيود:

- أنا لست قاتلًا مثلك يا أنس. القتل ليس هو الحل.
- ولكنها العدالة، أليس كذلك؟

استطاع مراد التخلص من تلك القيود عندما توهج جسده بالنيران البيضاء. استغل مراد هذه اللحظة فاندفع ناحية أنس وأمسك به ثم دفعه ناحية حافة البرج وسقطا معًا إلى الأسفل. أحاط أنس كلتا يديه حول عنق مراد أثناء سقوطهما فلم يستطع مراد التنفس وشعر بالاختناق ولكنه نجح أخيرًا في فتح ثقبًا أسودًا إلى الحديقة الملكية فسقطا الاثنان معًا بداخله وخرجا منه ليجدا المكان بأكمله مشتعلًا بالنيران.

كان هناك الكثير من الحراس الذين اشتعلت النيران في أجسادهم وهم يحاربون الكائنات المخيفة.

نهض مراد من على الأرض وقال بينما يتحسس عنقه:

- هل تظن أن النكرومانسر سينشر العدل والمساواة بين الجميع؟ أنت مخطيء يا أنس ولا تعرف نواياه الحقيقية. إنه يريد استعباد البشر جميعهم. ليس البشر فقط بل جميع المخلوقات فوق الأرض وأسفلها!

تقدم أنس ناحيته على استعدادٍ للانقضاض عليه وهو يقول:

- هراء.

النكرومانسر هو الوحيد الذي سيحكم بالعدل والمساواة. والآن كفاك تضييعًا للوقت وأخبرني أين خبأت كتاب السحر الأبيض وإلا قتلتك الآن ولن أبالي لأي شيء!

اندفعت كرة من النيران البيضاء من يد مراد واتجهت ناحية أنس ولكن الأخير أبعدها عنه فاتجهت ناحية النافورة فاصطدمت بتماثيلها القبيحة فأسقطتها في المياه.

قال أنس بعصبية:

- لماذا لا ترى الحقيقة يا مراد؟ إنهم يكرهوننا لأنهم يخشون ما يجهلونه! ألم تكتفِ من إخفاء أمر قواك عن الجميع؟ ألا ترغب في تحرير تلك القوى التي لطالما كبحت جماحها خوفًا من الإمساك بك وقتلك؟ ألا ترغب في التحرر من القيود التي فرضتها المدينة الملكية على أمثالنا؟ ألا ترغب في الزواج من الفتاة التي أحببتها دون أن تخجل من نطق اسمها أمامهم؟

أطلق مراد كرة أخرى من النيران البيضاء باتجاه أنس ولكن الأخير تفاداها عندما ابتعد عنها بسرعة.

عاد أنس يقول:

- يا للحسرة! أنت أضعف وأغبى مما ظننت!

اندفع أنس باتجاه مراد فاصطدما الاثنان ببعضهما ثم سقطا في ثقبٍ أسود فتحه أنس أثناء اندفاعه ناحيته.

خرجا الاثنان من الثقب الأسود ليجد مراد نفسه بجانب الكهف الذي تختبيء أسفله المكتبة الضائعة لمملكة ليموريا.

كان مراد ملقى على الأرض يلتقط أنفاسه فاستغل أنس الفرصة عندما اتجهت الخيوط السوداء التي كانت على ظهره ناحيته وقيدته.

حاول مراد التخلص منها ولكنه لم يستطع هذه المرة. أشار أنس إلى الكهف وقال بحدة:

- ألا ترغب أن ترى المكتبة الضائعة نور الحرية؟ هل أنت سعيد بهذا الوضع؟

تذكر مراد شكل والدته عندما عثر عليها في خزانة ثيابها لذا قال بحزنٍ ممزوجٍ بالغضب:

- لقد قتلت والدتي. لقد قتلت عائلتي يا أنس. كيف تتظاهر بأنك شخص ذو مباديء يسعى لتحقيق العدالة إن كنت لا تعرف عنها شيئًا من الأساس؟

صاح أنس قائلًا بعصبية:

- أصبحت قاتلًا الآن؟ وما فعله الملك ونائبه لعائلتي ليس قتلًا في نظرك؟

- وما ذنب والدتي والسيدة ليلى؟

قال أنس بابتسامةٍ سمجة:

- أتعلم أن والدتك كانت ستقتل حبيبتك لومينا؟

تفاجأ مراد بما سمعه.

تذكر المحادثة الأخيرة بينهما وكيف أنها كانت تتحدث عن قتل داني وإجبار نور بإجهاض جنينها، ولكنه لم يشأ تصديق كلامه لذا قال بعصبية:

- أنت كاذب حقير يا أنس. والدتي ما كانت لتفعل أبدًا أمرًا كهذا!

تعالت ضحكات أنس الساخرة مما أثار غيظ مراد فأطلق العنان لقواه التي اندفعت خارج جسده على هيئة كرات من النيران البيضاء التي اتجهت إلى أنس وضربت به عرض باب الكهف الحجري فصرخ من شدة الألم.

* * * *

جرت لومينا في ممرات القصر وهي تبحث عن صديقتها وتنادي عليها بصوتٍ عالٍ أتعب حنجرتها كثيرًا.

كادت لومينا أن تتعثر أكثر من مرة بسبب الجثث المحترقة على الأرض.

كانت النيران التي تطلقها الوحوش على أهل المدينة الملكية هي مصدر الضوء الوحيد الذي ينير المملكة بين الحين والآخر.

لم يعد هناك فرق بين نبيل وخادم في القصر الملكي. لقد تجرعوا الألم من الكأس نفسها! أكثر ما أوجع لومينا هو الأطفال الصغار الملقيين على الأرض دون أن يكترث لأمرهم أحد.

كانت هناك طفلة صغيرة في السابعة من عمرها تقريبًا تجلس بجانب جثة والدها وهي تبكي على موته.

رأتها لومينا فتذكرت نفسها عندما فقدت والدها فسقطت الدموع من مقلتيها بغزارة ثم اتجهت إلى الفتاة وربتت على كتفها وهي تقول بعطف:

- أين والدتكِ يا صغيرتي؟

لم تتوقف الفتاة الصغيرة عن البكاء فاحتضنتها لومينا بشدة والدموع تسيل بغزارةٍ على وجنتيها.

عادت لومينا تقول مجددًا:

- سآخذكِ إلى والدتكِ يا صغيرتي فقط إن أخبرتيني عن مكانها المحتمل.

تحدثت الفتاة أخيرًا وقالت بصوتٍ واهن:

- لا أدري أين هي.

لقد كنت أجلس بجانب والدي عندما خرجت الوحوش وبدأت في قذف النيران. أخبرت والدتي أبي أنها ستذهب إلى الحديقة الملكية لاستنشاق الهواء ولكنها لم تعد حتى الآن. أريد أمي. أحضري لي أمي!

بكت الطفلة أكثر من ذي قبل فتألمت روح لومينا كثيرًا لما تراه من دمار وذعر بسبب شقيقها الذي جن جنونه. حملت الطفلة التي أحاطت عنق لومينا بكلتا ذراعيها ونامت على كتفها مغمضة العينين لتتلاشى النظر إلى الجثث المحترقة من حولها أثناء خروجهما من القصر إلى الحديقة الملكية.

شعرت الفتاة بشيءٍ غريب يحتك بصدرها وهي نائمة فوق كتف لومينا ففتحت عيناها ونظرت إلى هذا الشيء فرأت القلادة.

كانت النجمة التي تسبح بداخل الكرة الزجاجية تتوهج مما أثار استغراب الفتاة التي سألت:

- لماذا تتوهج قلادتكِ؟

لم تعتد لومينا على هذه القلادة فنست أنها ترتديها من الأساس، فسألت الفتاة باستغراب:

- عن أي قلادة تتحدثين؟

أمسكت الفتاة الصغيرة بالقلادة ورفعتها إلى مستوى نظر لومينا التي تذكرت أن مراد قد أهداها إليها منذ قليل فقالت:

- إنها هدية من صديق. إنها تتوهج حقًا ولكنني لا أعلم سبب توهجها.

ما لاحظته لومينا أن الكائنات المخيفة كانت تبتعد عنها بخوفٍ وذعر وكأنهم رؤوا الموت بعينهم! شعرت الفتاة أنها بمأمنٍ من تلك الوحوش بسبب لومينا فقالت لها ببراءة:

- هل أنتِ ملاك؟

اندهشت لومينا من سؤال الطفلة ولكنها ابتسمت وضمتها إلى صدرها وظلت تقبِّل جبينها وهي تبحث في كل مكان عن والدة الطفلة التي لم تعرف شكلها ولكنها كانت تحاول المساعدة على الأقل.

من بعيدٍ تقدمت سيدة صغيرة في السن ناحية لومينا وأخذت الطفلة بعنفٍ منها وهي تقول:

- أعطيني طفلتي أيتها الخادمة الحقيرة!

تفاجأت لومينا بعدائية السيدة التي أخذت ابنتها وجرت بسرعة باتجاه باب الخروج من القصر الملكي.

لم تكترث لومينا كثيرًا لما قالته السيدة لأن مشهد الشجار بين مراد وشقيقها هو ما لفت انتباهها فركضت بسرعة ناحيتهما ولكنهما اختفيا فجأة لذا توقفت عن الركض ثم انتابتها نوبة من الصراخ بأعلى صوت استطاعت حنجرتها أن تخرجه. إنها تشعر بالألم يعتصر قلبها، كانت تبكي دموعًا تحمل الأسى والحزن. لا بد أنها ستفقد واحدًا منهما الليلة إن لم يكن الاثنان معًا. أنس ومراد هما الرجلان الوحيدان اللذان امتلكا قلبها ولكنهما أيضًا سيكونان السبب في تعاستها إلى الأبد.

وقفت لومينا وهي تنظر إلى ما يحدث حولها وتستمع إلى صرخات الألم الصادرة من الحراس والفرسان والنبلاء كبارًا وصغارًا.

يبدو أنها نهاية العالم حقًا. كيف سيتغلبوا على تلك الكائنات الجحيمية؟ كانت لومينا تدور بعينيها في جميع الاتجاهات تبحث عن صديقتها نور التي لم تعثر عليها حتى الآن، تذكرت أن أعلى البرج هو المكان الوحيد الذي لم تبحث فيه عنها، لذلك دخلت القصر الملكي وصعدت إليه فتفاجأت بجسد نور في ركنٍ بعيدٍ عن الدرج ووجهها شاحبًا كالموتى.

أسرعت لومينا نحو صديقتها وانحنت تتفقد نبضها الضعيف. كانت يد نور محترقة تمامًا وهناك بضعة جروح في كل مكان في جسدها.

هزتها لومينا لكي تفيق ففتحت نور عينيها بصعوبة وقالت وهي تبتسم:

- لومينا، هل هذه أنتِ أم أنني أحلم؟

تحسست لومينا خصلات شعرها بحنانٍ وقالت وهي تبتسم:

- لا تحلمين يا عزيزتي. أنا هنا. ستكونين بخير.

قالت نور بضعفٍ وصوتٍ واهنٍ:

- لقد كنت أبحث عنكِ في كل مكان. لم أستطع إيجادكِ في أي مكان داخل القصر أو خارجه، لذا صعدت إلى هنا لأنتظركِ. أعلم أنكِ تحبين هذا المكان.

بدأت الدموع تنهمر من عينيها.

استطردت:

- عندما صعدت إلى هنا ولم أجدكِ جلست على الأرض لأن قدمي لم تعد تتحملني. جلست هنا أبكي وأتحدث مع طفلي الذي كان يركل قبل أن يحدث كل هذا، ولكنني لا أشعر به الآن. هل تظنين أنه ميت يا لومينا؟

اغرورقت عينا لومينا بالدموع وضمت صديقتها إلى صدرها وقالت متألمة:

- ستكونين بخير. أعدكِ. لنذهب إلى القرية. إنه المكان الأكثر أمانًا من أي مكان آخر في المملكة.

ساعدت لومينا صديقتها على النهوض وساعدتها أثناء سيرهما إلى الدرج. هبطا الاثنان الدرج بصعوبةٍ ثم سارا في الممر وهبطا الدرج الآخر إلى القاعة الملكية ثم خرجا من القصر إلى الحديقة.

جلست نور على الأرض وهي تلهث ويبدو وجهها شاحبًا أكثر من ذي قبل.

قالت للومينا:

- لا أستطيع السير أكثر من هذا. لنرتاح قليلًا.

أومأت لومينا وجلست بجانب صديقتها وهي تمسك بيدها وتتحسس بطنها لعلها تشعر بأي حركة ولكنها لم تشعر بشيء.

ظهر القلق على وجهها فأدركت صديقتها أنه لا يوجد فرصة لطفلها الآن. إنها تعلم أنه ميت وأنها لن تستطيع العيش مع كل هذه الجروح والحروق في جسدها. إنها تعلم أنها ستموت لا محالة.

نظرت إلى لومينا بوهن وقالت وهي تحاول الابتسام:

- هل تتذكرين كيف كنت لئيمة معكِ في البداية؟

ضحكت لومينا والدموع منهمرة على وجنتها وقالت:

- كنت أظن أنكِ ستطردينني في أي وقت، ولكنكِ لم تفعلي أبدًا!

- لقد كان مراد يا لومينا. إنه يحبكِ حقًا!

أصابها كلام نور بالحزن فشعرت بالألم يمزق قلبها. إنها تتألم جسديًا ونفسيًا الآن. قالت لومينا وهي تبكي:

- أتمنى حقًا أن يكون بخير، حتى وإن كان الثمن هو افتراقنا. أنا لا أكترث سوى لكونه بخير أم لا، هذا هو حقًا ما يهمني الآن.

- سيكون بخير يا صديقتي، أنا أثق به!

ركل الطفل بطن أمه فتفاجأت ونظرت إلى لومينا وهي تبكي دموع الفرحة هذه المرة وتقول وهي تمسك بيد صديقتها وتضعها على بطنها:

- هل تشعرين به؟ لقد ركلني!

شعرت لومينا بركل الطفل فشعرت بسعادةٍ غامرةٍ وكأن ركلته الصغيرة أعطت لها الأمل في النجاة! قالت لومينا وهي تضحك:

- نعم. أستطيع الشعور بركلته. سننجو يا نور. ألم أخبركِ بذلك؟

تعالت شهقات نور من البكاء وهي تقول:

- هل تظنين أن الإله سيغفر لي يا لومينا؟ هل أستحق الغفران؟

- إنه رحيم غفور يا صديقتي! إنه أفضل منا جميعًا، سيغفر لكِ، كوني متأكدة.

* * * *

كان مراد يتنفس بسرعةٍ وهو ينظر إلى أنس الذي تمدد على الأرض يأن في ألمٍ.

رفع أنس نظره إلى مراد وقال بنظراتٍ لم تخل من الغل والحقد:

- أخبرني يا جلالة الملك ما الذي سيحدث بعد أن تقتلني؟ هل ستعلن للجميع أنك من سحرة النور؟ هل سيرغب البلاط الملكي في تولي ساحر لعرش المملكة؟ هل سيسمحوا لك بالزواج من الفتاة التي أحببت؟

كان مراد يشعر بالألم في أماكنٍ متفرقةٍ من جسده. إنه متعب ويريد لهذا الكابوس أن ينتهي بأي شكل.

اقترب مراد من أنس ومد إليه يده وهو يقول بوجهٍ متجهمٍ:

- تعالَ معي يا أنس. سأتأكد من خضوعك لمحاكمةٍ عادلةٍ. لن أجعلهم يمسونك بسوء. أعدك بهذا!

استغل أنس اقتراب مراد منه فانقض عليه وفتح ثقبًا أسودًا دفع مراد بداخله ليخرجا الاثنان إلى المكتبة الضائعة بداخل الكهف الكبير. كان الانتقال عبر الأماكن باستخدام الثقوب السوداء بهذا الشكل يرهق جسد مراد الذي أصبح ينزف من أماكن مختلفة من جسده.

سأله أنس بعصبية:

- أين كتاب السحر الأبيض يا هذا؟

أشار مراد إلى الكتب الموضوعة فوق الصخور من حوله وقال بوهنٍ والدم يخرج من ثغره لتسقط قطراته على الأرض:

- مرحبًا بك في المكتبة الضائعة لمملكة ليموريا! ابحث فيها كما تشاء عن كتاب السحر الأبيض.

- كلانا يعرف أنه ليس موجودًا هنا. أخبرني أين هو وسأتركك ترحل بسلام عن هذه المملكة!

بصق مراد الدم من فمه وقال وهو يحاول النهوض:

- هل تظن أنني أكترث إن لم تسمح لي بالرحيل عن هذه المملكة بسلام؟ أتظن أنني أكترث إن قتلتني الآن؟
- إن كنت لا تكترث لموتك، فما الذي يهمك من الأساس؟

وقف مراد على رجليه وقال وهو يقترب ببطءٍ من أنس:

- ما يهمني حقًا هو سلامة الأشخاص الذين أحبهم. ما يهمني هو أن يبات أطفالنا دافئين آمنين من كل شر ومن كل خبيث مثلك.

أدرك أنس أن مراد يحاول استغلال الوقت في الثرثرة لكي يتمكن من الاقتراب منه والانقضاض عليه، ولكنه لن يسمح له بذلك فانقض هو عليه وفتح ثقبًا أسودًا دخلا فيه معًا وخرجا منه إلى الحديقة الملكية حيث كانت لومينا تجلس على الأرض بجانب نور. لم يعد يحتمل مراد الألم الذي يشعر به بسبب الانتقال عبر الأماكن باستخدام الثقوب السوداء بهذا الشكل المؤلم فاستند إلى أحد المقاعد وهو يلتقط أنفاسه ويبصق الدماء من فمه.

نظرت لومينا بخوف إلى أنس ومراد فاحتضنت صديقتها نور وهي تشعر بالرعب. شاهد أنس شقيقته وهي بجانب صديقتها ثم نظر إلى مراد المتكيء على المقعد بضعف. لا يريده أنس ميتًا فهو يحتاجه كي يعثر على كتاب السحر الأبيض، لذا تقدم أنس من نور ولومينا ووقف أمامهما فخرجت الخيوط السوداء العريضة من ظهره واتجهت إلى عنق نور وأحاطت به وبدأت تخنقها ببطء. اتسعت عينا لومينا دهشةً عندما رأت المشهد أمامها فانفجرت في شقيقها:

- اتركها أيها الحقير. اتركها الآن.
- لن أتركها إلا عندما يخبرني عن مكان كتاب السحر الأبيض.

علمت لومينا أنها إن أخبرت أنس أن مراد لا يعلم شيئًا عن مكان الكتاب سيقتله على الفور في حال أنه صدق كلامها أما إن لم يصدقها فستموت صديقتها! لم تكن على استعداد لخسارة أي منهما.

قال أنس بحدة:

- ابتعدي عنها يا لومينا.

نظرت لومينا إلى شقيقها بكراهيةٍ لأول مرة في حياتها. كانت ترغب في قتله، لم تعد تشعر بالحب ناحيته كسابق عهدها.

قالت له وهي تضغط على كل حرف:

- لن أتزحزح عن مكاني قيد أنملة! إن أردت قتلها فلتقتلني الآن معها.

نظر أنس إلى مراد وقال بابتسامةٍ مخيفةٍ:

- ما رأيك يا جلالة الملك؟ هل أقتلهما الآن كما طلبت حبيبتك أم أنك ستتحلى بالشجاعة الكافية لإخباري عن مكان كتاب السحر الأبيض؟ الاختيار لك يا صديقي!

نظر مراد إلى لومينا فلاحظ أن القلادة تتوهج. تذكر ما أخبرته به الفتاة الصغيرة عن هذه القلادة.

"ماذا لو أنها هي الحل لإنهاء هذا الكابوس؟" فكَّر مراد. كانت لومينا من ناحية أخرى تسأل نفسها السؤال ذاته، إنهما يعلمان الآن أن خلاصهم يكمن في تلك القلادة.

قال مراد لأنس:

- حسنًا. لقد ربحت المعركة يا أنس. أقر لك بهذا. لنترك الفتاتان وشأنهما ولنذهب إلى المقابر معًا لكي تأخذ كتاب السحر الأبيض. إنه مدفون هناك. سآخذك إليه بنفسي!

تقدم مراد من أنس وفتح ثقبًا أسودًا ثم وضع يده فوق كتف أنس واختفا الاثنان فجأة. نظرت لومينا إلى القلادة التي كانت تتوهج ثم انتزعتها من حول عنقها ونظرت إليها طويلًا. فتحتها لومينا أخيرًا ليحدث ما لم يتوقعه أحد!

خرجت من القلادة نجمة مضيئة ارتفعت إلى السماء فأنارتها بنورٍ عظيمٍ لم تشهده سماء مملكة الشمال من قبل! ما حدث بعدها كان ساحرًا بالفعل؛ فقد كان الضوء

المبهر للنجمة يكنس الكائنات والوحوش المخيفة وهو ينتشر في السماء! كانت الوحوش تصرخ أبشع الصرخات التي تثير الهلع في النفوس. وضع من تبقى من البشر الواقفين في محيط القصر الملكي أياديهم في آذانهم كي لا يستمعوا إلى تلك الأصوات البشعة. نظرت لومينا إلى السماء بسعادةٍ ثم نظرت إلى صديقتها التي كان وجهها أبيضًا جميلًا للغاية. لم ترَها لومينا جميلة هكذا من قبل!

هزتها لومينا وهي تقول بسعادة:

- لقد نجونا من تلك الوحوش. استيقظي الآن رجاءً.

لم ترد عليها صديقتها أبدًا. ظلت لومينا تهز صديقتها لعلها تفيق ولكنها لم تفعل. تحسست لومينا نبضها فأدركت على الفور أنها لم تعد معهم بعد الآن. وضعت يدها فوق بطنها ولكنها لم تشعر بأي حركة تدل على أن الصغير لا يزال على قيد الحياة. كانت الدموع تتساقط أنهارًا على وجنتيها، الألم يعتصر قلبها لفراق نور وطفلها الذي لم يُكتب له العيش في هذه الحياة. صرخت لومينا وبكت كما لم تبكِ من قبل. احتضنت صديقتها وهي تنادي عليها باسمها وقلبها يكاد أن يتمزق من فرط الألم.

من فوقها تراجع ضوء النجمة الساطعة وغاص في أعماقها ثم تحول إلى ثقبًا أسودًا ضخمًا ابتلع جميع الكائنات والوحوش المخيفة بداخله. تكونت سحب غازية ألوانها جميلة للغاية واتجهت إلى الثقب الأسود في السماء واتحدت معه ثم توهجت بنورٍ أبيضٍ قوي جعل الجميع يغلقون أعينهم بسبب الألم الذي شعروا به من النظر إليه. وُلدت النجمة من جديد وهبطت من السماء إلى الأرض عائدةً إلى القلادة التي كانت مرمية على الأرض بجانب لومينا.

* * * *

خرج مراد مع أنس من الثقب الأسود ووقفا بين شواهد القبور في المكان نفسه الذي دخل فيه مراد متاهة الزمن مع ساحر النور الأعظم. عندما دخل مراد متاهة الزمن

كان يقف هنا في المقابر، لهذا السبب كذب على أنس كي يستدرجه إلى هذا المكان لعله يكتشف طريقة تجعله يسجن أنس في متاهة الزمن كما أخبره ساحر النور الأعظم.

نظر أنس حوله وقال:

- أين هو؟

لم يرد عليه مراد لأنهما استدارا ينظران إلى السماء التي كانت متوهجة بشكلٍ عجيب على غير عادتها ويستمعان إلى الصرخات القادمة من خارج المقابر. استوعب أنس أن هناك من قتل الكائنات المتوحشة فظل يردد كلمة واحدة فقط وهي "لا."

ظل يقولها وهو ينظر إلى السماء المتوهجة فاستغل مراد الفرصة وانقض عليه من الخلف واضعًا كلتا يديه فوق جبينه ودعا من قلبه أن يحدث كما حدث معه من قبل.

الغريب في الأمر هو أن الاثنان ابيضت أعينهما تمامًا ثم تغير كل شيء حولهما. فتحا الاثنان أعينهما فوجدا نفسيهما يسبحان في فراغٍ تنتشر فيه النجوم ومن بعيد استطاعا رؤية الدوائر البيضاء. خرج ساحر النور الأعظم العجوز من إحدى الدوائر وسار باتجاههما فوق الفراغ!

نظر إلى مراد وقال:

- يبدو أنك تمكنت من إنقاذ مملكتك حتى بدون كتاب السحر الأبيض.

نظر أنس إليهما باستغراب وخوف ثم حاول تسخير قواه ناحيتهما ولكنها أبت أن تطيعه.

تبادل معهما النظرات ثم سأل بحنق:

- ما الذي يحدث الآن؟

أجابه ساحر النور الأعظم بوجهٍ خالٍ من أي تعبير:

- أنت الآن سجين متاهة الزمن يا ساحر الظلام!

لم يفهم أنس كلامه فعاد يسأل بخوف:

- متاهة ماذا؟ أنا لا أفهم.

نظر ساحر النور الأعظم إلى مراد وقال:

- سأُخرجك من هذه المتاهة يا ساحر النور. عندما تفيق ستجد أنس واقفًا بلا أي حركة، سيكون عقله ووعيه هنا دائمًا بينما سيكون جسده فقط هو الذي في العالم الحقيقي.

- كيف عرفت أنني لا أرغب في قتله؟

ابتسم العجوز وقال وهو يبتعد عنه:

- أنا أعرف الكثير من الأمور يا ساحر النور.

ظل أنس يصرخ بأعلى صوت استطاعت حنجرته إخراجه وكان يحاول جاهدًا أن يستخدم قواه التي أبت أن تطيعه! فتح مراد عينيه فوجد كلتا يديه لا تزالان فوق جبين أنس فأبعدهما عنه فلم يتحرك الأخير وظل واقفًا كالتماثيل بلا روح! كانت عيني أنس لا تزالان بيضاوتان اللون خاليتان تمامًا من البؤبؤ المميز لهما.

صنع مراد ثقبًا أسودًا إلى الكهف حيث أخفى شقيق لومينا فيه ليتركه مسجونًا بداخل متاهة الزمن بعينٍ بيضاء تمامًا إذا نظر أحدهم إليها.

كان جالسًا بين الكتب لا تصدر منه أي حركة وكأنه تمثالًا!

* * * *

عاد مراد إلى الحديقة الملكية إلى لومينا التي كانت جالسة على الأرض وهي تضم صديقتها إلى صدرها وتبكي في صمت. اقترب مراد منها وجلس بجانبها وقال بوهن:

- هل أنتِ بخير؟

لم ترد لومينا فنظر مراد إلى نور وفهم على الفور أنها قد فارقت الحياة. لكل تغيير في مسار الأحداث الزمنية ثمن وهو الدم دائمًا! هكذا عرف مراد قصد ساحر النور الأعظم الشاب الذي قابله في مملكة ليموريا.

قال بحزنٍ وقطرات الدم تسيل من جانب فمه:

- أنا آسف حقًا.

لقد خذلتكما!

أراحت لومينا رأس صديقتها على الأرض ونهضت وهي تسأل بصوتٍ مخنوق:

- هل قتلته؟

نهض مراد بدوره وأومأ بالنفي فشعرت لومينا بالراحة على الرغم من كل ما حدث! سألته:

- ألم تقتله لأنك خشيت أن أتألم؟

- ليس هذا هو السبب الوحيد. هم من خلقوا الوحش بداخله يا لومينا. خلقوه بتجاهلهم له ولاحتياجاته هو وأمثاله من القرويين. هم الملومون على ما حدث.

نظر مراد حوله بحزنٍ إلى الجثث المحترقة المرمية في كل مكان وقال وهو يشاهد شروق الشمس الذي أوحى بالطمأنينة والراحة:

- أظن أنهم دفعوا الثمن الآن.

سألته لومينا:

- أين هو الآن؟

لم يرغب مراد في إخبارها أي شيء عن شقيقها كي تستطيع نسيانه بسهولة دون تذكره وتذكر ما فعله لصديقتها ولأهل المدينة الملكية طوال حياتها.

لذا قال لها:

- لا تقلقي يا لومينا، إنه ليس ميتًا وليس مسجونًا. إنه في مكان بعيد حيث لن يتمكن من إيذاء أحد آخر!

لم ترغب لومينا في الضغط عليه أكثر من هذا لإخبارها عن مكان شقيقه، فهي تعلم أنه لو قتله أو سجنه فهذا هو العدل ولن يمكنها الجدال معه لذا التزمت الصمت ونظرت إلى الشمس التي كانت تشرق في الآفاق ثم استنشقت الهواء لعله ينسيها ما رأته هذه الليلة!

تركها مراد وصنع ثقبًا أسودًا إلى المكتبة ثم دخل الثقب الأسود الآخر وسار في الممر الأحمر ثم أخذ عصا الظلام التي كانت بجانب كنان ثم خرج منه وأغلق الثقب الأسود تاركًا كنان هناك في الممر الأحمر! استيقظ كنان من سباته العميق أخيرًا ونظر حوله فوجد أنه لا يزال بداخل الممر الأحمر ولكن الثقب الأسود اختفى مما تسبب في ذعره وصراخه كالمجانين. جاء صوت النكرومانسر من خلفه وهو يهمس باسمه. تسارعت نبضات قلبه عندما اكتشف أن عصا الظلام لم تعد بحوزته فظل يصرخ ويطرق على الجدران من حوله بعنف لعلها تُفتح!

كان مراد يبحث عن شقيقته التي حافظ نائبه على سلامتها في حجرةٍ صغيرةٍ في القبو لم تدخلها الكائنات المتوحشة.

ارتمت شيرين في حضن شقيقها وظلت تبكي لمدة طويلة ثم أخبرته عما حدث لبيري فقرر أن يذهب إلى المقابر كي يتحدث مع ساحر النور الأعظم الذي ساعده بالفعل في إيقاظ بيري من سباتها العميق. استغرقها الأمر نحو الساعتين كي تستوعب ما تسمعه ممن حولها عن الأحداث التي شهدتها مملكة الشمال.

* * * *

أصبح مواطنو مملكة الشمال يعلمون أن مليكهم هو الذي أنقذهم من هذا الكابوس ولكنهم يعلمون أيضًا أنه من سحرة النور! كانوا جميعًا يتسائلون كيف أصبح واحدًا منهم ووالديه لم يكونا من سحرة النور أبدًا. لم يخبر مراد أحدًا بالحقيقة باستثناء شيرين ونائبه والأميرة بيري.

لم يخبرهم مراد أن أنس هو من تسبب فى هذه الكارثة كي يحمي لومينا من غضبهم!

في اليوم التالي أمر مراد بفتح بوابات المدينة الملكية فدخل القرويون لمساعدة الجرحى ونقل الجثث المحترقة لكي يتم دفنهم بشكلٍ لائقٍ. أصرت بيري على دفن نور في المقابر الملكية تكريمًا لشقيقها المتوفي!

بعد انتهائهم من دفن الموتى وقف مراد في الساحة الملكية وقال يخاطب أهل المدينة والقرية معًا:

- ذات مرة أخبرت صديقة لي أن هناك ألوانًا أخرى بين الأبيض والأسود!

في هذه اللحظة بالذات نظر مراد إلى لومينا وابتسم إليها فبادلته الابتسام بوجهٍ حزينٍ عندما تذكرت هذه الجملة التي قالها في بداية عملها في القصر.

استطرد مراد:

- هكذا هم البشر؛ ليسوا دائمًا أشرارًا وليسوا دائمًا كالملائكة! لهذا السبب بالذات أريدكم أن تعيدوا النظر في أمر سحرة النور، ليس لأنني واحد منهم بل لأنه الصواب! طوال ستة وعشرون عامًا عشت في الظلام وأخفيت حقيقتي عن الجميع، ولكنني أقف أمامكم الآن لا أخشى شيئًا!

سكت قليلًا عن الكلام ثم استطرد قائلًا:

- لا بد أنكم تتسائلون كيف أنتمي إلى سحرة النور ولم يكن الملك أو الملكة منهم، أليس كذلك؟ اعذروني إن لم أخبركم أبدًا فهذا شأني وحدي، ولهذا السبب أنا أتنازل عن العرش إلى الوريثة الشرعية لمملكة الشمال. الأميرة شيرين من عائلة أركان!

تفاجأ الجميع بما يقوله مليكهم الذي أنقذهم من شرٍ عظيم كان سيقضي عليهم جميعًا! تصاعدت الهمسات والهمهمات من بين الحشود قطعتها لومينا عندما قالت بصوتٍ عالٍ:

- إن سمحت لي يا جلالة الملك. أنت مخطيء فيما تقوله!

التفتت الرؤوس جميعًا إلى لومينا مستغربين من جرائتها في التحدث مع الملك بهذه الطريقة ولكن ما قاله أسكتهم جميعًا عندما قال:

- في ماذا أخطأت بالضبط يا آنسة؟

تقدمت لومينا إليه ثم صعدت إلى المنصة التي كان يقف عليها فأصبحت تقف بجانبه على الرغم من اعتراض الحراس إلا أن مراد أمرهم بالتراجع.

قالت لومينا بثقةٍ:

- العرش ليس من حق الأميرة شيرين يا سيدي. العرش ليس من حق أي نبيل أو قروي!

استغربوا جميعًا كلامها بمن فيهم مراد الذي سألها بعدم فهم:

- إن لم يكن العرش من حق أي حد، فلمن الحق في الجلوس عليه إذن؟

أجابته لومينا بابتسامةٍ جميلة:

- العرش دائمًا وأبدًا من حق البطل الذي يدافع عنه وعن أهل مملكته!

كانت الهمسات تتصاعد من بين الحشود ولكن لومينا لم تكترث إليها.

استطردت:

- من ذاك الذي قرر أن الملك الحقيقي لا بد أن يكون ابن ملك وحفيد ملك؟ الملك الحقيقي هو ابن الشعب! إنه البطل الذي يدافع عن شعبه ويفضله عن نفسه! إنه المُخلِّص والحامي والأحق بالسلطة عمن سواه!

كان هناك الكثير من الرؤوس التي كانت توميء بالإيجاب استحسانًا لما تقوله لومينا، ولكن شيرين لم يعجبها الكلام فأصبحت ملامحها متجهمة، في حين أن الأميرة بيري كانت تنظر إلى لومينا بإعجابٍ لدرجة أنها أمالت على أذن مراد وهمست:

- الآن أعرف لماذا أحببتها!

ابتسم مراد بفخرٍ وهو ينظر إلى لومينا التي عادت تقول:

- يا أهل مملكة الشمال، لا ينبغي أن نكون كأسلافنا، لقد خافوا من سحرة النور فقط لأنهم مختلفون عنهم وليس لأنهم وحوش كما كانوا يعتقدون!

كانت الرؤوس التي توميء بالإيجاب في ازدياد الآن، فاستطردت لومينا وهي تركع أمام مراد:

- أطال الإله بقائك يا مليكي!

ركع جميع الحضور أمام مراد فقال بتواضعٍ وضيق:

- انهضوا رجاءً. لم أرغب أبدًا في تولي السلطة، ولكن إن كانت هذه حقًا هي رغبتكم فأنا أتشرف بقبولي لها!

صفق الناس تصفيقًا حادًا ثم انهالت عبارات المدح والثناء على كل ما فعله مراد.

ابتسمت لومينا بحزنٍ لمراد ثم سارت بين الحشود إلى أبواب المدينة الملكية التي كانت مفتوحة لأول مرة في تاريخ المملكة! خرجت لومينا من المدينة الملكية وسارت إلى كوخها وطرقت بابه ففتحت والدتها. لم تعلم والدتها أن ابنها أنس هو السبب فيما يحدث لأهل المدينة الملكية، ولم يكن عندها فكرة أن ابنتها لومينا عشقت الملك الذي اتضح أنه من سحرة النور.

كل ما كانت تعرفه هو أن المملكة تشهد حربًا عنيفة بين البشر وبين أهل مملكة الجحيم. لقد خشيت كثيرًا على لومينا وأنس بعدما سمعت عن عدد القتلى الكبير، ولكنها وثقت في أنس وفي قوى سحرة النور بداخله، لذا كانت تأمل أن يحمي لومينا من أي شر! كانت والدة لومينا تبكي بحسرةٍ بعد سماعها لأخبار الهجوم على المملكة ولكن رؤية لومينا الآن أمامها وهي سليمة وآمنة أحيتها كالجسد الميت الذي عادت إليه روحه!

جرت لومينا إلى حضن والدتها وهي تبكي بصوتٍ عالٍ فأدركت الأم أن ما رأته طفلتها لم يكن بالقليل أبدًا. كذبت لومينا على والدتها وأخبرتها أن أنس مات أثناء دفاعه عنها على الرغم من أنه من سحرة النور! ظلت والدتها تصرخ وتبكي لفقدانها ابنها الذي لم تلده بطنها ولكنه كان وليد قلبها الذي أحبه مثلما أحب لومينا! لم ترغب لومينا في لوم والدتها ووالدها بسبب إخفاءهما أمر أنس عنها طوال حياتهم! اكتفت لومينا بالكذب على والدتها وعلى جميع جيرانهم في القرية وقضت الأيام التالية في الحزن على حياتها البائسة!

كانت بين الحين والآخر تتسائل عما حدث لشقيقها. كانت هناك أوقات كثيرة كانت ترغب في البحث عنه في أي مكان ولكنها سرعان ما كانت تعود إلى صوابها وتكف عن التفكير في الأمر برمته.

* * * *

مرت عشرة أيام منذ خروج لومينا من المدينة الملكية وعدم عودتها إليها. قررت لومينا الرحيل عن مملكة الشمال والعيش في مملكة الجنوب مع والدتها فانتظرت حتى عاد الميناء الملكي لعمله المعتاد ثم دفعت كل ما ادخرته في عملها لشراء ورقة تسمح لها بالسفر مع والدتها على متن السفينة المبحرة في البحر الأزرق. كتبت لومينا خطابًا لمراد قبل أن ترحل سلمته إلى إحدى صديقاتها من الخدم وأوصتها بإعطاءه الخطاب بعد مغادرتها وليس قبل ذلك.

كان مراد مشغولًا في القصر الملكي مع نائبه وحاشيته ولكنه فضَّل أن يترك لومينا عدة أيام حتى تبرد نيران الحزن والغضب بداخلها! لم يفُت يومًا إلا واشتاق إليها فيه فهو يرى شبحها في المكتبة وأعلى البرج ويراها عند النافورة ويراها تقف بجانب مائدة الطعام. إنها في كل مكان ولكنها ليست معه! قرر مراد أن يذهب إليها أخيرًا ولكن الخطاب الذي سلمته الخادمة إليه جعله يتمهل قليلًا.

جلس مراد في غرفته وفتح الخطاب وقلبه ينبض في حلقه من التوتر والقلق.

قرأ:

عزيزي مراد،

إن كنت تقرأ هذا الخطاب الآن فهذا معناه أنني رحلت عن هذه المملكة بالفعل! لم أخبرك من قبل عن حقيقة مشاعري تجاهك فقد كنت أتهرب من إخبارك مرارًا وتكرارًا ظنًا مني أنني هكذا أنفي حقيقة ما أشعر به حقًا، ولكن هيهات! أنا مخطئة ولقد كنت كذلك على الدوام لأن الحقيقة هي أنني أحببتك منذ اللحظة الأولى التي

وقعت فيها عيناي عليك! كنت أتهرب من مواجهة مشاعري لأنني أدركت أن هذا العشق ليس مسموحًا به في عالمنا! أمثالنا لم يُخلقوا للحب يا مراد.

سأرحل وأنا ممتنة لكل دقيقة قضيتها معك.

سأرحل وأنا راضية أخيرًا عن حقيقة مشاعري ما دمت بعيدة عنك! أريدك فقط أن تتأكد من أنني لم ولن أعشق غيرك حتى لو عشقت بعد رحيلي المئات! سأتذكر دائمًا تلك الأوقات الجميلة التي قضيتها معك. ستكون هي عزائي الوحيد الذي لن يصيبني بالجنون وسيحافظ على رجاحة عقلي وأنت بعيد عني! إن كرهني قلبك بعد قراءة هذا الخطاب لما سأسببه له من الألم فلن أتذمر أبدًا!

السبب الحقيقي لرحيلي هو أنني لم أرغب في تذكيرك بشقيقي كلما نظرت إليَّ! ستظل الحقيقة حقيقة حتى لو أنكرتها! أنا شقيقة القاتل الذي قتل عائلتك بدمٍ بارد! أنا أخشى أن تكرهني يومًا ما بسببه! صدقني لن أحتمل! كما أنني لن أسمح لنفسي بأن أكون عائقًا أمام تحقيق ما وعدتني به من قبل. هل تتذكر ذلك الوعد؟ هل تتذكر وعدك لي بفتح أبواب المدينة الملكية للقرويين؟ هل تتذكر وعدك لي بتحقيق العدل بينهم جميعًا؟ أنا أثق بك كثيرًا وأعلم أنك ستفي بوعودك ولكنك لم تكن لتفعل إن كنتُ بجانبك! لن يوافق أهل المدينة الملكية على زواجنا حتى وإن وافقوا على التعايش مع القرويين! هذا كثير عليهم فهم لن يحتملوا كل تلك التغييرات دفعة واحدة! لا بد أن تتحد مع الممالك الأخرى وألا تقترف الأخطاء نفسها التي اقترفها الملك السابق بانعزالنا عن العالم الخارجي! ستظل معي دائمًا حتى وإن لم تكن بجانبي بالفعل! أتوسل إليك ألا تبحث عني لأنك لن تجدني في أي مكانٍ تعرفه! من يدري؟ لعلنا نتقابل في عالمٍ آخرٍ كما تمنيت أنت!

المخلصة لك دائمًا وأبدًا،

لومينا.

أنهى مراد قراءة الخطاب وعيناه مغرورقتان بدموع الألم والحزن لرحيل الفتاة الوحيدة التي نبض لها قلبه. لقد ذهبت فذهب قلبه معها. كان مراد يصنع ثقبًا أسودًا في كل يوم كي يعود إلى تلك الأوقات التي كانت تجلس فيها لومينا أعلى البرج وهي تقرأ كي يراها! لم يمضِ يوم إلا وافتقدها فيه أكثر من اليوم السابق. كان يجلس كل يوم أعلى البرج ليراقب السفن في الميناء الملكي كما كانت تفعل هي متمنيًا لو أنها فقط تعود يومًا ما. عاش مراد حياته بعدها وهو يؤمن أنها لا بد من أنها ستعود إليه يومًا ما. إن لم يكن اليوم فلا بد أنه الغد! من يدري؟

* * * *

تمت بحمد الله